



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

المشروع السياسي

للإمام المهدي

قضايا في الأبعاد العقائدية والفقهية والسياسية
والاجتماعية والأخلاقية لإمام الزمان

ترجمته

مشروع النجاة والمسؤوليات

تقرير الأبحاث الفقهية الدينية

الشيخ محمد السند

مقدم

الشيخ ناجي الخاقاني

دار الفکر البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشروع السياسي للامام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

كاتب:

ناجي الخاقاني

نشرت في الطباعة:

دار الحجة البيضاء

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
13	المشروع السياسي للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف : قراءة في الأبعاد العقائدية والفقهيّة والسياسية والاجتماعية والأخلاقية لدعاء الندبة
13	اشارة
13	اشارة
17	الجزء الأول
17	اشارة
19	الإهداء
21	دعاء الندبة
31	تمهيد
31	اشارة
31	مشروع المهديّة
34	هذا الكتاب
35	الفصل الأول: سند الدعاء وحقيقته
35	اشارة
37	سند دعاء الندبة
37	اشارة
38	الوجه الأول
38	الوجه الثاني :
42	الوجه الثالث:
44	الوجه الرابع:
46	تبيهات
50	معني الندبة
51	الأركان الرئيسة في الدعاء

51	اشارة
51	الركن الأول :
52	الركن الثاني:
52	الركن الثالث:
54	خلاصة التراث
57	الفصل الثاني: المدرسة الأخلاقية الوحيانية
57	اشارة
59	النظم الأخلاقية وتعدد المدارس
60	المدرسة الأخلاقية الوحيانية
62	أدب التعامل مع الله
64	الفوارق بين المدارس الأخلاقية.
64	الأول : الأخلاق النفسانية لها جذر عقائدي :
65	الثاني : الأخلاق طبقات ومراتب:
66	الثالث : الإبهام في المفاهيم الأخلاقية عند التطبيق :
69	الفصل الثالث: خطوط الدعاء العامة وأثرها المعرفي
69	اشارة
71	الاصطفاء وموقعية الأنبياء
73	إكمال الحججة وسد الذرائع
76	الإعجاز في الخاتمة
77	الندبة من سنن المعصومين
81	الفصل الرابع: الدعاء ومنهج التعامل مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف
81	اشارة
83	دوام الاستشعار بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف
85	المسؤولية مطلقة
87	سيد الشهداء حافظ للمشروع المهدي

88	من ينصر من ؟
89	الأمل وأثره في الصبر والثبات
91	وجود الإمام الدائم في الساحة
93	الفصل الخامس: الدعاء وضرورة الارتباط بالمهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
93	إشارة
95	ميزان التواصل مع الإمام المهدي عليه السلام
98	نوع الارتباط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
100	رؤية الإمام عليه السلام دليل علي وجوده
101	حجية التشرف برؤية الإمام (عجل الله فرجه)
103	الحجية الأكمل والأتم
105	الفصل السادس: أثر البكاء في تقرب المسافات
105	إشارة
107	البكاء إحساس بالمسؤولية
110	أثر البكاء في الشحن الروحي
112	دعاء الندبة مدرسة تربوية
114	الممارسة اليومية للحب والمودة
115	التقرب الروحي والفكري
118	دوام الذكر يوجد المحبة
120	الدمعة آية المحبة
121	الفصل السابع: محورية المودة في لزوم الطاعة
121	إشارة
123	لغة الشوق والحنين
125	أثر الحب والتعلق بأهل البيت
127	القصد بالقلوب أبلغ
129	الحب والحنين خروج من الظلم

131	من طرق بابا أوشك أن يفتح
135	الفصل الثامن: الدعاء والقراءة الصحيحة للمشروع المهدوي
135	إشارة
137	كيف نقرأ علامات الظهور؟
138	منهج الإفراط
139	منهج التفريط
140	أين تكمن الخطورة؟
141	القراءة الصحيحة
144	الأهم هو العشق
145	من أراد استعداد!
146	أنت سيد الموقف
147	العلامة الكبرى للظهور الشريف
149	ضريبة العجز والتقصير
151	الفصل التاسع: مسؤوليات ومهام المؤمن قبل الظهور
151	إشارة
153	مسألة قديمة بلغة عصرية
157	دور المؤمنين في التمهيد للظهور المقدس
159	كلمة «يملأها قسطا وعدلا» تحملنا المسؤولية
161	تحمل المسؤولية والتدرج في التمهيد
164	التمهيد الروحي أجل وأعظم
167	مسؤوليتنا في إقامة الحكومة قبل الظهور
169	الفصل العاشر: النظام الأمني في المشروع المهدوي
169	إشارة
171	نظام أمني صارم وسرية تامة
174	التقية دين ونظام

177	السرية سبب من أسباب القوة
179	الغبية إحتفاظ بعنصر المبادرة
184	المسؤولية بين الكتمان.... والنشر
189	الفصل الحادي عشر: المفاهيم وضرورة حفظها -
189	اشارة
191	خطورة النكث بعد الأيمان
195	إقامة للعدل أو التزام العرف؟
202	ضرورة عدم الخلط بين الموازين
205	الاعتزال الإيجابي سنة من سنن الأنبياء
207	الفصل الثاني عشر: الوعي والبصيرة في مشروع التمهيد
207	اشارة
209	التعرف علي بنود المشروع
212	الوعي بالمشروع المهدي
213	ضرورة المعرفة والترويج للمشروع المهدي
216	الوعي والبصيرة في مواجهة الحرب الإعلامية
221	حرب المعلومات المضللة
223	الدولة المهيمنة بالعلم والبصيرة
227	الفصل الثالث عشر: العدالة مطلب عالمي
227	اشارة
229	قراءة جديدة لمنظومة العدل
231	أين تكمن سعادة البشر
234	القادر علي بسط العدل
237	الأصلح لقيادة العالم
240	معني «يملاها قسطا وعدلا»
243	الفصل الرابع عشر: بناء الأعراف الصالحة

243	اشارة
245	لا إقرار للأنظمة السياسية والأعراف المنحرفة
247	السعي نحوالأعراف الصالحة
251	بين القاعدة العقلية والعرفية
253	دور الأعراف المهدوية في تمييز الكمال الحقيقي
255	نشر الأعراف المهدوية الصالحة
257	الفصل الخامس عشر: قيادة النظام العالمي
257	اشارة
259	الشعارات المهدوية مشروع ومسؤولية
260	نقل الغيب وتعريفه لأهل الشهادة
264	المهمة الصعبة
264	اشارة
265	العامل الأول
266	العامل الثاني:
268	ميزان المواطنة في الدولة المهدوية
270	قيادة النظام العالمي
275	الجزء الثاني
275	اشارة
277	الإهداء
279	تمهيد
283	الفصل الأول: مقدمات الانهيار الحضاري وعوامل التغيير
283	اشارة
285	مراحل الانحدار والتغيير في المجتمعات
287	أعوان الظلمة سبب الطغيان
290	واقع التصادم بين نهجين مختلفين

292	المعصوم محور نظام العدل الإلهي
295	حضور المعصوم نظم لأطياف البشر
297	حفظ التوازن في المشاريع الإلهية
301	الفصل الثاني: عملية التغيير الاجتماعي.. الآليات والنتائج
301	إشارة
303	حقيقة النجاة في المشروع الإلهي
308	شروط النجاة في المشروع الإلهي
312	تذكير بالنعم في سبيل المشروع
314	التذكر ودوره في المعرفة والتغيير
317	البدء وأثره في المشروع الإلهي المنجي
321	صبر المؤمن في سبيل أهدافه نجاة له
323	الفصل الثالث: مقومات المشروع الإلهي في عملية التغيير
323	إشارة
325	المشروع الإلهي وحفظ المسؤولية
328	الفاعلية الصادقة مع المشروع المنجي
331	الاطمئنان والثقة في أداء المسؤولية
333	ضرورة التنامي المستمر في تحمل المسؤولية
336	ضرورة اتساع القاعدة الناصرة
339	الفصل الرابع: المشروع المنجي وضوابط العمل بين التقية والعلن
339	إشارة
341	ضوابط العمل في نصرة المشروع الإلهي
344	دفع التضارب في فهم الروايات
344	إشارة
344	الأمر الأول: الإعلان يضعف المشروع
345	الأمر الثاني: المحور هو الله وليس أنا

346 الأمر الثالث: معني التقنية في فلسفة التشريع
350 الأمر الرابع، اختلاف التوجيه باختلاف القابلية
353 ضوابط التقنية
357 الفصل الخامس: عملية التغيير الاجتماعي بين الجبر والتفويض
357 اشارة
359 سنة الله في التغيير
362 الإصلاح والتغيير يبدأ من الفرد
365 سنة الله في التغيير بين الجبر والتفويض
368 الموازنة بين اللاجبر واللاتفويض في عملية التغيير الاجتماعي
372 الجبر أو التفويض والمشروع المهدي في التغيير
375 التغيير الاجتماعي ينضبط بقاعدة لا جبر ولا تفويض
378 المصادر
381 فهرس المشروع السياسي للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)
389 فهرس مشروع النجاة والمسؤوليات
391 تعريف مركز

المشروع السياسي للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف : قراءة في الأبعاد العقائدية والفقهية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية لدعاء الندبة

اشارة

المشروع السياسي للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

قراءة في الأبعاد العقائدية والفقهية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية لدعاء الندبة

ويليه

مشروع النجاة والمسؤوليات

تقرير لأبحاث

المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

تأليف الشيخ ناجي الخاقاني

دار الحجج البيضاء

ص: 1

اشارة

جميع حقوق محفوظة الطبعة الأولى 1439 هـ / 2018 م

ISBN978-614-426-959-6

الرئيس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال - ص.ب: 14/5479

هاتف: 01/561211-03/287179 - تليفاكس: 01/552847

info@daralmahaja.com

almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

ص: 2

المشروع السياسي للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

قراءة في الأبعاد العقائدية والفقهية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية لدعاء الندبة

ص: 3

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

ص: 4

المشروع السياسي للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

قراءة في الأبعاد العقائدية والفقهية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية لدعاء الندبة

تقرير لأبحاث المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

الجزء الأول

إشارة

ص: 5

إلي كل المستضعفين والمظلومين...

وإلي كل من لا يجد له ناصرا غير الله .

إلي كل الحالمين بفجر جديد ... ليس فيه ظلم أو خوف أو جوع.

وإلي روح والدي ...

وقبل إلي ذلك إلي سيدهم ومنقذهم «الحجة بن الحسن المهدي» أمرواحنا التراب مقدمه الفداء ..

«يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُوجُ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .» (1)

ص: 7

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَي مَا جَرِي بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَانِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصَ تَهُمَ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ، إِذْ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلَالَ، بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الرُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدِّيَّةِ وَرُخْرُفِهَا وَزُبْرَجِهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ وَالشَّاءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ؛ وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَي رِضْوَانِكَ، فَبَعْضُ أَسَدِ كُنْتَهُ جَنَّتَكَ إِلَي أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضُ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكَكَ، وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضُ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا، وَسَأَلَكَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَأَجَبْتَهُ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَبَعْضُ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْلِيمًا، وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِذَاءً وَوَزِيرًا، وَبَعْضُ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَأَتَيْتَهُ الْبَيِّنَاتِ، وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ

الْقُدْسِ، وَكُلَّ شَرَعَتْ لَهُ شَرِيعَةً وَنَهَجَتْ لَهُ مِنْهَا جَاءً، وَتَخَيَّرَتْ لَهُ أَوْصِيَاءَ؛ بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ، إِقَامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلَيَّ عِبَادِكَ، وَ لِنَا لَا يَزُولُ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ، وَيَغْلِبُ الْبَاطِلُ عَلَيَّ أَهْلِهِ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مُنْذِرًا، وَأَقَمْتَ لَنَا عِلْمًا هَادِيًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزِي، إِلَيَّ أَنْ ائْتَهَيْتَ بِالْأَمْرِ إِلَيَّ حَبِيبِكَ وَنَجِيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَكَانَ كَمَا ائْتَجَبْتَهُ مِنْ يَدِي مَنْ خَلَقْتَهُ، وَصَدَّقْتَهُ مِنْ أَصْطَفَيْتَهُ، وَأَفْضَلَ مَنْ اجْتَبَيْتَهُ، وَأَكْرَمَ مَنْ اعْتَمَدْتَهُ، قَدَّمَتَهُ عَلَيَّ أَنْبِيَائِكَ، وَبَعَثْتَهُ إِلَيَّ الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَوْطَأْتَهُ مَشَارِقَكَ وَمَغَارِبَكَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْبُرَاقَ، وَعَرَجْتَ بِرُوحِهِ إِلَيَّ مِنْ مَائِكَ، وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَيَّ انْقِضَاءَ خَلْقِكَ، ثُمَّ نَصَرْتَهُ بِالرُّعْبِ، وَحَفَفْتَهُ بِجَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَالْمُسَوِّمِينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَوَعَدْتَهُ أَنْ تُظَهَرَ دِينَهُ عَلَيَّ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَوَّأْتَهُ مَبُورًا صِدْقٍ مِنْ أَهْلِهِ؛ وَجَعَلْتَ لَهُ وَلَهُمْ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِنِكَاةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَقُلْتُ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)، ثُمَّ جَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِكَ، فَقُلْتُ: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، وَقُلْتُ: مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، وَقُلْتُ مَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا؛

فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ، وَالْمَسَدَ لَكَ إِلَيَّ رِضْوَانِكَ، فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَامَ وَلِيَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَ لَمَوَاتِكَ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا هَادِيًا، إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْدِرَ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، فَقَالَ وَالْمَلَأُ أَمَامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاحْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ، وَقَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَأَنْبِيَّ بَعْدِي، وَرَوْجَهُ ابْنَتُهُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ؛ فَقَالَ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، لِحَمِّكَ مِنْ لِحْمِي، وَدَمِّكَ مِنْ دَمِي، وَسِلْمُكَ سِلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيمَانُ مُخَالِطُ لِحْمِكَ وَدَمِّكَ كَمَا خَالَطَ لِحْمِي وَدَمِي، وَأَنْتَ غَدَا عَلِيٍّ الْحَوْضِ خَلِيفَتِي، وَأَنْتَ تَقْضِي دِينِي، وَتُنْجِزُ عِدَاتِي، وَشِدْعَتِكَ عَلَيَّ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ مَبِيضَةٍ وَجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ حِيرَانِي، وَلَوْلَا- أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي، وَكَانَ بَعْدَهُ هُدًى مِنَ الضَّلَالِ، وَنُورًا مِنَ الْعَمَى، وَحَبَلًا لِلَّهِ الْمَتِينِ، وَصِدْرًا لَهُ الْمُسْتَقِيمِ؛ لَا يُسْبِقُ بِقَرَابَةٍ فِي رَحِمٍ، وَلَا بِسَابِقَةٍ فِي

دين، وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبِهِ مِنْ مَنْقَبِهِ، يَحْدُو حَدَّو الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا، وَيُقَاتِلُ عَلَي التَّوِيلِ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَنَائِدَ الْعَرَبِ، وَقَتَلَ أَبْطَالَهُمْ، وَنَاوَشَ ذُؤَابَانَهُمْ، فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْرِيَّةً وَحَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَصَبَتْ عَلَي عِدَاوَتِهِ، وَأَكَبَّتْ عَلَي مُنَابَذَتِهِ، حَتَّى قَتَلَ التَّاكِيثِينَ وَالْقَاسِدِينَ وَالْمَارِقِينَ، وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشَقِي الأَخْرِينَ يَتَّبِعُ أَشَقِي الأَوَّلِينَ لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الهَادِينَ بَعْدَ الهَادِينَ، وَالْأُمَّةُ مُصِـرَّةٌ عَلَي مَقْتِهِ، مُجْتَمِعَةٌ عَلَي قَطِيعَةِ رَحِمِهِ، وَإِقْصَاءُ وُلْدِهِ، إِلَّا القَلِيلَ مِمَّنْ وَفِي لِرِعَايَةِ الحَقِّ فِيهِمْ؛ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ، وَسَبَّى مَنْ سَبَّى، وَأَقْصَى مَنْ أَقْصَى، وَجَرَى القَضَاءُ لَهُمْ بِمَا يُرْجَى لَهُ حُسْنُ المَثُوبَةِ، إِذْ كَانَتْ الأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَسُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولًا، وَلَنْ يُحْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، فَعَلَي الأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلَيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلْيَبْكُوا البَاكُونَ، وَإِيَاهُمْ فَلْيَتَذَبَّ النَّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْيَتَذَرِفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصَّارِخُونَ، وَيَضْحَكِ الضَّاحُونَ، وَيَعِجَّ العَاجُونَ، أَيَّنَ الحَسَنُ؟ أَيَّنَ الحَسَدُ؟ أَيَّنَ أبنَاءُ الحَسَنِينَ؟ صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ، وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ، أَيَّنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ؛ أَيَّنَ الخَيْرَةُ بَعْدَ الخَيْرَةِ؟ أَيَّنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ؟ أَيَّنَ الأَقْمَارُ المُنِيرَةُ؟ أَيَّنَ الأَنْجُمُ الرَّاهِرَةُ؟ أَيَّنَ

أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ؟ أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهَادِيَةِ؟ أَيْنَ الْمُعَدَّةُ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ؟ أَيْنَ الْمُنتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأُمْتِ وَالْعَوَجِ؟
أَيْنَ الْمُرْتَجِي لِإِزَالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ؟ أَيْنَ الْمَدَّخِرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ؟ أَيْنَ الْمُتَخَيِّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟ أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْيَاءِ
الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ؟ أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟ أَيْنَ قَاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ؟ أَيْنَ هَادِمُ أُبَيَّةِ الشُّرْكِ وَالنَّفَاقِ؟ أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ
وَالْعَصْدِيَّانِ وَالطُّغْيَانِ؟ أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الْغِيِّ وَالشَّقَاقِ؟ أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ؟ أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الْكَيْدِ وَالْإِفْتِرَاءِ؟ أَيْنَ مُبِيدُ الْعُنْتَةِ
وَالْمَرَدَةِ؟ أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالتَّضَلُّلِ وَالْإِلْحَادِ؟ أَيْنَ مُعَزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمَذِلُّ الْأَعْدَاءِ؟ أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَيَّ التَّقْوَى؟ أَيْنَ بَابُ اللَّهِ
الَّذِي مِنْهُ يُؤْتِي؟ أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟ أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِرُ رَايَةِ
الْهُدَى؟ أَيْنَ مُؤَلِّفُ سَهْمِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا؟ أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ؟ أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمُقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ؟ أَيْنَ الْمُنْصُورُ عَلَيَّ
مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ وَافْتَرَى؟ أَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا؟ أَيْنَ صَدْرُ الْخَلَائِقِ ذُو الْبِرِّ وَالتَّقْوَى؟ أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصَدِّقِ، وَابْنُ عَلِيِّ
الْمُرْتَضَى، وَابْنُ خَدِيجَةَ الْغُرَّاءِ، وَابْنُ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى؟ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَكَ الْوِقَاءُ وَالْحَمِي، يَا ابْنَ السَّادَةِ الْمُقَرَّبِينَ،

يَا ابْنَ النَّجْبَاءِ الْكَرِيمِينَ، يَا ابْنَ الْهَدَاةِ الْمَهْدِيِّينَ، يَا ابْنَ الْخَيْرَةِ الْمُهَدِّدِينَ، يَا ابْنَ الْغَطَارِقَةِ الْأَنْجَبِينَ، يَا ابْنَ الْأَطَائِبِ الْمُطَهَّرِينَ، يَا ابْنَ
الْخَضَارِمَةِ الْمُنتَجِبِينَ، يَا ابْنَ الْقِمَاقِمَةِ الْكَرِيمِينَ، يَا ابْنَ الْبُدُورِ الْمُنِيرَةِ، يَا ابْنَ الشَّرْحِ الْمُضِيئَةِ، يَا ابْنَ الشُّهْبِ الثَّقَابَةِ، يَا ابْنَ الْأَنْجَمِ الرَّاهِرَةِ؛ يَا
ابْنَ السُّبُلِ الْوَاضِحَةِ، يَا ابْنَ الْأَعْلَامِ اللَّائِحَةِ، يَا ابْنَ الْعُلُومِ الْكَامِلَةِ، يَا ابْنَ السُّنَنِ الْمَشْهُورَةِ، يَا ابْنَ الْمَعَالِمِ الْمَأْثُورَةِ، يَا ابْنَ الْمُعْجَزَاتِ
الْمَوْجُودَةِ، يَا ابْنَ الدَّلَائِلِ الْمَشْهُودَةِ، يَا ابْنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، يَا ابْنَ النَّبَأِ الْعَظِيمِ، يَا ابْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَى اللَّهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ، يَا ابْنَ
الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ، يَا ابْنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَاتِ، يَا ابْنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَاتِ الْبَاهِرَاتِ، يَا ابْنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَاتِ، يَا ابْنَ النَّعَمِ السَّابِغَاتِ، يَا ابْنَ طَه
وَالْمُحْكَمَاتِ؛ يَا ابْنَ يَسِّ وَالذَّرِّيَّاتِ، يَا ابْنَ الطُّورِ وَالْعَادِيَّاتِ، يَا ابْنَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى دُنُوًّا وَاقْتِرَابًا مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى،
لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى؟ بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّكَ أَوْ تُرِي؟ أِبْرَضُوِي أَوْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طُوِي؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرِي، وَلَا
أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلَا نَجْوِي، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلْوِي وَلَا يَنَالِكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوِي، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِتًّا،
بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةٌ شَائِقٌ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرًا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدٍ عَزَّ لَا يُسَامِي؛

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجَارِي ، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادٍ نَعَمٍ لَا تُضَاهِي ، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيْفِ شَرْفٍ لَا يُسَاوِي ، إِلَيَّ مَتَى أَحَارُ فِيكَ يَا
مَوْلَايَ وَإِلَيَّ مَتَى ؟ وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى ؟ عَزِيْزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَأُنَاعِي ، عَزِيْزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى ، عَزِيْزٌ
عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيَّكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى ، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيْلَ وَالْبُكَاءَ ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدُ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا ؟ هَلْ قَدِيتُ عَيْنٌ
فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَيَّ الْقَدِي ؛ هَلْ إِلَيْكَ يَا بَنَ أَحْمَدَ سَبِيْلٌ فَتُلْقِي ؟ هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمَنَا مِنْكَ بَعْدَ فَنَحْطِي ؟ مَتَى نَرُدُّ مَنَاهْلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرَوِي ؟ مَتَى
نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدِي ؟ مَتَى نُغَادِيكَ وَنُرَاوِحُكَ فَنُقَرَّرَ عَيْنًا ؟ مَتَى تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لَوَاءَ النَّصْرِ تُرِي أَتْرَانَا نَحْفُ بِكَ وَأَنْتَ
تَوْمُ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا ، وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَانًا وَعِقَابًا ، وَأَبْرَتَ الْعُتَاةَ وَجَحْدَةَ الْحَقِّ ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَاجْتَشَّتَ أَصُولَ
الظَّالِمِينَ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَّافُ الْكُرْبِ [الْكُرْبِ] وَالْبُلُوِي ، وَإِلَيْكَ أَسْتَعْدِي فَعِنْدَكَ الْعَدُوِي ، وَأَنْتَ رَبُّ
الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا ، فَأَعِثْ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَعِيْثِينَ عُبَيْدَكَ الْمُبْتَلِي ، وَأَرِهِ سَيْدَهُ يَا شَدِيْدَ الْقُوِي ، وَأَزِلْ عَنْهُ بِهِ الْأَسَدِي وَالْجَوِي ، وَبَرِّدْ غَلِيْلَهُ يَا مَنْ عَلَيَّ
الْعَرْشِ اسْتَوِي ، وَمَنْ إِلَيْهِ الرَّجْعِي وَالْمُنْتَهِي . اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عِبِيدُكَ التَّائِقُونَ إِلَيَّ وَلِيَّكَ الْمُدَكَّرُ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ ،

خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلَاذًا، وَأَقَمْتَهُ لَنَا قِوَامًا وَمَعَاذًا، وَجَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَّا إِمَامًا، فَبَلِّغْهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا وَزِدْنَا بِذَلِكَ يَا رَبِّ إِكْرَامًا؛ وَاجْعَلْ مُسْتَقَرَّهُ
لَنَا مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، وَأَتِمِّمْ نِعْمَتَكَ بِتَقْدِيمِكَ إِيَّاهُ أَمَامَنَا حَتَّى تُورِدَنَا جَنَّاتِكَ وَمُرَافِقَةَ الشُّهَدَاءِ مِنْ خُلَصَائِكَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
وَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ جَدِّهِ وَرَسُولِكَ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ وَعَلَيَّ أَبِيهِ السَّيِّدِ الْأَصْغَرَ وَجَدَّتِهِ الصَّدِيقَةَ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَعَلَيَّ مِنْ أَصْطَفَيْتَ مِنْ آبَائِهِ الْبَرَّةِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَتَمُّ وَأَدْوَمُ وَأَكْثَرُ وَأَوْفَرُ مَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيَائِكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ؛ وَصَلِّ
عَلَيْهِ صَلاةً لَا غَايَةَ لِعَدَدِهَا، وَلَا نِهَايَةَ لِمَدَدِهَا، وَلَا نَفَادَ لِأَمَدِهَا، اللَّهُمَّ وَأَقِمْ بِهِ الْحَقَّ، وَأُدْحِضْ بِهِ الْبَاطِلَ، وَأَدِلْ بِهِ أَوْلِيَاءَكَ، وَأَذِلِّلْ بِهِ أَعْدَاءَكَ،
وَصِلْ لِي اللَّهُمَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَصَلةً تُوَدِّي إِلَيَّ مُرَافِقَةً سَلَفِي، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ بِحُجْرَتِهِمْ، وَيَمْكُثُ فِي ظِلِّهِمْ، وَأَعِنَّا عَلَيَّ تَأْدِيبَةِ حَقِّ وَقِهِ إِلَيْهِ،
وَالاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِرِضَا، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا نَنَالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَفَوْزًا عِنْدَكَ،
وَاجْعَلْ صَلاتنا بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبنا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدُعَاءنا بِهِ مُسْتَجَابًا؛ وَاجْعَلْ أَرْزَاقنا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومنا بِهِ مَكْفِيَةً، وَحَوَائِجنا بِهِ مَقْضِيَةً، وَأَقْبِلْ
إِلَيْنَا بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَقْبِلْ تَقَرُّبنا إِلَيْكَ، وَأَنْظِرْ إِلَيْنَا نَظْرَةً رَحِيمَةً

نَسَّ تَكْمِلُ بِهَا الْكِرَامَةَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تَصْرَفُهَا عَنَّا بِجُودِكَ، وَاسْتَقْنَا مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَأْسِهِ وَيَدِهِ رِيًّا رَوِيًّا هَنِيئًا سَائِغًا لَا ظَمًا
بَعْدَهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

ص: 17

الحمد لله حمدا كثيرا دائما، والصلاة والسلام علي سيد الخلق أبي القاسم محمد، وعلي آله الطيبين الطاهرين مظهري أدلة التوحيد، والمصطفين ملوكا لحفظ النظام، والمبعوثين لقيام القسط في إبتداء الوجود إلي يوم الدين.

مشروع المهدوية

المنتظر الموعود يكاد يكون القاسم المشترك بين الشعوب والحضارات المختلفة، ولا- تكاد تخلو أمة من الأمم من هذه الفكرة، فكل الشعوب تنتظر المنقذ الذي يخلصها من الظلم والاضطهاد، ويحقق لها الحياة الحرة الكريمة حيث العدل والمساواة.

وبسبب الشغف بهذا المشروع استغل الكثير من أصحاب النفوس المريضة عبر التاريخ هذه المسألة، كما حاولوا استغلالها من اجل الوصول إلي السلطة، ومتي ما تمكنوا منها عادوا ليمارسوا أنواع الظلم والبطش والاضطهاد لتلك الشعوب، وصار حكمهم ملكا عضوضا يتوارثه الأبناء عن الإباء.

هذا المشروع هو ضرورة إنسانية، فكل الأمم لازالت تؤمن بوجود

مصلح عالمي سيظهر لكي يوحد البشرية تحت لوائه فيزيل كل الحواجز نحو الأخوة البشرية، ويزيل كل أنواع الظلم والإضطهاد.

وإن كان هذا الأمر لا تختص به أمة دون أخرى لكن يبقى المنتظر الإسلامي (الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف) هو المصدق الحقيقي والوحيد لمفهوم المصلح العالمي، فهو بشاره الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو المنتظر الإقامة الأمت والعوج وإصلاح ما أفسده الطغاة، وهو الذي سيملاًها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهو الذي قال فيه رسول الله صلي الله عليه وآله: «أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي علي اختلاف من الناس وزلزال فيملاًها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»⁽¹⁾.

وعليه فمن نافلة القول إن المؤمن بهذا المشروع الإلهي والمنتظر له عليه أن يتعرف علي هذا المشروع، ويسعي لإزالة العقبات عن

طريقه في سبيل تعجيل الظهور المقدس، والتمهيد لإقامة الحكومة الإلهية العادلة، وهذا يتم فيما لو دققنا النظر في المشروع المهدي من خلال رؤيا «الثقلين»، القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام والنصوص الواردة عنهما، سواء تلميحا أو تصريحاً، وقراءة بنود هذا المشروع قراءة واعية، لا قراءة سطحية ساذجة بعيدة عن الواقع تحولنا إلي منتظرين متفرجين ساكنين.

فمما لا شك فيه أن هناك نوعين من الانتظار:

أحدهما هو الانتظار السلبي، وهو يعني القعود وترك العمل للظروف وحوادث الأيام.

ص: 20

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 81.

والثاني هو الانتظار الإيجابي الذي يقترن بالعمل والجهد وإعداد العدة والاستعداد لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، وهؤلاء المنتظرون هم الذي يعتقدون أن الإمام غاب خفاء نتيجة عدم توفر الظروف الموضوعية للمشروع المهدي، وهذا يعني العمل من أجل «استرجاع» الغائب المستور من غيبته وتمهيد الأرض لقيام دولته المباركة، وإنه لشرف عظيم أن يكون المرء فاعلا في تحقيق هذا المشروع الإلهي المقدس.

من المؤكد أنه لا يمكن للأمر أن تستقيم عفوا لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، بشهادة صادق آل محمد عليه الصلاة والسلام في رده علي من قال بذلك، قال: «كلا والذي نفسي بيده لو استقامت عفوا الاستقامت لرسول الله صلي اللع عليه وآله حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتي نمسح نحن وأنتم العرق والعلق، ثم مسح جبهته»⁽¹⁾.

وهذه الرواية تكفي لتلخيص المطلوب، وأن المشروع الإلهي لا يتحقق إلا بالعمل الدؤوب والمشارك.

هذا الدور يحتاج إلي وعي في قراءة المشروع المهدي، والذي وردت علاماته وشروطه وآلياته عن طريق «الثقلين»، سواء في النصوص القرآنية أو الأحاديث الواردة عن النبي وآله عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، وهذه القراءة الواعية تكون من خلال التعاطي المنظومي المجموعي مع البنود المهدوية، لا فقرة دون أخرى.

ص: 21

هذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات التي ألقاها سماحة آية الله العظمي الشيخ «محمد السند دام ظلّه» في مسجد «عمران بن شاهين» في «العتبة العلوية المقدسة»، تحدث فيها عن المشروع المهدوي من خلال بنود دعاء الندبة وبقية الأدعية والزيارات الخاصة بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهي قراءة منظومية لمجموعة لبنود المشروع المهدوي بلغة عصرية، وضح فيها سماحته آليات القراءة الصحيحة والواعية والبصيرة لهذا المشروع الإلهي المقدس، لتتحول عندها من الانتظار السلبي إلى الإيجابي، ونكون فاعلين في هذا المشروع، ممهدين لظهوره المبارك، ومشاركين في إقامة دولة العدل الإلهي.

ولأهمية تلك المحاضرات قمنا بتقريرها وصياغتها في هذا الكتاب لتعم فائدتها المؤمنين المنتظرين لسطوع أمل البشرية ومنقذها عجل الله تعالى فرجه شريف.

نسأل الله سبحانه أن نكون قد وفقنا في هذا العمل، وأن يتقبل منا بمنه، ويعفو عنا وعن والدينا بكرمه.

«ربنا اليك أنبنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم».

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ ناجي الخاقاني

النجف الأشرف 1439هـ

إشارة

- سند دعاء الندبة

- تنبيهات مهمة

- معني الندبة

- الأركان الرئيسية في الدعاء

- خلاصة التراث

ص: 23

إشارة

هناك من يثير بعض التساؤلات عن سند دعاء الندبة وقد يصل إلي إثارة اللغط والتشكيك بهذا الدعاء الشريف.

والإجابة علي هذا التساؤل أورد التشكيك بسند الدعاء الشريف من خلال عدة وجوه، وإن كان العمدة في الحجية ليس السند فقط، وهذا ما دأب عليه مشهور الفقهاء كالشيخ المفيد والسيد المرتضي وابن زهرة وأكثر القدماء ايضاً، كما نقل الشيخ الأنصاري في الرسائل أن الركن الأهم في حجية الخبر هو متن الخبر ونفس الحديث الشريف، والمحقق الحلي كذلك في كتاب معارج الأصول، بل إن الشيخ المفيد وبعض القدماء عدوا من يجعل الطريق هو الركن الأهم من الحشوية، وهذا لا يعني أن الطريق والسند ليس له دور، بل له دور ولكنه شرط جزء في موضوع الحجية، أما الركن الأهم في الحجية فهو المتن.

ويجب الالتفات إلي أن الخبر لا تستتم حجيته إلا بعدة جهات: منها حجية الطريق، وحجية جهة الصدور، وحجية الدلالة، مضافة إلي أن صحة الكتاب تغاير صحة الطريق.

أما سند الدعاء فيمكن معرفة صحته من عدة وجوه:

سيرة العلماء والمؤمنين علي اعتمادهم، حيث دأب العلماء الأوائل منذ القرن الرابع تقريبا علي تربية الأمة وفي أوقات مهمة وحساسة في الأعياد وأيام الجمع تربية عقائدية وإيمانية وتحويلها إلي شعيرة، وهي الاستمرار في دعاء الندبة، والدعاء به لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف منذ بداية عصر الغيبة الكبرى، وأصبح ظاهرة عبادية منتشرة ومن طقوس ومعالم الإيمان، وسيرة علماء الإمامية فيه تربية المؤمنين علي تعهده والاستمرار في التمسك به.

بل إن الشيخ الأنصاري رحمه الله محقق وأستاذ الفقهاء، يستدل علي بحث حساس ومعقد في الخيارات في بحث الشروط - وهو بحث مفصلي في كل العقود والإيقاعات في معني الشرط، وهل أنه يشمل الشرط الابتدائي أو غيره - بمقطع من متن دعاء الندبة: «وشرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية..» ويرسله هكذا إرسال المسلمات.

وهكذا المرحوم الأصفهاني وكذلك السيد الخوئي رحمة الله عليهما، فسيرة علماء الإمامية في الاستدلال بدعاء الندبة شيء مركز لديهم، وليس فقط سيرة عملية بل فتوائية أيضا كما في جعل مقطعا منه مستندا لقاعدة الشروط، والتي هي قاعدة خطيرة تجري في كل العقود، وهذا الأمر مفروغ منه منذ القرن الرابع، وهو ظاهرة موجودة وشائعة.

الوجه الثاني :

أنه متواتر لفظا، وهذه حقيقة متحققة وإن يستغرب البعض منها، وهذا الأمر قامت بالدلالة عليه إحدی المؤسسات العلمية الحوزوية،

حيث وجدت بعد التحقيق أن دعاء الندبة موجود بألفاظه وبنوده في جمل والفاظ وحيانية متواترة لفظاً، أي أن كل جملة فيه أو جملتين معا يوجد لها نص وحياني، بل إن البعض منها لها وجود وحياني قرآني فهم لم يكتفوا بالاستفاضة المعنوية، أو التواتر المعنوي، أو اللفظية المعنوية، بل اثبتوا التواتر اللفظي في كل بنوده وجمله، وهذه الطريقة هي من خلال الاتيان بألفاظ الدعاء جملة جملة، أو جملتين بمعني واحد ثم يبحثون في طوائف الروايات الواردة في موارد عديدة فيجدون نفس اللفظ ونفس التركيب والسياق، لكن هذا التواتر يسمى تواتر توليفي وهو تواتر حقيقي، يعني هو مؤلف من مجموعة طوائف من الروايات كل منها تشكل وروداً لهذه اللفظة المعينة، ومن المجموع يصبح عندنا تواتر لفظي حسب هذه الضابطة.

والتواتر له أقسام عديدة منها: التواتر اللفظي، والتواتر المعنوي، والأجمالي، والنظري، والبديهي، وأيضا تواتر وسيع الدائرة ومتوسطه، وتواتر نخبوي، واحكامها تختلف عن بعضها البعض، ويجب الالتفات إلي ذلك.

مثلاً: إذا نظرنا إلي اللغة العربية فإنها بتمام موادها وخصوصياتها وقواعدها متواترة، ولكن هذا التواتر ليس عند كل من يتكلم اللغة العربية، بل هناك من يتكلم اللغة العربية أبا عن جد لكنه لا يحيط بدقائقها، فهو متواتر فقط عند مجموعة من النخب، وهذا ما يسمونه تواتر ضمن دائرة محدودة، وهو قسم من أقسام التواتر، والبعض غفلة ينفي التواتر في حال عدم وجوده عند دائرة وسيع، وهذا بسبب عدم الاطلاع علي أقسامه، فلو فرضنا أن أحد أصحاب الإمام الصادق أو الكاظم أو الرضا عليهم السلام والان لم يكن

مطلعا علي كل الأئمة، فهذا لا ينفي التواتر، لأنه عبارة عن دوائر، وقد لا يكون هذا الشخص مشمولاً بدائرة التواتر.

هذه الشبهات والمغالطات تثار لعدم الانتباه إلي أقسام التواتر، ومن هذا الباب قال كبار العلماء بالتواتر النظري، وهو ما يختص بالاطلاع عليه رواد العلماء وكبارهم لأنهم يملكون تتبع علمي صناعي ثاقب، يعلمون من خلاله أن هذا الأمر متواتر في روايات أهل البيت عليهم السلام وهذا ما يسمى بالتواتر النظري، وإن كان عموم العوام أو حتي بعض العلماء لا يعلمون به فلا يصح الاستعجال بأنكار التواتر بمجرد عدم وجود الوسيغ منه بعد وجود النخبوي منه.

وهذا الأمر يشبه جغرافيا الكرة الأرضية التي فيها تواتر لدي عموم البشر، بخلاف جغرافية بلد معين فإنها ليست مواترة لكل البشر، بل هي متواترة عند أبناء ذلك البلد أو المجاورين له، وعدم توفر التواتر لعموم البشر، لا ينفي التواتر لدي دائرة أضيق، لما تقدم أنه علي أقسام متعددة.

وعليه لا يجب التشكيك في المسائل الحساسة، بحجة عدم التواتر لمن لا يملك القابلية والتخصص في علم الرجال والدراية والحديث وعلوم أخرى تقع في هذا السياق.

وبما أن تراث الدين مهم جدا فيجب الحذر من الحكم عليه بهذه الطريقة، فهو منسوب إلي السماء سواء بنسبة احتمالية أو جزمية، والنسبة الاحتمالية لها أهمية، نعم ليس هناك تسامح أو إنفلات من هذا الطرف أو ذاك.

وعلي ضوء هذا المنهج فإن دعاء الندبة بندا بندا وردت ألفاظه في

روايات عديدة من مجموعها يصبح لدينا تواترا لفظيا بتلفيق طوائف الروايات، أما أن يكون تواترا من أول الدعاء إلي آخره فالأمر بهذه الطريقة ليس ضروريا.

ولكن يجب الالتفات إلي أن الأدعية مصادر معرفية مهمة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهي من الأهمية بمكان وهي ليست أمر هينا، لذا يجب التدقيق فيها طبق موازين علمية دقيقة.

كما أن المؤسسة العلمية التي قامت بتخريج بنود وجمل الدعاء أثبتت أن جملة من البنود الواردة في هذا الدعاء الشريف فيها هي في الأصل بنود قرآنية وهذه نكتة لطيفة، لكي لا يتوهم أحد بأن هذه القوالب (الأدعية) من وضع عالم من العلماء كما للأسف يتلفظ به البعض من دون دراية، فكل إنسان يحدد موقفا علميا من دون مستند، نفيًا وإثباتًا يحاسب عليه، «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (1).

ولو أشكل وقيل: سلمنا أن بنود الدعاء متواترة وأنها ألقاظ وحيانية، أما النظم والربط بين تلك البنود فهو بشري؟

فجوابه: أن الربط البشري لا يخل بحجية البنود الوحيانية حتي ولو كان هناك تقديم وتأخير في المطالب، فكل كتب الأحاديث الموجودة عندنا تبويبها نظم بشري، ولكن حجية تلك الأحاديث ثابتة، وحتى القرآن الكريم فنحن نعلم أن العهد المكي أسبق من المدني، لكنك تجد في تسلسل السور القرآنية الموجودة بين الدفتين عدم مراعاة لذلك الأمر،

ص: 29

وترى سور مدينة قبل المكية، وهذا لا يخل بحجية القرآن الكريم، وهذا الأمر ينطبق أيضا علي دعاء الندبة الشريف.

الوجه الثالث:

أحد المباني والمدارس في علم الرجال، تعتقد أن نفس كتب الحديث هي مصدر من مصادر علم الرجال، من خلال علم الطبقات وعلم تجريد الإسناد، يعني الأسانيد الموجودة في كتب الحديث وطبقاتها تعتبر أعظم مصدر متواتر ومتصل لعلم الرجال، وقد مارسه الكثير من العلماء منهم شيخ الشريعة وكذلك الوحيد البهباني والشيخ علي النمازي وغيرهم، ومن خلال علم الأسانيد يعرف الراوي التلميذ وأستاذه ومشربه العلمي وكفائته.

ومن خلال هذا المبني الرجالي نستطيع معرفة وثيقة سند دعاء الندبة، فأقدم مصدر لهذا الدعاء هو كتاب «المزار» للشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر بن المشهدي⁽¹⁾ وهو يروي عن محمد بن علي بن أبي قرّة⁽²⁾، والذي بدوره نقله عن كتاب محمد بن الحسن بن سفيان البزوفري⁽³⁾.

ص: 30

1- الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر بن المشهدي «كان فاضلا محدثا صدوقا» وكذلك وثقه الشيخ الطوسي والشيخ حسن بن نما بذات العبارة التي عبر بها الشهيد إذ قال عنه: «الشيخ الإمام السعيد عبد الله محمد بن جعفر المشهدي رحمه الله» (الحر العاملي، مع د بن الحسن: أمل الآمل في علماء جبل عامل، ج 2، ص 253، ص 252).

2- محمد بن علي بن يعقوب بن اسحاق بن أبي قرّة، أبو الفرج، القناني، الكاتب، ثقة. وكذلك قال العلامة في الخلاصة. (رجال النجاشي، ص 398).

3- روي عنه الشيخ المفيد والحسين بن عبيد الله وأحمد بن عبدون. ووالده من الثقات، إذ قال فيه الشيخ النجاشي: «الحسين بن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان أو عبد الله البزوفري، شيخ ثقة، جليل، من أصحابنا، له كتب» والشيخ المفيد أكثر من الرواية عنه وهو شيخه وأستاذه. (النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي: أسماء مصنفي الشيعة رجال النجاشي)، ص 69، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1416هـ، ط 5)

والبزوفري الذي يروي الدعاء هو أحد وجوه الحجية فيه، فهو يروي عن الشيخ حسين بن روح النوبختي السفير الثالث للإمام المهدي عجل الله تعالي شريف مباشرة وأحياناً بالواسطة، يعني بطبيعة الحال هو يروي التوقيعات الشريفة الصادرة من الناحية المقدسة، كما يروي السفراء المحمودين بالواسطة، وكل علماء الإمامية يتعاملون مع ما يصدر من السفراء المحمودين معاملة توقيع صادر من الناحية المقدسة، وهذا التعامل هو نفسه مع دعاء الندبة الذي يرويّه البزوفري، أي يتعاملون معه معاملة التوقيع الصادر من الناحية المقدسة وهذا هو ديدن علماء الإمامية.

بقي أمر، وهو أن المجلسي رحمت الله⁽¹⁾ يسند دعاء الندبة إلي الإمام الصادق عليه السلام مع أن أغلب الفقهاء يسندونه إلي الناحية المقدسة، ومنشأ هذا الإسناد هو رواية عن سدير الصيرفي.

وأيضاً رواه السيد ابن طاووس في مصباح الزائر، وكذلك رواه في الأقبال، وهذا المصدر مهم جداً، والسيد الخوئي تبعاً لمعاصره «آغا بزرك الطهراني» أكد أن السيد ابن طاووس ألم بكم كبير من تراث الحديث

ص: 31

1- هكذا ورد في كتاب (زاد المعاد) للعلامة المجلسي قدس سره: «وأما دعاء الندبة المشتمل علي العقائد الحقّة والتأسف علي غيبة القائم عجل الله تعالي فرجه الشريف، فقد نقل بسند معتبر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويستحب أن يقرأ دعاء الندبة هذا في الأعياد الأربعة، أي: الجمعة، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الغدير» (العلامة المجلسي، محمد باقر: زاد المعاد، ص 488، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002م، ط 1).

وتراث الرجال وكتب الإمامية إماما كبيرا يفوق معاصريه فضلا عن جاء من بعده.

الوجه الرابع:

لا شك أن القرآن الكريم كل ما فيه مقدس وعظيم وهو دستور خالد، وكما بين أهل البيت عليهم السلام أن نظم المعلومات والمعادلات العلمية المودعة فيه ليست علي درجة واحدة من الأهمية، كما صرح بذلك القرآن الكريم في سورة آل عمران: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (1)، وكذلك في سورة المائدة: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» (2).

فعظمة المحكم لا من حيث الدلالة، وإنما من المعلومة والمعادلة العلمية الموجودة في الآية، فهي معلومة ومعادلة مهيمنة، وهذا النظام موجود في كل العلوم أيضا، فهناك بعض المعادلات الفوقية المهيمنة والتي تنفرع منها بقية أبواب العلم، وهيمنة القرآن الكريم علي بقية الكتب هو من هذا الباب، فعلمه تحيط بما موجود في التوراة والإنجيل وبقية الكتب السماوية من حيث العلو والسعة والإحاطة.

ص: 32

1- سورة آل عمران، الآية 7.

2- سورة المائدة، الآية 48

وهذا الأمر بعينه يجري في تراث أهل البيت عليهم السلام حيث فيه المحكم والمهيمن والأهم والمهم، ومن هذا التراث المهيمن هو دعاء
الندبة وتبيان ذلك يتم بعدة تنبيهات:

ص: 33

أولاً: دعاء الندبة كمضمون متسق مع منظومة الدين بشكل بنيوي متناسق، حاله في ذلك حال بقية الأدعية والزيارات المشهورة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام .

علي ذلك تسالم أعلام الإمامية، ولذلك تسمية الدعاء أو الزيارة بأسم معين لا يوجب أو يوحي إلي الذهن بأن هذا الدعاء أو تلك الزيارة مخصوصة فقط بهذا العنوان، بل إن كل دعاء أو زيارة فيها من الوهج النوري والعناوين الشيء الكثير.

علي سبيل المثال دعاء الندبة هو في حقيقته كما ذكر السيد بن طاووس وغيره من أعلام الإمامية أنه زيارة لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي شريف، بالإضافة إلي ذلك فيه ماهيات أخرى مثل الشوق والتودد لأهل البيت عليهم السلام والتواصل معهم، وأيضاً فيه التعلم والمعرفة، بالإضافة إلي أمور أخرى موجودة، وهذا أمر يجب الالتفات إليه، بل إنه من الخطأ اعتبار الدعاء أو الزيارة ماهية واحدة، بل هي زيارة ودعاء وتشهد وتجديد للعهد وإلي ما شاء الله من العبادات الأخرى المنطوية تحت عنوان عبادي واحد.

ثانياً: أن العبادات في الشارع المقدس غير محصورة بأبواب معهودة كباب الصلاة أو الصوم أو الحج وغيرها، مع أن كل العبادات هي توقيفية

توقيتية لأن العبادات في حقيقة الأمر متعددة، ففي الصلاة علي سبيل المثال التشهد بنفسه عبادة، والخضوع بنفسه عبادة أيضا، والركوع والسجود والدعاء كل مفردة في نفسها عبادة، فالصلاة في حقيقتها مجموعة من العبادات جمعت في هذا العنوان.

وحتى الحالات النفسية للإنسان هي عبادة كالرضا بقضاء الله وقدره، والتوكل عليه وهكذا، فعناوين العبادة أكبر وأكثر من أن تحصى. ثالثا: هناك عبادات قلبية وأخرى بدنية، يعبر عن الأولي بـ «القلوب» أو «القلوب الأوسط»، وعن الثانية بـ «البدان» أو «البدان الأصغر» (فقه الفروع)، أما العقائد فيعبر عنها بـ «الفقه الأكبر».

وهذا التقسيم يجب الالتفات إليه ووضع في الحسبان، فكما للصوم تروك وواجبات في الأكل والشرب وما شابه، هناك أيضا تروك وواجبات قلبية كما ورد عن أهل بيت العصمة والطهارة، وإلي هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلي الله عليه وآله: «الصوم جنة، فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمة عن خطرات الشياطين، وانزل نفسك منزلة المرضي، ولا تشتهي طعاما ولا شرابا، وتوقع في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معني الإخلاص لوجه الله» (1). والأمر كذلك في الطواف فالأبدان تطوف حول الكعبة، أما كعبة القلوب فشيء آخر: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

ص: 35

1- مصباح الشريعة للإمام جعفر بن محمد الصادق، ب63، ص135، مؤسسة الأعلمي، ط2، 1983.

الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (1)، والأفئدة لا تهوي الحجر! بل تهوي ذرية إبراهيم المصطفاة «محمد وآله الطاهرين عليهم الصلاة والسلام»، فقد جاء عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم» (2).

كذلك قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ۖ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَيَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (3) قبله القلوب هي ولاية النبي صلي الله عليه وآله، وولاية أهل بيته عليهم السلام من بعده. هذا هو الأهم وإن كانت عبادة الأبدان هي المقدمة، وفيما بعد تأتي العبادة القلبية، ولكن يبقى التكامل الإنساني هو في العبادة القلبية، وقد ورد عن الإمام الجواد عليه السلام: «القصدي إلي الله بالقلوب أبلغ من إتباع الجوارح بالأعمال» (4).

ويبقى البون شاسعة بين فقه الأبدان وفقه القلوب، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عز وجل الفرائض، فمن أداهن فهو حدهن، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حداً ينتهي إليه» (5)، ثم تلا هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (6).

ص: 36

1- سورة إبراهيم، الآية 37.

2- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 334، ح 1553.

3- سورة البقرة، الآية 143.

4- المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 364.

5- الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج 4، ص 285، الحديث 147.

6- سورة الأحزاب، الآية 41.

وهنا يجب الالتفات إلى وظيفة القلب في دعاء الندبة وضرورة التوجه به إلى صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى شريف بكل أبعاده، فهو أبلغ من الحركة إليه بالبدن، فالدعاء يثير فينا فريضة الشوق والحنين للإمام المهدي عليه السلام.

ص: 37

الندبة لغة تأتي بثلاث معاني: مرة بمعني النداء، وأخري بمعني الرثاء، وثالثة بمعني الاستغاثة، وكل المعاني الثلاثة في الحقيقة من سنن المعصومين تجاه الإمام الثاني عشر عجل الله تعالي فرجه شريف، بل في الروايات إن الاستغاثة بصاحب العصر والزمان عليه السلام جرت في الأنبياء السابقين عليهم السلام.

تماما كما الحزن والرثاء الذي جري من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام علي سيد الشهداء قبل ولادته، كذلك الاستغاثة بالإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه شريف، وهذا ما تذكره روايات أهل البيت عليهم السلام.

إشارة

الإعجاز في دعاء الندبة والذي سنتطرق إليه في النصف الثاني من الدعاء، والنصف الأول سنشير إليه إشارات خفيفة.

النصف الثاني تقريبا يبدأ من: «أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية»، وهنا الدعاء يتكون من ثلاثة أركان، وهذه الخريطة في الدعاء مهمة جدا، لأنه عجل الله تعالى شريف يكررها مرتين أو ثلاث مرات، كل ركن فيه مجموعة من الفقرات، وهكذا يعاود مرة أخرى بنفس الطريقة.

هذا الدعاء بنظم عظيم جدا، وهو عصارة علوم ومعارف منظومية جامعة ومذهلة لا يقوي عليها إلا المعصوم.

الركن الأول :

قائمة مجدولة لأهداف وغايات يجب إنجازها في المشروع المهدي بصيغة اوصاف للإمام المهدي عجل الله تعالى شريف، لكن هي في الحقيقة تبين للمؤمنين في حال إنخراطهم بمشروع إمام زمانهم عليه السلام قائمة مجدولة بالمشاريع

والأهداف التي يجب علي الإمام عجل الله تعالى شريف، وعلي أنصاره القيام بها وتحقيقها من قبيل «يملأها قسطا وعدلا»، وهنا نذكرها ببيان إجمالي،

والا هي في تفاصيل الدعاء منظومة كاملة لكل أعمدة المشروع المهدي المذكورة في القرآن الكريم، وفي بيانات النبي صلي الله عليه و آله، وكذلك بيانات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وهذا من الفلسفة العظيمة لدعاء الندبة التي ربما لا يعيها جملة من الغافلين، هو شد المؤمن للمسؤولية اللازمة في عصر صاحب العصر والزمان، الآن وليس بعد فوات الأوان.

الركن الثاني:

بيان إرتباط هوية المشروع المهدي بهوية الدور النبوي والعلوي وبقية الأدوار التي سبقت من آباءه الطاهرين، لذلك يتردد هذا الخطاب في الدعاء: «يابن البدر الزاهرة، يابن العلوم الكاملة....»

لانه لا- يمكن الوعي والتفقه بالمشروع المهدي بدون الوقوف والتأمل في الربط الماهوي بين مشروعه ومشروع آباءه الطاهرين عليهم الصلاة والسلام.

هذا الركن الثاني لم يذكر هكذا ترفاً، وإنما هو قائمة مجدولة موجودة في دعاء الندبة، وهو بهذا التصميم فضيحة لمن يريد أن يدعي المهديّة أو السفارة من هؤلاء المدعين الذين جندتهم الدوائر الاستعمارية، بل هو رد حتى للغافلين الذين يدعون أنه عجل الله تعالي فرجه شريف يأتي بدين جديد! أي كأنه خالي من الهوية النبوية، والعياذ بالله.

الركن الثالث:

هو عبارة عن الوظائف وآلياتها بالنسبة للمؤمن مع ما تقدم من المشروع المهدي، «بنفسي أنت من مغيب لم يخلو منا...»، «هل من

جزوع فأساعد جزعه إذا خلا...»، «هل إليك يابن أحمد سبيل فتلقي...» يعني كيف يستطيع الإنسان تربية نفسه؟

بأن يدخل نفسه دورة تدريجية علي المشروع المهدي إذا أراد أن يكون مواليا صادقا، هذه الدورة لها بنود، إذا حققها الإنسان في نفسه فانه سيدخل تلقائيا، بمعنى أن ما يمارسه يوميا يصب في إنجاز الظهور والمشروع المهدي.

هذه هي الأركان الثلاثة للمنطق الوحياني في دعاء الندبة، وسنين لاحقا الربط بين النصف الأول والنصف الثاني الذي هو ربط منظومي وإعجازي مذهل، وزيادة علي هذا الإعجاز أن سجع العبارات وقافيتها التي هي في الحقيقة من قبل صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف جملة منها صدرت من القرآن الكريم، وبعضها من النبي الأعظم صلي الله عليه وآله، وبعضها من الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

أسرار، ومعارف، ومعاني متسلسلة ومتناسقة بصورة هرمية في الدعاء، في البدء والوسط ودرجات الوسط ونهايته بنسق معنوي ومراتب معنوية متضمنة للأسرار، هذا بالتأكيد يدل علي عظمة النظم الذي هو دليل علي قدرة المعصوم .

إن متن الدعاء هو برهان علي أنه كلام المعصوم، وإلا فهو لم يأتي من الحدس أو الرجم بالغيب، بل هو أرقام ومعادلات لو نظرت إلي كلام النوايح من علماء الإمامية فإنهم لم يصلوا إلي هذه الدرجة في النظم من البدء حتي الخاتمة.

نكتة ندعيها ونلمسها ببراهين واضحة، وهي أن دعاء الندبة خلاصة خطب النبي صلي الله عليه وآله، والأئمة من بعده عليهم السلام.

فما هو سر هذه الخلاصة؟ ولماذا جعل دعاء الندبة غير زيارة آل ياسين والزيارات الأخرى لصاحب الزمان عليه السلام؟

السرف في ذلك أن هوية الإمام المهدي عجل الله تعالى شريف قد عجت فيه هويات المعصومين عليهم الصلاة والسلام، بل عجت فيه هوية جميع الأنبياء والرسل، وهذا أمر خطير ومهم، وهو في نفس الوقت عاصم من الانحراف، وهو ميزان للانتماء المهدوي الصحيح، وليس المزيف.

هذا هو أحد معاني «بقية الله في القرآن الكريم»، يعني الخلاصة ومجمع لكل الهويات، ووارث آبائه الطاهرين وجميع الأنبياء والمرسلين، وهذا يتصور باعتبار أن ما ظهر من سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله، ومن أصحاب الكساء عليهم السلام ليس هو ما في كنه الحقائق من الخير والهداية، بسبب وجود الظالمين الذين وقفوا في طريق هداية البشرية، ولذلك عندنا في الروايات كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه في «الرجعة» سيبعث سيد الأنبياء للبشارة والندارة الكبرى، يعني ما مر من بشارة وندارة هي صغرى، مرحلة تمهيدية والمرحلة العظمى ستاتي في الرجعة.

وهذا يلخص ما قام به أئمة الضلال، وحرمانهم البشرية من وصول تلك الفيوضات والأمور التربوية الألهية العظيمة التي كانت ستظهر علي يد «أصحاب الكساء» صلوات الله عليهم أجمعين، ستظهر هذه كلها علي يد صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي شريف، بهذا المعني هو الخلاصة وهو لب اللباب.

يعني ما كان مقررا أن يظهر علي يدي أجداده سيظهره الله علي يديه، لذلك هو ملحمة عظيمة.

فمن يدعي أو يريد الارتباط بمشروع الإمام المهدي عجل الله تعالي شريف عليه الاستقامة وعدم الانحراف، لأن هوية ومشروع الإمام المهدي تتكسد فيه كل نظم وهويات المعصومين عليهم السلام

وهذا هو سر المحور الثاني أو الركن الثاني في الدعاء «يا بن البدور المنيرة، يا بن الشرح الممضينة، يا بن الشهب الثاقبة، يا بن الأنجم الزاهرة».

هذه العناوين ليست مدائح فقط، هذه معناها يا أيها المؤمنون.. يا أيها المجاهدون تريدون التعرف علي المشروع المهدي؟ هذه هي هويات المعصومين في هذا المشروع الإلهي، إذا وعيتموها سيكون التوفيق من نصيبكم، وإلا فالفشل والإخفاق.

والدليل علي ذلك من خارج الدعاء الشريف ومن داخله، فما هو من الخارج مر بنا أن من وجوه صحة سند دعاء الندبة، هو التحقيق في مصادر جمل وبنود الدعاء، والذي قامت به إحدى المؤسسات الحوزوية، ووجد أن كل بند من جمل دعاء الندبة مروي بروايات كثيرة ومستفيضة مجموعها متواتر أما قرآنية أو روائية، وكل كلمة فيه ليست من تأسيس

دعاء الندبة، وإنما هي من تأسيس بيانات وحيانية سابقة، سقت في هذه المنظومة الواحدة.

أما الدليل الثاني، والذي هو من داخل دعاء الندبة وهو التركيز علي هويات المعصومين عليهم السلام، كبيان سمت المشروع النبوي بالدقة، وكذلك سمت المشروع العلوي والفاطمي والحسني والحسيني والأئمة من بعدهم عليهم السلام، لذلك في جدول القائمة الثانية أو الركن الثاني بنود تفصيلية الهويات مشاريع الأئمة عليهم السلام، منهج كل إمام معصوم مبين في دعاء الندبة، والشئ الأعظم أنه يبين التنسيق والأرتباط والموافقة بين سنن المعصومين ونهجهم، وأنه بين نهج الحسن والحسين عليهم السلام علي سبيل المثال ليس هناك اختلاف علي مستوي المنظومة، بل هناك ترابط واضح.

ص: 44

الفصل الثاني: المدرسة الأخلاقية الوحيانية

إشارة

- النظم الأخلاقية وتعدد المدارس
- المدرسة الأخلاقية الوحيانية
- أدب التعامل مع الله
- الفوارق بين المدارس الأخلاقية
- الأخلاق النفسية لها جذر عقائدي
- الأخلاق طبقات ومراتب
- التعقيد والإبهام في المفاهيم الأخلاقية عند التطبيق

ص: 45

النظام الأخلاقي في المجتمعات له مدارس متعددة بين الفلسفة المادية والفلسفة الإلحادية وكذلك الدينية، مشارب كثيرة ومختلفة في هذا الجانب، والاختلاف بينها بنيوي، فبعض المدارس لا تؤمن بالفضيلة والرذيلة الأخلاقية، يعني ليس هناك قبح أو حسن أخلاقي، بل يعتبرون الفضيلة في القوة حتي لو كانت قوة الغدر والمكر، فهم يؤمنون أن كل قوة تساوي الفضيلة وكل ضعف يساوي الرذيلة.

صحيح أن القوة فضيلة والضعف رذيلة، ولكن الاختلاف هو في تفسير نوع القوة والضعف.

وأخري تعتبر أن نشر الفضيلة والتحذير من مساوئ الرذيلة هو عبارة عن خداع وتضليل لاستغلال الآخرين، وهذا لأنهم لا يؤمنوا في الأصل بالفضائل الأخلاقية.

فرق النظام الأخلاقي في الإسلام - عن المدارس الأخرى كما بينه الثقلين - أنه لا يقتصر فقط علي الحياة الدنيا، منهج الفكر والمعرفة وميزانه يختلف بين المنطق الوحياني والمنطق اليوناني وبقية المدارس البشرية المختلفة.

الوحي يربط التقوي بالفكر وضرورة الإيمان بالغيب، فهو منظومة متكاملة وهنا يختلف عن المدارس المنطقية البشرية، يعني هو معالجة لمجموع قوي الإنسان، وهكذا نظامه الأخلاقي المرتبط أساسا بالعقيدة، ولذلك نرى الكثير من الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ذكرت في كتب «الإيمان والكفر» في «الكافي» علي سبيل المثال لهذه النكتة بالذات، وهو ارتباط المنظومة الأخلاقية بالعقيدة والرؤية الكونية الشاملة للمعتقد .

فقد ورد عن النبي الأكرم صلي الله عليه وآله: «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عالية أو شن قائمة، وما خلاه فهو فضل».

وحسب تفسير العلماء أن العقيدة هي الآية المحكمة، والسنة القائمة إشارة إلي الجانب الأخلاقي، وهذه المرحلة تبدأ مباشرة بعد البناء العقائدي للإنسان، وهذا البيان في الحقيقة هو بيان إعجازي بما أن الحسن والقبح ذاتيين، فحسب الرسم الوحياني إذا كانت العقيدة صحيحة فان المنظومة الأخلاقية ستكون صحيحة أيضا، وفساد العقيدة ستفسد المنظومة الأخلاقية للمجتمع.

فإذا كانت الرؤية الكونية صحيحة فما يبنى عليها من رسم أخلاقي هو حسن وجميل، وإلا سيكون ما يبنى هو قبح ورذيلة.

هذا الميزان بين الفضائل والرذائل الأخلاقية بينه الوحي، وما توصلت إليه العلوم الإنسانية والاجتماعية في الوقت الراهن هو أن النظام الأخلاقي يتبع الرؤية الكونية الشاملة للإنسان، وبالتالي فإن النمط الأخلاقي هو من تداعيات العقيدة، فالعقيدة هي الأساس للنظام الأخلاقي، والنظم الأخلاقية هي الأساس لقوانين المعيشة.

هذا الترابط كما سبق بينه الوحي، وأيضا توصلت إليه النتائج البشرية: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤْيُ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»⁽¹⁾، يعني العمل السيء يقود إلي عقيدة باطلة، والعكس صحيح.

ص: 49

1- سورة الروم، الآية 10.

العقائد الحقة هي من شؤون العقل والفكر ومراتب القلب العالية، وأعظم درجات الأخلاق هي في كيفية التعامل الروحي والقلبي والفكري مع الله سبحانه وتعالى.

المنظومة الأخلاقية تبدأ في كيفية التعامل مع الله سبحانه، وأدب الحوار، ونمط الخواطر معه جلت قدرته، حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام في آلية التعامل بين العبد وربه.

في دعاء النصف من شعبان هذه العبارة: «يا من لا تخفي عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات..» تشير إلي الدقة الكبيرة في هذه المدرسة الأخلاقية في أدب التعامل مع الله وشدة المراقبة في التواصل، حتي الخاطرة في وهم الإنسان لها أثر في هذه المنظومة الأخلاقية العظيمة، فكيف بمن شرح بالكفر صدرا!!

الضرورة تفرض أن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ من الإنسان، مهما كانت تلك الحركة ضئيلة، حتي لو كانت بمقدار الخاطرة، سواء كانت خاطرة سوء أو خاطرة نور، فإن لها أثرا واضحا فيما بعد: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَي نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَىٰكَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (1)، «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» (2).

هذه الآيات توضح لنا خارطة للقلوب، بين من شرح الله صدره للإسلام، ومن جعل صدره ضيقاً حرجاً، وكل هذه الأصناف هي في الحقيقة تبدء من الإنسان نفسه، وهي إرادة اختيارية منه، أما بخاطر نور أو خاطر سوء، وليس هناك جبر في هذه المدرسة الأخلاقية العظيمة: «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِي فَعَمَيْتْ عَلَيْكُمْ أَنْ نَزَّلْتُكُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» (3) إقبال القلب وإدباره بيد الإنسان ولو بلحاظ المقدمات، فهو مختار بين الحبور الكره، ولذلك من أعظم أبواب الاخلاق هو خلق التعامل مع الله سبحانه وتعالى، وهذا ما غفلت عنه جميع المدارس خلا مدرسة الوحي، والتي أرسى بشكل عجيب نظام التعامل مع الله جل جلاله، وكان الرائد في هذا المضممار هو النبي الأكرم صلي الله عليه وآله وآل بيته الكرام عليهم السلام، فهم سبقوا جميع الأنبياء والصالحين في أدب التعامل مع الله سبحانه، وقد أسسوا في ذلك منات القواعد الأخلاقية، وأكثر هذه القواعد أفتي بها علماء الشيعة في باب «جهاد النفس» كفرائض.

هذا الأدب مع الله سبحانه هو الذي جعلهم عليهم الصلاة والسلام الأقرب إلى الله، والأعلى شأناً من أولي العزم وبقيّة الأنبياء

والصالحين.

ص: 51

1- سورة الزمر، الآية 22.

2- سورة الأنعام، الآية 125.

3- سورة هود، الآية 28.

الأول : الأخلاق النفسانية لها جذر عقائدي :

الحنين واشتعال القلب بالحب والشوق هو أحد فرائض الإيمان، وفعل من أفعال القلب، وركن من أركان النظام الأخلاقي في مدرسة الوحي.

وقد مر أن الأساس في النظام الأخلاقي الإسلامي أولاً وبالذات في تعامل العبد مع الله سبحانه وتعالى، والاختلاف هنا عن بقية المدارس الأخلاقية أن أساس كل خلق نفساني مهما نزل له أساس وجذر عقائدي بحسبه.

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «شاب سير ممة في الذنوب أحب إلي الله عز وجل من شيخ عابد بخيل»⁽¹⁾، ولأن السخاء ينطوي علي توحيد وإيمان بعموم رزق الله سبحانه وقدرته، بينما البخل ينطوي علي عبادة صورية بدنية، لكنه في قلبه وفكره ينطوي علي الكفر بعطايا الله وقدرته، فمن كان يعصي الله ببدنه فهي مبغوضة عند الله، لكن المعاصي القلبية أشد بغضا عنده جلت قدرته. وهذا لا يعني استخفافا بمعاصي البدن، ولكن كما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام: «القصد إلي الله

ص: 52

بالقلوب أبلغ من اتعاب الجوارح بالأعمال»⁽¹⁾، فحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال إن كانت حسنة أو سيئة. وهذا يعني أن العناية بالقلوب في مدرسة الوحي الأخلاقية أولى بالرعاية من عالم الأبدان، مع أنه لا يعني التفريط بالعبادة البدنية.

الثاني: الأخلاق طبقات ومراتب:

وهناك فرق آخر بين مدرسة الوحي والمدارس الأخلاقية الأخرى، وهي أن الأخلاق طبقات ومراتب، ومدار حسن الطبقات الظاهرية في اخلاق الإنسان ليست في ذاتها، بل قيمتها بما يبطن ورائها، يعني قيمتها وحسنها هو في قيمة الطبقات الباطنية.

فلا- يكفي أن يكون ظاهر الإنسان مسالماً وأنيقاً، وهو في داخله يريد أن يشيد نظاماً للظلم والجور والتعسف، فيكون جمال هذه الأخلاق الظاهرية كمن يلبس جلد شاة، وهو يحمل في صدره قلب ذئب مفترس.

شبيه ما نراه من الغرب الآن باسم حقوق الإنسان وكرامته ورعاية اللاجئين، ولكن الحقيقة أنه يهدف من ورائها إلي تهديم دول والاستيلاء علي ثرواتها.

وهنا تكمن عظمة أخلاق الإسلام في هذا الجانب، فقد ورد عن سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله قوله: «إنما الأعمال بالنيات»، بل إنه نفس النية ورائها نية أخرى أخفي، وهكذا: «وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى»⁽²⁾، فقيمة

ص: 53

1- المجلسي، بحار الانوار، ج 75، ص 364.

2- سورة طه، الآية 7.

كل طبقة خلقية سواء من المحاسن أو القبائح ليست النهائية، بل العمدة بما وراثتها.

الثالث: الإبهام في المفاهيم الأخلاقية عند التطبيق :

محور آخر في النظام الأخلاقي يستفاد من بيانات الوحي، وهو أن المفاهيم الأخلاقية أعقد وأشد إبهاما من المفاهيم في فروع الأعمال - أعمال البدن -.

بمعني أن ماهية ومعاني الأفعال القلبية أكثر إبهاما من أفعال البدن، لأنها باطنية خفية، بينما أفعال البدن ظاهرة وجلية.

لذا في دعاء «النصف من شعبان» كما ذكرنا سابقا «يا من لا تخفي عليه خواطر الأوهام وتصرف الخطرات..» لأنها تتصرف من دون أن يلتفت إليها أحد، ولذا هي من أكبر العقبات الكؤودة في النظام الأخلاقي الخفائها وإبهامها ولتشابه المعاني تنظيريا فيها، وهذا الأمتحان الإلهي المستمر يسقط فيه الكثير يوما بعد يوم!

ويمكن للإنسان أن يختبر نفسه في ممارسة يومية، وهو التوجه من أول الصلاة إلي آخرها!، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا من سيطر وهيمن علي أفعال القلب وخطراته، وهم قلة.

والضعف البشري في هذا الجانب أحد أسبابه هو إبهام المعاني تنظيريا، ففري الخلط عند أكثر الناس تطبيقا بين سوء الظن والحذر، علي سبيل المثال، بين التواضع والذل، بين الشجاعة والتهور، بين الجبن والتروي، وهكذا، وهذه مشكلة كبيرة يعاني منها الأكثر في النظام التطبيقي

للأخلاق، وأسبابها عدم البصيرة في المفاهيم لولا تسديد الوحي الإلهي، بالإضافة إلى أن هذه المشكلة تمنع تكامل الإنسان بالصورة المثلي، ولذا من يلتزم بالوصية ينجو، لقوله صلي الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقيلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (1).

النظام الأخلاقي في الإسلام مترامي الأطراف، ويختلف هيكلها عن المدارس الأخرى، ففيه الحب والحنين فعل من أفعال القلوب فريضة للارتباط بالله سبحانه وتعالى وبالنبي وآله عليهم الصلاة والسلام، وهو حلقة مهمة في هذه المنظومة الكبيرة.

هذا الانشداد والحنين لأهل البيت عليهم السلام، والأنين لما جري لهم وعليهم هو فريضة مرتبطة بفقهاء القلوب، والذي هو ركن مهم في النظام الأخلاقي، وهناك الكثير من محاور النظام الأخلاقي يمكن أن تقتبس من بيانات الوحي.

في دعاء الندبة شنن يأمر بها الإمام سلام الله عليه: «فَعَلِيَ الْإِطَابِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلْيُبَيْكِ الْبَاكُونَ وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ التَّادِبُونَ وَلِمَثَلِهِمْ فَلْيَتَدْرِفِ الدُّمُوعُ وَلْيَصْرُخِ الصَّارِحُونَ وَيَضِجِ الضَّاجُونَ وَيَعِجِ الْعَاجُونَ» (2).

نفس هذه المراتب في تلبية الإحرام موجودة، وهي مستحبة في نفسها، وقد ورد أن جبرائيل عليه السلام أخبر النبي صلي الله عليه وآله في الحج: «مر قومك بالضج والعج» وهذا بالطبع له تأثير روحي كبير في أن يتحول الدعاء عند

ص: 55

1- الألباني، صحيح الجامع، رقم الحديث 2748.

2- مقطع من دعاء الندبة.

الجميع إلي هذه الدرجة من الضجيج، وإلا لم يخبر به جبرائيل عليه السلام، ولم يأمرنا الإمام عجل الله تعالى شريف بذلك إلا لكي تفرع به القلوب القاسية، هذه سنة إلهية عظيمة، وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام أنهم عاشوا تلك اللحظات في نديتهم للإمام المهدي عجل الله تعالى شريف .

ص: 56

الفصل الثالث: خطوط الدعاء العامة وأثرها المعرفي

إشارة

- الاصطفاء وموقعية الأنبياء

- إكمال الحجّة وسد الذرائع

- الأعجاز في الخاتمة

- الندبة من سنن المعصومين

ص: 57

هناك نقطة مشتركة في النصف الأول من الدعاء يبين فيها فلسفة بعثة الرسل والأنبياء عليهم السلام، ثم يبين حقيقة الاصطفاء والذي خاض فيه العلماء من المتكلمين من الفريقين وكذلك الفلاسفة، ولكن بقيت فيه من العقد الشيء الكثير، هل الاصطفاء جبر أو تفويض كسبي؟ أم هو منحة مجانية (هبة) خص الله بها بعض عباده؟

وفاتهم أنهم لو تدبروا المقدمة من هذا الدعاء لعلموا بعضا من حقيقته: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَانِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ إِذْ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلَالَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الرُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَرُخْرُفِهَا وَزُبْرَجِهَا فَشَدَّ رُطُومًا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيلِيَّ» (1).

فالاصطفاء ليس جبرا، وإنما هو جدارة في مواطن عديدة، والصفة الاصطفائية هي أعلى مراتب الاختيار والقدرة والقوة، بينما الصفة الاكتسابية هي متوسطة في الاختيار.

ص: 59

أيضا هناك نقطة مشتركة في الدعاء، وهي إشارة وشرح لموقعية الأنبياء من أولي العزم، وبعدها يركز علي موقعية رسول الله صلي الله عليه و آله وهيمنة مقامه علي الآخرين، ثم ينتقل إلي أمير المؤمنين عليه السلام ونهجه، ومن ثم بقية الحجج صلوات الله عليهم أجمعين، هذا النصف الأول هو سر وفلسفة النصف الثاني الذي هو علي ثلاثة محاور وأحد تلك المحاور هو دمج لهوية المعصومين عليهم السلام بهوية الإمام المهدي عجل الله تعالي شريف، إذن لابد من استعراض الهويات الأنبياء في النصف الأول لكي يلتفت الإنسان إلي صعوبة فهم الهوية المهدوية، فلا تكفيك المعرفة حتي تعرف هوية جميع الأنبياء والأوصياء، لأنه جمع الجمع عجل الله تعالي فرجه شريف

فالمشروع المهدوي مشروع جامع لكل مشاريع أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ص: 60

«النصف الأول» من دعاء الندبة يشرح فلسفة الاصطفاء، وأن هناك جهة مشتركة في كل طبقات الاصطفاء، من النبوة والإمامة وغيرها من المراتب هي إكمال الحجة وسد طريق علي من تدرع بعدم الأنداز: «وَكُلُّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةٌ وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهَا جَاءٌ، وَتَخَيَّرْتَ لَهُ أَوْصِيَاءَ؛ بَعْدَ مُسَدِّ تَخْفِظٍ، مِنْ مَدَّةٍ إِلَيَّ مَدَّةٍ، إِقَامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلَيَّ عِبَادِكَ، وَ لِيَنَالَا يَزُولَ الْحَقُّ عَن مَقَرِّهِ، وَيَغْلِبَ الْبَاطِلُ عَلَيَّ أَهْلِهِ وَلَا يَقُولَ أَحَدٌ لَوْلَا أُرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مُنْذِرًا، وَأَقَمْتَ لَنَا عِلْمًا هَادِيًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَحْزِي»⁽¹⁾، هذه هي الفلسفة العامة، فالأمم تتبع سبيل الله وصراطه كي تقد إلي لقاء الله بطريق نير واضح.

أما «النصف الثاني» من الدعاء فإنه يبين مقامات سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله، و مقامات أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين.

وهذا النصف فيه أركان ثلاثة: الأول فيهن يبين غايات مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، ويجب أن لا يتوهم أحد أنها خاصة بزمن الظهور، بل هي

ص: 61

مسؤوليات الإمام المهدي عليه السلام منذ بدء الغيبة الصغرى حتى ظهوره المقدس وما بعده تقع علي عاتقه (عجل الله تعالى فرجه) وعليه التدرج في إنجازها، ويجب أن لا يظن المؤمن أن هذه الغايات والمشاريع هي ما بعد الظهور فقط، وإلا سيكون هذا الأمر ترف فكري، وهذه جدلية خطيرة في الفكر الشيعي، من الله سبحانه وتعالى علي بني إسرائيل بأن انجاهم بموسي عليه السلام: «وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَمْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (1) مثال ضربه الله سبحانه وتعالى للمهدي عليه السلام حسب روايات أهل البيت عليهم السلام، ما جرى علي بني إسرائيل في إنتظار منقذهم يجري علي هذه الأمة المنتظرة لمنقذ البشرية صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (2) والعبرة في قصص الماضين من الأنبياء قاعدة أصيلة في القرآن الكريم لا تتوقف عند شخص النبي موسي أو شخص النبي يوسف عليهم السلام، بل الغرض الأصلي هو «محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام»، «مَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» (3)

أنه نور ساطع، وبحضور القلب يتضح المطلوب، وأن المقصود فيما ذكر لا يعني أن تتوقف عند هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، نعم نؤمن بهم ونصدق

ص: 62

1- سورة الأعراف، الآية 141.

2- سورة يوسف، الآية 111.

3- سورة النساء، الآية 54.

برسل الله وكتبه، ولكن المقصود شيء أعظم، فالمراد الجدي دائما أعظم من المراد الاستعمالي.

ص: 63

يجب التذكير بنكتة مهمة، وهي أن الأئمة المتأخرين صلوات الله عليهم في رواية أدعيتهم والزيارات والمعارف المنقولة عنهم لها خاصية تختلف عن خاصية آبائهم، فهي تكون دائما خلاصة وزيادة لما يروي عن المعصومين الأوائل من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، و متن دعاء الندبة أحد براهين الإعجاز في هذا الباب.

والسبب الرئيس في اختلاف الخواص هو دور كل إمام، وما يتطلبه التدرج في التربية والتعليم وشبيه التعليم المدرسي، فما روي عن رسول الله صلي الله عليه وآله يختلف عما روي عن أصحاب الكساء لاختلاف الدور والمرحلة، ودائما البدايات هي صاحبة الهيمنة كون التأسيس فيها، ولا تحتاج إلي تفاصيل كثيرة كالتي يتطلبها عصر الإمام الصادق عليه السلام مثلا والذي ضخ الكثير من التفاصيل المتعلقة بفروع الأحكام، حتي سمي الإمامية الاثني عشرية بالمذهب الجعفري.

الندبة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف سنة من سنن المعصومين عليهم السلام، وقد روي في ذلك الكثير.

منها ما رواه الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «أتيت أمير المؤمنين فوجدته متفكرا ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين ما لي أراك متفكرا تنكت في الأرض، أرغبة منك فيها؟ قال: لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط، ولكنني فكرت في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا، يكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون، فقلت: إن هذا الكائن؟، قال: نعم كما أنه مخلوق، فإني لك بهذا الأمر يا أصبغ، أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة، قلت: وما يكون بعد ذلك؟ قال: الله يفعل ما يشاء، فإن لله إرادات وبداءات وغايات ونهايات»⁽¹⁾. وكذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، عن سدير الصيرفي، قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر، وأبو بصير، وأبان بن تغلب علي

ص: 65

مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً علي التراب وعليه مسح خيبري مطوق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله النكلي، ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلي الدموع محجريه وهو يقول: «سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيق علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا مثل بعيني عن غواير أعظمها وأفظعها، وبواقى أشدها وأنكرها ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولها، وتصدعت قلوبنا جزعا من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل، وظننا أنه سمت لمكروهة قارعة، أو حلت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكي الله يا ابن خير الوري عينيك، من أية حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك؟ وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟.

قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه، واشتد عنها خوفه، وقال: ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل علي علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلي يوم القيامة، الذي خص الله به محمدا والأئمة من بعده عليهم السلام، وتأملت منه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره، وبلوي المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربة الاسلام من أعناقهم التي قال الله تقديس ذكره: «وَكُلَّ

إِنْسَانٍ الزَّمَنَاءُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ» (1)-يعني الولاية - فأخذتني الرقة، واستولت علي الأحزان....» (2).

أيضا ما رواه دعبل الخزاعي عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليهم السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة*** ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلي قولي:

خروج إمام لا محالة خارج*** يقوم علي اسم الله والبركات

يمييز فينا كل حق وباطل*** ويجزي علي النعماء والنقمات

بكي الرضا عليه السلام بكاء شديدا، ثم رفع رأسه إلي فقال لي: «يا خزاعي، نطق روح القدس علي لسانك بهذين البيتين...» (3).

كذلك بكاء الإمام الجواد عليه السلام علي الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه شريف، روي الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليهم السلام، يقول: «إن الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت، فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكي بكاء شديدا ثم قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأن له

ص: 67

1- سورة الإسراء، الآية 13.

2- الطوسي، الغيبة، ص 173.

3- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 1، ص 297، ح 35.

غيبية تكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون ويكذب فيها الوقتون، ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون»(1).

أيضا بكاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قال أبو سهل في رواية طويلة: «... فلما مثل الصبي - أي الإمام المهدي عليه السلام - بين يديه سلم وإذا هو دري اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن بكى...»(2).

عندما يقضي معصوم ليلة كاملة أو ليالي وهو يبكي علي صاحب الزمان عجل اللخ تعالي فرجه شريف، ويناديه بهذا القول: «سيدي غيبتك نفت رقادي»، فأبي جفاء هذا الذي نعيشه نحن مع إمام زماننا أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، في قبال هذا الذي يصدر من آبائه الطاهرين في التعامل معه!.

ص: 68

1- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص378.

2- الطوسي، الغيبة، ص272؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ج52، ص16.

الفصل الرابع: الدعاء ومنهج التعامل مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

اشارة

- دوام الاستشعار بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

- المسؤولية مطلقة

- سيد الشهداء حافظ للمشروع المهدي

- من ينصر من؟

- الأمل وأثره في الصبر والثبات

- وجود الإمام الدائم في الساحة

ص: 69

الإمام الصادق عليه السلام - في الرواية - يخاطب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ب (سيدي) ويتحدث معه كأنه يقف الآن أمامه.

بهذه الطريقة، وهذا النهج يريد الأئمة سلام الله عليهم أن ترتبط بصاحب الزمان عليه السلام، أن نشعر به ونستشعر وجوده المقدس، فهو لا زال يستنصرنا ويجدد لنا باستمرار نداء جده الحسين عليه السلام: «هل من ناصر ينصرنا».

والمسؤولية الآن كلها ملقاة علي المؤمنين، وبكاء أجداده عليه لتقل المسؤولية وكثرة الخاذل له مع قلة الناصر!

وإبليس يحاول باستمرار أن يمنع المؤمن عن مسؤوليته، ويحاول تجنيده بطرق مختلفة حتي لا يرتبط بمشروع الإمام المهدي الأساسي، ودور المؤمنين ركن مهم في المشروع المهدي (الركن الثالث) والذي أشار إليه دعاء الندبة.

وهو أيضا ما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام في رواية سدير الصيرفي.

فعلي المؤمن استشعار دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ووجوده المبارك بكل كيانه وجوارحه، وبما دأب عليه علمائنا الأبرار شكر الله سعيهم جيلا

بعد جيل، من أجل تربية الأمة علي الارتباط بالإمام عليه السلام من خلال دعاء الندبة وذكر الإمام عجل الله تعالي فرجه شريف علي الدوام.

وهذه التربية هي بالأساس نهج الأئمة عليهم السلام مع هذه الأمة، واستمر عليها علماؤنا الأبرار قدس الله أرواحهم، وهذا الاستمرار هو لغرض ترويض النفس وتطويعها للمشروع المهدي، والخلاص من براثن إبليس وكيده، بحيث يكون المؤمن قادرة باستمرار علي الخلاص كلما وقع في شرك الغفلة.

ومن أعظم طرق الاستشعار التي ضربها الله سبحانه لنا مثلا حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام في سورة «يوسف» ونهج يعقوب النبي عليه السلام والذي ما فتئ يذكر ولده يوسف عليه السلام طوال مدة غيبته حتي خاف عليه أهله، لأنه ذكر مع استشعار الحزن والتأوه، وهذا ما أبقني جذوة العشق والارتباط مستمرة، «قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(1).

ولأنه يعلم أن هناك مشروع سيأتي، ويعلم أيضا أن الله سيمكن يوسف عليه السلام في الأرض بقي عليه السلام منتظرا للفرج مستعدا له علي الدوام، بل إنه حاول باستمرار أن يعيد أولاده الغافلين إلي طريق الهداية والخلاص «يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»(2)، وهذا أول طريق الهداية (تحسسوا) أي (استشعار) وهو بداية الأيمان العملي والفعلي.

ص: 72

1- سورة يوسف، الآيتان 85-86

2- سورة يوسف، الآية 87.

ما ذكر في دعاء الندبة من مسؤوليات الإمام - ليس كما تصوره البعض أنها مسؤوليات مرحلة الظهور، بل الحقيقة أنها مطلقة.

وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام بطرق متعددة انهم لو وجدوا أنصارا مخلصين لنهضوا بالأمر (1)، وهذا يعني أن الأئمة عليهم السلام وجدوا أن البيئة المعاصرة لهم ضعيفة، لذا شرعت التقية لعدم توفر الظروف المناسب، فاحتاج الأمر إلى التجميد مؤقت لبعض المشاريع، لكن هذه البيئة ليست أولوية يجب الحفاظ عليها، بل المطلوب إزالة هذه الموانع، وتحويل الوضع من التقية إلى تغيير المجتمع وتوفير القوة اللازمة للقيام بالأمر، صحيح أن التقية حكم شرعي، وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام: «التقية ديني ودين آبائي» ولكن اللازم هو تبديل موضوعها، بدليل تلك الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تعليل أسباب عدم نهوضهم بالأمر، وهذا

ص: 73

1- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال بعد وفاة رسول الله - وحادثه السقيفة: «لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم». وكذلك ورد عن الإمام الحسن عليه السلام عن سبب الصلح أنه قال: «والله ما سلمت الأمر إليه إلا أنني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتي يحكم الله بيني وبينه».

يدل علي أن الأولوية بعينها في قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (1)

يجب علي المؤمن أن يبني قوته في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لأنه بها ينتصر.

ويجب التنبه إلي أمر مهم، وهو أن كل الفرائض لها توقيت معين الصلاة والصوم والحج والخمس والزكاة، إلا الولاية فهي في كل زمان ومكان، وغير مقيدة بأي شيء، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (2)، كل آيات الولاية لا تقيد بزمان أو مكان، حتي آية إعداد القوة غير مقيدة بسقف معين، وهذا ما أشير إليه في دعاء الندبة: «أين المعد لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأنمي والمموج، أين المترجي لإزالة البخور والعدواني...» (3).

هذه الواجبات أولية بالنسبة لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وكذلك الأئمة من قبله، ولكن لظروف التقية بسبب نقص القوة شرعت التقية وتبقي محاولات إزالة الظرف الخاص قائمة.

ص: 74

1- سورة الأنفال، الآية 60.

2- سورة النساء، الآية 59.

3- مقطع من دعاء الندبة.

طبعاً الإنسان متى يفقد الأمل سينكسر ويفقد القدرة علي المقاومة، ولكن الحقيقة المسلمة أن هناك حافظ لهذا المشروع الإلهي، وهو الدور الذي قام به سيد الشهداء عليه السلام، وهذا السبب الذي جعل كل الأنبياء والرسل في ذكر مستمر لسيد الشهداء، فالحسين عليه السلام قطع الطريق علي المتربصين بدين النبي المصطفى صلي الله عليه وآله بهذه التضحية العظيمة، لأن ما قام به سيد الشهداء كان هو الضمان لحفظ الدين وقطع الطريق أمام الأمويين وأمثالهم من أعداء الإسلام.

وهنا أيضاً تتضح الفلسفة والغاية في شعائر سيد الشهداء في أنها استمرار لقطع الطريق أمام النواصب والقوي العظمي لضرب الدين ومحوه، أو حتي التلاعب به ومسخ صورته الحقيقية، بل هو مانع عن إنزلاق نفس المؤمنين من حيث يشعرون أو لا يشعرون، عن قصور أو تقصير.

الشعائر الحسينية هي حفاظ علي هوية الدين، وحقيقة نبض الدين وفلسفته، وتذكير بالمبادئ بشكل دائم ومستمر، لأنها نبض حي للمبادئ والقيم.

الإمام الحسين عليه السلام والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، من ينصر من؟.

الحقيقة أن الإمام الحسين عليه السلام ينصر ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، لأن القضية الحسينية أصبحت معسكر أساسي لتجنيد الأنصار للإمام المهدي عليه السلام، وحتى تكون جنديا في المشروع المهدي لا بد أن تمر بهذا المعسكر، فهو الذي يؤهلك ويجعلك مدربة لنصرة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، لذلك هذه الأجيال تلقائيا تجد نفسها مهية لأن تكون مهدوية، وهذا هو نصر الإمام الحسين لصاحب العصر والزمان عليهم السلام، وهذا ليس شعرا، بل هي حقائق حضارية وعلمية، وفيها الكثير من الأدلة والبراهين.

أما نصر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف لجده الحسين عليه السلام فهي نصره الحقيقية، سواء كانت فعلية أم لاحقة.

ما جري علي لوط عليه السلام لما اتى قومه ليراودوا أضيافه: «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنًا شَدِيدًا» (1)، في روايات أهل البيت أن المقصود من هذا الكلام هو نوع استغاثة بصاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) من قبل النبي «هود» (2) عليهم السلام.

والواقع أن فلسفة التسليية والسلوي والأمل شيء عظيم، لهول المصائب التي تجري علي الأنبياء والرسل، بل وعلي أئمة أهل البيت عليهم السلام، «أين المنتظر لأقامة الأمت والعوج، أين المعد لقطع دابر الظلمة...».

وفي علم النفس أن الأمل هو مصدر قوة الصبر والتحمل والثبات والاستقامة، وانعدام الأمل عند الإنسان هو إنهاء أرواده.

ص: 77

1- سورة هود، الآية 80.

2- عن أبي بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما كان قول لوط عليه السلام لقومه: «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنًا شَدِيدًا»، إلا تمنيا لقوة القائم عليه السلام، ولا ذكر إلا شدة أصحابه، وإن الرجل منهم ليعطي قوة أربعين رجلا، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقلعوها، ولا يكفون سيوفهم حتي يرضي الله عز وجل». (الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص 673) عنه (إثبات الهداة، الحر العاملي، ج 3، ص 494... وبحار الانوار، المجلسي، ج 52، ص 327).

وجود الإمام مع وجود الأمل يولد النشاط والحيوية، وبالصبر تكون المقاومة.

فإن قيل: لماذا يستغيث النبي لوط عليه السلام بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف مع علمه بالبعد الزمني بينهما؟

والجواب: أن لوط عليه السلام مساهم في ضمن سلسلة بمشروع كبير، وهو يعلم أن نتاج هذا الزرع لن يضيع

فهناك من يحافظ عليه، وهنا تثبت الحيوية والنشاط والإرادة في المضي إلي النهاية في المساهمة في هذا الزرع الإلهي المبارك.

والاستغاثة بصاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) فلسفة إلهية سواء أتاك الغوث العاجل أم تأخر عنك، ففيها من الإيجابيات والنتائج العظيمة الشيء الكثير، منها بقاء الإصرار والإرادة عندك بحيث لا يذهب جهدك وعملك سدى، والاستغاثة بصاحب العصر والزمان لها دور في بعث النشاط والأمل.

ص: 78

الاعتقاد أن غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه شريف تبرر الآن كل الأضطرابات السياسية والعسكرية والأمنية وهم كبير. الولاية هي الفريضة الوحيدة في القرآن والتي لم تقيد بكل تشعباتها بقيد زماني أو مكاني، «ولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم».

فمن يوالي صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف يستطيع أن يشخص سياساته التدبيرية، أما من لا يشخص فهو من يعتقد بالمفهوم الخاطئ لغيبته عليه السلام وهو بهذا يقول بالجمود والإقصاء، والعياذ بالله.

الحق والاعتقاد الحق أن هناك محميات يحامي عنها عسكريا صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف)، كدار الإيمان والمراقد المقدسة لأبائهم وجداده وغيرها، حتي الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، ولو بتدبير خفي.

يجب أن يكون هناك ولاء ثقافي وسياسي وعسكري للإمام عليه السلام، ولا يسوغ للمؤمن أن يتهاون بأسرار الإيمان وتذاع حتي تصل إلي الأعداء والخصوم

بل هناك مسؤولية أمنية، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

منطق رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك منطق أهل بيته من بعده هو أن الكل مسؤول في الإعداد والاستعداد للمشروع الألهي، إذن هذه المسؤوليات العظيمة لا يعطل منها شيء، نعم لا بد للإنسان المؤمن في مسؤولياته أن يهيئ الأرضية والمقدمات لمشروعه، ليكون البناء علي أسس رصينة.

ص: 80

الفصل الخامس: الدعاء وضرورة الارتباط بالمهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

إشارة

- ميزان التواصل مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
- نوع الارتباط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
- رؤية الإمام عليه السلام دليل علي وجوده.
- حجية التشرف برؤية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
- الحجية الأكمل والأتم

ص: 81

العلاقة بين المؤمنين الموالين لأهل البيت صلوات الله عليهم، وبين إمام زمانهم عجل الله تعالى فرجه شريف، هل هي بطبيعتها مقطوعة أو موصولة؟

هذه الجدلية ليست نزاع بقدر ما هي ميزان لطبيعة هذه العلاقة.

أحد طرق الارتباط هو الارتباط القلبي والفكري، وليس فقط الحسي العيني، فهو لا ينحصر بالنوع الثاني، وقد تقل عن الكثير من الأعلام أنه لدي بعض علماء الإمامية الحظوة والارتباط مع صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهذا الارتباط ليس بالضرورة أن يكون جغرافياً، كالسلطان الذي يحكم بلداً كبيراً ويوجد لديه الوزراء والقادة الذين لا يراهم أحد من الناس، ولكن مع ذلك هم من يدير تلك المملكة ويسير شؤونها، لأن الجغرافيا لا تحدد دائماً طبيعة العلاقة.

والتوقيع الوارد عن صاحب العصر والزمان عليه السلام إلي السفير الرابع علي بن محمد السمرى، والمقطوع بصدوره عند الطائفة، يحدد هذه العلاقة، فقد ورد في التوقيع المبارك: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصي إلي أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة)، فلا ظهور إلا بعد إذن الله (عز وجل)،

وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعي المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(1).

نوع العلاقة موجود بعدة ألسن، سواء في دعاء الندبة أو الزيارات الكثيرة الأخرى الواردة بحقه عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ، وَالغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ وَعُدَاغَيْرَ مَكْدُوبٍ»(2) فالغوث يعني أن تتمسك به لكي يغثك، وكذلك دعاء الفرج ودعاء المؤمنين له، وكذلك الكثير من الروايات عن آبائه بالتشديد علي ضرورة التمسك به عجل الله تعالي فرجه شريف.

عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت علي الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟ قال: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله، ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً علي نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون، ثم قال عليه السلام: طوبي لشيعتنا المتمسكين بحبنا في غيبة قائمنا، الثابتين علي مواليتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبي لهم ثم طوبي لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة»(3).

فالثبات هنا هو ثبات سياسي وعقائدي وعسكري أمني.

إذن هنا لونين للعلاقة مع صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، وليس بينهما

ص: 84

1- الصدوق، كمال الدين، ج2، ص516. والطوسي، الغيبة، ص242، 243

2- مقطع من زيارة آل ياسين.

3- الصدوق، كمال الدين: ص361 ب34 هـ

تناقض أو تنافي، بل هما يحددان ميزان العلاقة بالإمام المهدي عليه السلام، أحدهما يدعي له صفة رسمية في الارتباط مع صاحب العصر والزمان وهذا أمر باطل، فمن يدعي الارتباط الرسمي بعد السفير الرابع فهو مارق عن الدين، وكاذب، ومنحرف عن الصراط المستقيم، حسب ضرورة وتسالم أعلام الطائفة قدس الله أرواحهم.

هذا النمط من الارتباط الباطل لفترة محدودة، وهو - حسب التوقيع الشريف - إلي زمان خروج السفيناني والصيحة التي سيسمعا كل إنسان بلغته، وهي نهاية الغيبة الكبرى وبداية الظهور الأصغر، وهو بحسب بعض الروايات يستمر لستة أشهر، وسيكون له نواب خاصين.

أما النيابة العامة فهي دور الفقهاء ونيابتهم في زمن الغيبة الكبرى، وهي مذكورة في القرآن الكريم، وفي مرويات أهل البيت عليهم السلام.

في نص القرآن الكريم قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَأْ لَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» (1). فالأخبار هم الفقهاء.

وكذلك الحديث الوارد عن صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم» (2).

ص: 85

1- سورة المائدة، الآية 44.

2- الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ص 484، ب45؛ والحر العاملي، وسائل الشيعة ج27، ص 140، 11، ح 33426، من أبواب صفات القاضي.

من وظائف المؤمن هو شدة الارتباط بالإمام المهدي عليه السلام: «هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا هَلْ قَدِيَتْ عَيْنٌ فَسَاعَدْتُهَا عَيْنِي عَلَيَّ الْقَدَيِّ... عزيز علي أن أري الخلق ولا تري»(1).

بغض النظر عما إذا كان الإنسان صادقا أو كاذبا في إدعائه «عزيز علي أن أري الخلق ولا تري» فالإمام لا يستطيع أن يكشف هويته، لعدم وجود القوة التي تحميه من بطش الأعداء في الشرق والغرب!، فالاتصال بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف يا ليس بدرجة الانقطاع التام، لأن هذا جحود وإنكار لأصل إمامة الإمام عليه السلام.

وإذا كان الشخص يعتقد أن صاحب العصر والزمان حي يرزق ويدبر الأمور العامة للبشر، لكن طريق الارتباط به منقطعة تماما، هذا أيضا درجة من درجات جحد إمامته عليه السلام.

والصحيح، لا هو إنقطاع تام، بمعنى الجحود والآنكار له عليه السلام، ولا هو وصال تام، بمعنى السفارة والوساطة الرسمية، فهذا في منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو الآخر باطل.

ص: 86

الكليني رحمه الله عقد لهذه المسألة جملة من الأبواب في «أصول الكافي»، وكذلك «الصدوق» في «كمال الدين»، والطوسي في الغيبة، والنعماني تلميذ الكليني أيضا في كتاب الغيبة، وكذلك الشيخ المفيد، والسيد المرتضي، والسيد بن طاووس، كل هؤلاء الاعلام وغيرهم، عندهم إصرار كبير علي تثبيت التشرف بالرؤيا، مع إبطال السفارة والنيابة الخاصة لمن يدعيها في الغيبة الكبرى، وإبطال المشاهدة والوساطة الرسمية في الوقت الذي يصرون فيه علي وقوع الرؤيا، يعني اصرار علي عدم الانقطاع التام.

وهذا هو مسلك علماء الإمامية، وهي الوسطية في العلاقة مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

ما ورد في كتب الشيعة الإمامية عن فقهاء الطائفة وعلمائها بتشرف البعض برؤية صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف و جعله الفقهاء من الأدلة علي وجود الإمام المهدي عليه السلام، وهو لا يناقض نص التوقيع الشريف، لأن التشرف بالرؤية مع عدم إدعاء النيابة الخاصة، لا مشكلة فيه. وقد روي الأعلام من الإمامية في كتبهم، كالميرزا النوري رحمه الله حيث ألف كتابا خاصا فيمن فاز برؤية صاحب العصر والزمان، وهو الآن طبع مع البحار في المجلد الثالث والخمسون. وهذا نوع من أنواع الارتباط بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف

الإجماع التشرفي يختلف عن الإجماع اللطفي، والتعبدية، والتسالمي كما يعبر الأصوليون، فالإجماع التشرفي هو أضعف من زاويتين أو أكثر عن بقيه مراتب الإجماع، وهو حجة علي من تشرف فقط، وليس علي غيره، ولا يعتمد عليه كحجة، ولا حتي كرواية ظنية، وإذا كان الأمر كذلك فما هي ثمرة هذا التشرف؟.

الحق أن فيه ثمرة هم يعطوها الأهتمام إذا لم تخالف الكتاب والسنة، أو البديهيات المأثورة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، صحيح أن نقل من تشرف إلي من لم يتشرف باللقاء ليس حجة ظنية أو حسية، ومع ذلك بينون علي أنها ليست عديمة الفائدة.

والشيخ الطوسي في المصباح ينقل أدعية ليست منقولة عن النواب الأربعة، بل هي منقولة عن تشرف باللقاء في زمن الغيبة الكبرى، وكذلك الشيخ المفيد في المزار وفي موارد متعددة، مع أن الأعلام يقولون إن الأجماع التشرفي حتي لمن تشرف هو أضعف حجة من الإجماع اللطفي، وكذلك التسالمي والتعبدية، لضابطة وسطية يعتمد عليها علماء الإمامية وهي أن السبب ليس في المعصوم، وإنما في من تلقي عن المعصوم، حتي

لو كان التشرف واقعا وليس فيه خطأ ما، ففهم غير المعصوم وسمعه أيضا لا يتصفان بالعصمة، لأن التلقي من غير المعصوم

ويمكن ملاحظة ذلك في القرآن الكريم، فإنه لا يكفي العصمة من المنع، بل لا بد من العصمة في المتلقي حتي يكون الملقي وحيًا بالحق

«وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ^ط وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»⁽¹⁾، فالوحي معصوم من الله، والمتلقي معصوم بالنبي صلي الله عليه وآله، لذا أجمع علماء الإمامية أن المصحف الشريف لا- يمكن أن يكون وحيانيا بنقل إجماع الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين من دون المعصوم، لذلك قالوا إجماع الأمة ليس بحجة ومقصودهم هي الحجة الوحانية، فالحجة الظنية والتواتر الحسي موجود لكن من دون إمام معصوم ينزل عن الحجية الوحانية.

ص: 90

1- سورة الأسراء، الآية 105.

الحجة الوحيانية هي الأكمل والأتم والتي لا يشوبها شك أبداً، في حين أن الحجية الحسية - علي سبيل المثال - ممكن فيها الاشتباه، والنص القرآني واضح في ذلك: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» (1)، وهذا الاشتباه في الحس أثبتت الدراسات وقوعه، والعقل عادة يصحح هذا الاشتباه، وفي قصة عيسى عليه السلام الوحي هو من صحح اشتباه الحين لدي اليهود بزعمهم قتل المسيح عليه السلام.

لا يمكن باليقين الحي الوصول إلي نتيجة وحيانية لا شائبة فيها، وإلا سيكون القرآن الكريم الذي مستنده رواة الصحابة بالتواتر كتابا تاريخيا بشريا والعياذ بالله، ويتم إثبات وحيانية القرآن الكريم بوجود صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف فهو السبب المتصل بين الأرض والسماء.

فتلقي غير المعصوم - علي جلاله قدره - كزرارة ومحمد بن مسلم وغيرهم من الأكابر لا يجعل هذا التلقي وحيًا، غاية الأمر أن هذا الوحي

ص: 91

الذي ألقاه الإمام الصادق عليه السلام بسبب المتلقي غير المعصوم تلون وهبط من المستوي الوحياني إلى المستوي الحسي الظني.

هذا المستوي الحسي والظني يعتمد علي محكمات القرآن الكريم، والمتواترات الوحيانية من سنة النبي والعترة الطاهرة عليهم الصلاة والسلام، تلك المحكمات ليس بتلقي الأفراد بل هناك حافظ لوحياتها وهو إمام العصر في كل زمان.

لذلك نحن نقول أن تلقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه سلام عن رسول الله صلي الله عليه وآله يختلف عن تلقي جميع الصحابة، لأن تلقي الصحابة حسي ظني، أما تلقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هو تلقي وحياني معصوم من معصوم، «لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعِيَّةٌ» (1)، فالصحابة يشبهون في النقل عن رسول الله صلي الله عليه وآله بعمد أو غيره، ولهذا بقي الاجتهاد مفتوحا عند الإمامية، لأن تلقي العلماء الفقهاء عن المعصوم ليس معصوما، وهو قابل للتخطئة.

والتشرف بلقاء صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف ليس بحجة ولكنه إرشاد لشيء غفل عنه الإنسان، والحجبة تبقي لمحكمات الكتاب والسنة.

ص: 92

الفصل السادس: أثر البكاء في تقريب المسافات

إشارة

- البكاء إحساس بالمسؤولية
- أثر البكاء في الشحن الروحي
- دعاء الندبة مدرسة تربوية
- الممارسة اليومية للحب والموودة
- دوام الذكر يولد المحبة
- الدمعة آية المحبة

ص: 93

فلسفة دعاء الندبة استشارة حس المسؤولية لدي المحبين، «هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء؟ هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا؟ هل قد ذيت عين فساءدتها عيني علي القذي؛ هل إليك يابن أحمد د سبيل فتلقي؟ هل يتصل يومنا منك بعدة فنحظي؟ متي نرد مناهلك الروية فنروي؟ متي نتنع من عذب مائك فقد طال الصدي؟ متي نغاديك ونراوحك فنقر عينا؟ متي ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر تري أترانا نحف بك وأنت تؤم الملاء وقد ملأت الأرض عدلاً، وأذقت أعداءك هواناً وعقاباً، وأبرت العتاة وجحده الحق، وقطعت دابر المتكبرين، واجتشت أصول الظالمين، ونحن نقول: الحمد لله رب العالمين»(1).

هذه الرغبة والشوق هي غاية من غايات دعاء الندبة، لأن شدة المحبة والحنين هي التي تخلق المسؤولية «سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيق علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي» الإحصاس بالمسؤولية هو الذي يسلب المؤمن راحته، الإحصاس الكبير بالمسؤولية يصدم حب الذات والأنا، وهنا تكمن الفلسفة العظيمة لدعاء الندبة.

ص: 95

1- مقطع من دعاء الندبة .

وهذا لا يشير فقط إلي تقصير الموالين بل حتي المخالفين، وإلا كيف يفسر موقف أهل المدينة بعد وفاة رسول صلي الله عليه وآله ، عندما مارست الزهراء سلام الله عليها دورها في البكاء والحنين.

أتي القوم إلي أمير المؤمنين عليه السلام وعبروا عن إنزعاجهم من كثرة بكاء الصديقة الطاهرة، وطلبوا منه أن يخيرها بين البكاء ليلاً أو نهاراً، مع أنه لم تمض أيام كثيرة علي وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله.

هذا المنطق هو الذي يريده الطرف الآخر، لا يريد للشوق والحنين الرسول الله صلي الله عليه وآله أن يكون حساً للمسؤولية، «من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات»!!! إنشاد المسلمين لرسول صلي الله عليه وآله في يوم رحيله يعتبرها عبادة لرسول الله مع أنها عين الإيمان.

هنا موقف الزهراء عليها السلام ، عندما رأت الفتور فيما بعد وفي الأيام الأولي من وفاة الرسول الأعظم صلي الله عليه وآله من قبل المسلمين عز عليها ذلك، ولم تقبل لنفسها أن تتخلي عن دورها ومسؤوليتها وهي الحجة علي الأمة، لأن ما تراه هو نوع من قلة الاهتمام بأبيها وهو سيد الخلق وتهوين لشأنه، وهذا من أكبر الكبائر.

وأسباب هذا التقصير الكبير واضح، وهو أن الحنين والمحبة والإنشاد لرسول صلي الله عليه وآله لم يكن متوفراً عند من أخطأ بحقه بعد وفاته.

وأولئك يشابهون من يتحسس الآن من مجالس سيد الشهداء وبكاء المؤمنين علي ما جري عليه وعلي أهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

إن الفتور من قبل المؤمنين في هذا الجانب هو عقوق وإدبار عن أهل البيت عليهم السلام، وعن الوظيفة الإلهية المقررة.

زيادة الارتباط والحنين وشدة الشوق والمحبة في قلب المؤمن هي من الغايات المحورية في الزيارات والأدعية وخصوصا دعاء الندبة، لأنه بالنتيجة هذه الأمور هي التي ستثير في نفس المؤمن حس المسؤولية تجاه مشروع أهل البيت عليهم السلام .

ص: 97

أثر البكاء في الشحن الروحي

سنة البكاء علي سيد الشهداء عليه السلام كانت قبل ولادته منذ بعث الأنبياء السابقين، وكذلك البكاء علي صاحب العصر والزمان، والبلاء الذي يعيشه عجل الله تعالي فرجه شريف ومحنة غيبته الطويلة.

أمير المؤمنين عليه السلام، عندما شاهده أحد أصحابه وهو يتنفس الصعداء مهموما مغموما، فسأله عن سبب هذا الغم، فقال: همي وغمي لذكر غيبة ولدي المهدي وطول محنته.

وكذلك الأئمة عليهم السلام من بعد أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا يعيشون الآم وهموم المهدي عليه السلام وهو لم يولد بعد.

فاجعة كربلاء ومصائبها الفظيعة بسفك الدماء الزاكية لسيد الشهداء وآل بيته وأصحابه وسبي عياله، ومصيبة صاحب الزمان في عظيم محنته بطول الغيبة، لا زالتا ماثلتين قائمتين، وهذا يعني أن المشروع الإلهي إلي الآن لم يتم، والسبب وقوف الظالمين في وجه هذا المشروع، والحيلولة دون تحقيق أهدافه.

لذا هذا البكاء علي سيد الشهداء في مصيبتته وعلي صاحب الزمان في محنة غيبته، لأن باطن هذا البكاء حب وولع بهما صلوات الله عليهما

وبمشروعهما، وبالتالي بالمشروع الألهي، فهو نوع من الخزن وشحن للطاقة الروحية الفاعلة لأنجاز هذا المشروع، والمكابدة في تحمل عظم المسؤولية لكي لا يتراجع المؤمن في وسط الطريق، لأنه ليس في تقدير الله الحكيم العبث في محن آل البيت عليهم السلام، بل هو رسالة وحيانية من الله سبحانه وتعالى أن مشروعهم عظيم، ويحتاج إلي مخزون إعدادي وروحي يستمر لقرون طويلة.

ص: 99

بهذا اللحظ دعاء الندبة مدرسة تربوية وفلسفة عظيمة لصناعة الوله والحنين لأهل البيت عليهم السلام، سواء بصيغة البكاء عليهم أو بصيغ أخرى الغرض الإحساس بالمسؤولية.

وحقيقة المشروع الألهي الذي هو بجهد المعصومين عليهم السلام والأنبياء السابقين يتجسد الآن بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، والمخاطرة به الآن هي مخاطرة بكل الجهود السابقة، بل هو تفريط بكل مصائب ومحن آل البيت عليهم السلام من خلال التفريط بغاية وجدوائية تلك المحن والمصائب.

ولهذا الألم وزفرة الحزن التي يبثها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام «سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد...» كأن محنة الإمام المهدي عليه السلام و مصيبتة في طول غيبته هي اختزال لكل المصائب والمحن التي مرت علي المعصومين عليهم السلام.

لذلك ليس المطلوب قراءة دعاء الندبة فقط، بل المطلب الحقيقي هو الذروة في هذه القراءة، وهي اللوعة والألم ووجع القلب لهذه المصائب والمحن وإقامة حقيقة هذه العناوين، وهذه تحتاج إلي الصدق في العلاقة القلبية والروحية والفكرية لكي تحدث الأثر المطلوب.

عدم تحقيق المؤمن لهذه العناوين في نفسه يعني عدم الشعور بالمسؤولية، وعدم الشعور بالمسؤولية يعني عدم وجود تعلق فكري وقلبي وروحي بالمشروع المهدي، وهذا بالضرورة ناتج عن عدم الفهم لمشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، وكل هذه الأمور تحتاج إلي معالجة فكرية معرفية كي نصل إلي هذه الدرجة من التعلق والوله، وبنود دعاء الندبة كما هي روحية قلبية، هي أيضا بنود فكرية معرفية، عدم التدبر فيها لا يصل الإنسان إلي مرحلة الشحن الروحي والطاقة اللازمة للمقاومة.

يجب علي الإنسان أن يمارس يوميا سنة التعلق بأهل البيت عليهم السلام لأنها ضرورة لتربية النفس، وهي باب مهم من أبواب العبادات. العبادة البدنية مقدسة، وهي تبقي معنا، ليس فقط إلي الموت بل وما بعده في البرزخ، ولكن ثمرتها اليومية أن توجد للإنسان رياضة روحية قطبها الحنين والمودة للنبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

الله سبحانه وتعالى أوجب اجر الرسالة علي الأمة بالمودة في القربي: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (1) يعني في قبال كل هذه التضحيات العظيمة، وآثارها التي لا يمكن حصرها في العقيدة والتشريع والشعائر العبادية هي المودة للنبي وآله صلي الله عليه وآله

فحصر المحبة والمودة في القربي، يعني أن لب العبادة بكل تفاصيلها وتفرعاتها مؤداها حب محمد وآل محمد.

ص: 102

هذه الندبة التي أقامها كل المعصومين سلام الله عليهم بطريقة وأخري لذكر صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، كما ورد في الروايات بكاء عليه وحزنا المحنثة في غيبته الطويلة.

بعض مرضي النفوس يعترض علي هذه الندبة؛ والجواب الدامغ يأتيه من القرآن الكريم ببيان سنة بكاء أقامها يعقوب النبي علي ولده يوسف عليهم السلام .

البكاء علي حجج الله سنة عبادة عظيمة، لم يذكرها القرآن الكريم إلا لكي نتعبد نحن أيضا بهذه السنة: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (1).

فإذن البكاء علي أصفياء الله وحججه شنة تعين علي الأشداد والحنين إليهم، لأن باطن البكاء هو وجد وإنجذاب للمحبوب.

في المناجاة الشعبانية عندما يناجي الإمام عليه السلام ربه بهذه الكلمات: «إلهي هب لي قلبا يدنيه من شوقه» هو بيان لدور الشوق كفعل قلبي من تقرب العبد لربه، فإذا إنعدم الشوق إبتعد القلب عن الله.

ص: 103

بعض العناوين في دعاء الندبة تشير إلى فعل القلب هذا: « فَأَغِثْ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَعِيثِينَ عُبَيْدَكَ الْمُبْتَلِي، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى، وَأَزِلْ عَنْهُ بِهِ الْأَسَى وَالْجَوَى، وَبَرِّدْ غَلِيلَهُ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى..» الشوق واشتعال القلب به- الوارد في دعاء الندبة، وفي غيره من الأدعية والمناجاة - تدعونا إلى ضرورة التعامل مع تراث أهل البيت عليهم السلام بدقة وترؤي كبيرين، لأنه يحتوي علي نواميس ومعادلات النجوي، فأنت أيها المؤمن تريد القرب وتشكو البعد؟ يجب أن تكون وسيلتك الشوق وهذا الشوق يحتاج إلى قلب واله ومتيم.

كان بعض الناس يعيش في زمن رسول الله صلي الله عليه وآله، لكن لم يكن في قلوبهم الشوق له، وهذا يعني بعدهم عنه، لأن قرب الأبدان لا يعني شيئا مع بعد القلوب.

والفكر أيضا يقرب الإنسان «إلهي هب لي قلبا يدنيه منك شوقه، ونظرا يقربه منك حقه»، الفكر إذا كان نافذ البصيرة أيضا يتقرب به الإنسان لربه، لأن قوة الفكر لها تأثيرها الخاص.

فإذا لم يكن شوق القلب مفتاحا للوصول إلى المحبوب، يمكن للفكر أن يكون طريقا آخر للوصول.

لكن يبقى الطريقتين هما المطلوبين للوصول، لأنه لا- يكفي الشوق مع عدم البصيرة!، أو قريب فكريا لكنه قاسي القلب ليس فيه شوق للمحبوب!، حتي لا يصبح هذا الإنسان عجيبا في تناقضاته، لأن المعادلة من طرفين وليست من طرف واحد، «إلهي هب لي قلبا يدنيه بينك شوقه ونظرا يقربه منك حقه».

هذه هي نقاط الاتصال بالساحة الإلهية، وبالتالي بساحة المعصومين عليهم السلام، فكل إنسان قريب شوقا من صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، ولكنه فكريا بعيد عنه فهذا محجوب، لأنه لا بصيرة له، ولو كان قريبا فكريا لكنه لا يشقائق لصاحب الزمان فهذه القساوة حتما ستجعله بعيدا عن الإمام عليه السلام.

هذه المعادلة مع الساحة الإلهية هي بعينها مع أولياء الله وحججه - فكر نافذ وبصير، مع قلب متيم وشوق كبير - هكذا يكون القرب.

هذا الحب يطهر قلب الإنسان من أوساخ الغفلة، ويعيده إلى ربه، ورد في المناجاة الشعبانية: «إِلَهِي لَمْ يَكُنْ لِي حَوْلٌ فَأَنْتَقِلَ بِهِ عَن مَعْصِيَتِكَ إِلَّا فِي وَقْتٍ أَيْقَظْتَنِي لِمَحَبَّتِكَ، وَكَمَا أَرَدْتَ أَنْ أَكُونَ كُنْتُ، فَشَدَّ كَرْتُكَ بِإِدْخَالِي فِي كَرَمِكَ، وَلِتَطْهِّرَ قَلْبِي مِنْ أَوْسَاخِ الْعُقْلَةِ عَنْكَ»، فكلما تزداد أوساخ الغفلة علي قلب الإنسان يزداد البعد عن الله سبحانه وتعالى حتي ينجس القلب، ولن يعود الإنسان إلا أن يشتغل القلب بالحب من جديد، وهذا بدوره لا يتم إلا بالذكر.

حب رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام هو الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في التكامل والقرب الإلهي، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (1)، وهذا الرفع لأنه مقرون بذكر الله سبحانه وتعالى، وإدمان هذا الذكر هو الذي يفجر في قلب الإنسان الحب والشوق إلى المحبوب.

أبناء النبي يعقوب عليه السلام لم يستوعبوا شدة حنين وشوق أبيهم ليوسف عليه السلام: «قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ

ص: 106

تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ»(1)، والمعصومون أيضا يتفاوتون في حُبهم وحنينهم بحسب درجة عصمتهم، فأمر المؤمنين عليه السلام في حداده علي رسول الله صلي الله عليه وآله علي فاطمة الزهراء عليهما السلام لم يخضب شيبته المقدسة بقية عمره الشريف، ولم يلبس جديدا، وهذا يدل علي شدة الشوق والحنين الرسول الله وللصديقة الطاهرة صلي الله عليهما وآلهما، وهذا مما اختص به سلام الله عليه.

ص: 107

1- سورة يوسف، الآية 85.

اذن هذه العبادة القلبية حتي المعصومين يتفاوتون فيما بينهم، أما القاسية قلوبهم فهم محرومون من هذه النعمة الكبيرة والكمال العظيم، لأنهم لم يستوعبوا تلك العبادة، ولم يفهموا أو يستشعروا لذة هذا الشوق والحنين، وأحد مظاهر قلب العاشق هو الرقة، وتلك الدمعة هي آية من آيات ذلك الحب، وعلامة لين القلب ورقته، والقرآن الكريم أشار إلي ذلك: «وَإِذَا سَجَعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (1)، «وَلَا عَلَي الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» (2).

والله سبحانه وتعالى يحب لين القلب، لأنه أقرب ما يكون العبد لربه عندما يلين قلبه، وقد ورد أن موسى عليه السلام قد سأل ربه فقال: يا رب أين أجذك؟ قال: «عند المنكسرة قلوبهم».

اما الجفأة الغلاظ فهم قساة، ويتباهون بقساوتهم

ص: 108

1- سورة المائدة، الآية 83.

2- سورة التوبة، الآية 92.

الفصل السابع: محورية المودة في لزوم الطاعة

إشارة

- لغة الشوق والحنين
- أثر الحب في التعلق بصاحب الزمان عليه السلام
- القصد بالقلوب أبلغ
- الحب والحنين خروج من الظلم
- من طرق بابا أوشك أن يفتح

ص: 109

هذه الفريضة من فرائض أعمال القلب، وهي إحدى الغايات في دعاء الندبة، وهي الحنين والشوق وغلبيانه في القلب، «فَأَغِثْ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ عُبَيْدَكَ الْمُبْتَلِيَّ، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى، وَأَزِلْ عَنْهُ بِهِ الْأَسَى وَالْجَوَى، وَبَرِّدْ غَلِيلَهُ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى...» (1).

يعني من الفرائض العظيمة هو أن يشتعل القلب شوقاً إلي صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، أما إذا كان القلب بارداً فهو في قصور وتقصير، وإذا كان الأمر كذلك، ما هو السبيل إلي زيادة هذا الشوق حتي يصل مرحلة الاشتعال في القلب؟

من أهم الأمور التي توجد الشوق والحنين العالي هو البكاء، متي ما وصل المؤمن إلي هذا الأدب وإلي هذه الدرجة من العلاقة فإنه سيشتعل قلبه.

فلسفة البكاء وثماره العظيمة هو اشتعال الحب والشوق للمحبوب، صحيح أن البكاء ناشئ من الحب ابتداء وليس العكس، ولكن إدمان البكاء هو ترسيخ وتجذير لهذا الحب، بدليل الفوائد العظيمة للبكاء علي سيد الشهداء وآثاره الماثلة أمامنا.

ص: 111

1- مقطع من دعاء الندبة .

من الأسرار العظيمة في دعاء الندبة هي تحبيب لغة البكاء، «فَعَلِيَ الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلَيْتَاكَ الْبَاكُونَ، وَإِيَّاهُمْ فَلَيْتُدْبِ النَّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْتَدْرِفِ الدُّمُوعُ، وَلِيَصْرُخِ الصَّارِحُونَ، وَيَضِجَ الصَّاجُونَ، وَيَعِجَّ الْعَاجُونَ»(1).

لغة الحب ولغة البكاء لغة واحدة، وإنصافاً بعد تحليل علمي سيتضح أن البكاء هو منشأ الحب والعشق والهيام.

المودة هي فريضة قلبية قبل أن تكون بدنية وهي فريضة عظيمة، ودعاء الندبة يستعرض لنا اليات أداء هذه الفريضة حتي لا نقصر أو نفرط فيها، لأن فلسفة الحب للأصفياء من آل محمد صلي الله عليه وآله هو تكامل مستمر، وكلما اشتد الحب زاد الكمال أكثر، وهذا يدل علي أن حقيقة البكاء وفلسفته شيء عظيم.

ص: 112

1- مقطع من دعاء الندبة.

من يشكل علي شدة التعلق بأهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وأن الأفراط يؤدي إلي الغلو قد اخطأ الطريق، فيذهب بالنتيجة إلي التفريط، وبالتالي الجفاء لآل البيت عليهم السلام، في حين أن القرآن الكريم يصدق بأية المودة: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» (1)، وقد روي أن رجلا من الأنصار جاء إلي النبي صلي الله عليه وآله فقال: يا رسول ما استطيع فراقك، وإني لأدخل منزلي فأذكرك فأترك ضيعتي، وأقبل حتي أنظر إليك حبا لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة وأدخلت الجنة، فرفعت في أعلي عليين، فكيف لي بك يا نبي الله؟ فنزل قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا» (2)، فدعي النبي صلي الله عليه وآله الرجل فقرأها عليه وبشره بذلك (3).

فهل هذا الرجل هو مبتدع أو مغالي؟ وهل اتهمه رسول الله صلي الله عليه وآله بذلك؟ أم أن الله سبحانه وتعالى أنزل وحية يبشر هذا المتيم بحب

ص: 113

1- سورة الشوري، الآية 23.

2- سورة النساء، الآية 69.

3- المجلسي، بحار الأنوار، ج 71، ص 14.

النبي صلي الله عليه وآله، وهو خائف وجل إذا رفع النبي صلي الله عليه وآله يوم القيامة إلي أعلي عليين كيف يراه بعد ذلك؟.

«واجعل قلبي بحبك متيما» هذه المعاني الروحية العظيمة في دعاء «كميل»، والتي تتصاعد بالعبد في درجة الحب والشوق إلي مرحلة المتيم هي أعلي درجات العشق والهيام، وهو معني «القصد إلي الله بالقلوب أبلغ من القصد بالأبدان». فأين نحن من هذا الحب والعشق لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف؟ من نتائج الحب هو الطاعة للمحجوب، وهو أحد المقامات العظيمة لفلسفة الحب والعشق.

دعاء الندبة يسعي في هذا المضمار، وهو زيادة العشق والمحبة لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، وهذا يعني أن التملل والتلكؤ في الطاعة بسبب ضعف المحبة،: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (1) يعني علامة صدق المحبة الأتباع.

إذن المحبة ليست تصع أو تكلف، بل هي بناء قويم لكمال الطاعة وهي الدين، وهذا يدل علي عظمة بيان أهل البيت عليهم السلام في أن حركة القلب إلي الله أعظم من حركة الأبدان، لأن الحب الذي هو حركة قلبيا يجعلك مطيعا للمحجوب ولا تحدث نفسك بالمخالفة أبدا، خصوصا إذا اشتد الجوار تقعت درجته.

ص: 114

1- سورة آل عمران، الآية 31.

العبادة القلبية التي يشير إليها دعاء الندبة هي في الحقيقة بند و محور في كل الأدعية والزيارات، وهي تنبيه علي أن العبادة القلبية هي أعظم من العبادة البدنية كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وهذه الإشارة لا تعني التفريط بالعبادة البدنية، بل تبقي هي مقدمة، وفيما بعد تأتي العبادة القلبية.

والغاية من العبادة القلبية هي الوصول إلي هذا المقام: «وإجعل قلبي بحبك متيماً» يعني أن يصل إلي درجة من العشق والوله، وهي أعلي ما يمكن أن يصل إليه المؤمن.

هذه الحالة إن لم يوجد لها المؤمن في روحه وقلبه سيقتي في صحراء قاحلة لا روح فيها ولا معني، فالدعاء ليس فقط لقضاء الحوائج سواء كانت دنيوية أو أخروية، بل الغاية الأعظم أن يكون العبد متيماً بعشق الله: «وهبني صبرت علي حر نارك.. فكيف أصبر عن النظر إلي كرامتك..» هذا الشوق واشتعال القلب بحب الله متي وجد في أنفسنا أوجد طاقة من العبادة والأيمان والكمال بدرجة أعظم مما يمكن تصوره.

والإمام الحسين عليه السلام في كربلاء أشار إلي هذه المسألة في إحدى

خطبه بأصحابه: «...وما أولهني إلي أسلافي اشتياق يعقوب إلي يوسف..»⁽¹⁾ فالوله هي الغاية التي يبلغها الإنسان في عشقه للمعشوق، وأيايمان أعظم من هذا؟ فقلب غير واله ناقص الأيمان والكمال!

لذلك تري أهل البيت عليهم الصلاة والسلام يتعاملون مع الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه شريف بهذا النوع من العشق في نديتهم له.

فأمير المؤمنين عليه السلام، ورد عنه انه كلما ضاقت نفسه بالهموم ذكر ولده المهدي، والإمام الصادق عليه السلام كان كثير البكاء والنحيب في ذكره له، وكانت نديته له تقطع القلب لشدة الوجد الذي يظهره، ونفس الأمر ورد عن الرضا عليه السلام.

التعلق بالحجة بن الحسن عليه السلام يجب أن يكون بهذه الشاكلة، وعلينا أن نتعلم من أئمة أهل البيت عليهم السلام كيفية التعامل مع المهدي عليه السلام، والتعلق به ونديته وذكره بما يستحق من العشق والوله به، وهذا لن يكون بدون التوجه القلبي من خلال الدعاء والزيارة، وليست مجرد قراءة فارغة جوفاء لا تتعد عن لقلقة اللسان.

فالندبة سنة نبوية دأب عليها أهل البيت عليهم السلام، والندب هو تلهف وشوق لهذا المنقذ المصلح.

ص: 116

1- السيد بن طاووس، اللهوف في قتلي الطفوف، ص 126.

دعاء الندبة لا يختص فقط بطلب الحاجة، بل هو متضمن لماهيات عبادية عديدة، فهو نجوي وملاطفة في الدعاء، وهو تحبب وتعاطف وحنين، كل هذه أفعال عبادية مكانها القلب والروح.

وفي الرواية أن حنين المؤمن لرسول الله صلي الله عليه وآله يخرج من دائرة الظلم لنفسه، فقد روي أن رسول الله صلي الله عليه وآله كان يخطب بالمدينة إلي جذع نخلة في صحن مسجدها، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله إن الناس قد كثروا، وإنهم يحبون النظر إليك إذا خطبت، فلو أذنت في أن نعمل لك منبرا، له مراق ترقاها فيراك الناس إذا خطبت، فأذن في ذلك.

فلما كان يوم الجمعة مر بالجذع فتجاوزه إلي المنبر فصعده، فلما استوي عليه حن إليه ذلك الجذع حنين الشكلي، وأن أنين الحبلي، فارتفع بكاء الناس وحنينهم وأنينهم، وارتفع حنين الجذع وأنينه في حنين الناس وأنينهم ارتقاعا بينا.

فلما رأى رسول الله صلي الله عليه وآله ذلك نزل عن المنبر وأتى الجذع فاحتضنه ومسح عليه بيده وقال: اسكن، فما تجاوزك رسول الله تهاونا بك، ولا استخفافا بحرمتك، ولكن ليتم لعباد الله مصلحتهم، ولك جلالك وفضلك إذ كنت مستند محمد رسول الله، فهدأ حنينه وأنينه، وعاد رسول صلي الله عليه وآله

إلي منبره، ثم قال: معاشر المسلمين هذا الجذع يحن إلي رسول رب العالمين، ويحزن لبعده عنه، وفي عباد الله - الظالمين أنفسهم - من لا يبالي قرب من رسول الله أو بعد، ولولا أنني ما احتضنت هذا الجذع، ومسحت يدي عليه ما هداً حنينه (وأنيته) إلي يوم القيامة، وإن من عباد الله وإمائه لمن يحن إلي محمد رسول الله وإلي علي ولي الله كحنين هذا الجذع، وحسب المؤمن أن يكون قلبه علي موالاة محمد وعلي وآلهما الطيبين (الطاهرين) منطويًا...»(1).

وبيان سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله واضح في هذه الرواية وأن من لا يحن الرسول الله صلي الله عليه وآله ظالم لنفسه! وكذلك الحنين لأمر المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام، فحق الإنسان علي نفسه أن يوجد في قلبه الحنين لسيد الأنبياء وآله الطاهرين، وهذه العبادة القلبية العظيمة هي ركن مهم وأصل في العبادة لله سبحانه وتعالى، وهي من الفرائض المسلمة والمتواترة عند الفريقين، وإلا سيكون محروما من فيوضات الرحمة الإلهية.

ص: 118

1- المجلسي، بحار الانوار، ج17، ص329.

لو قيل: إننا لا نستطيع الوصول إلي هذه الدرجة من اشتعال القلب بالعشق والحنين أو إلي الدرجة التي عبر عنها الإمام الحسين عليه السلام إنه «يشتاق إلي أسلافه اشتياق يعقوب إلي يوسف»، أو هذا الحنين والأين الذي تحدث عنه رسول الله صلي الله عليه وآله، فكيف يمكن أن يقال إن هذا الحب فريضة، وهو بهذه الدرجة من الصعوبة؟

وقد ورد في حديث الفضيل بن يسار، وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، أنه سأل الإمام: «هل الحب من الإيمان؟»، فقال له عليه السلام: «وهل الإيمان إلا الحب؟!».

بل إن الله سبحانه وتعالى جعل اجر الرسالة هو حب محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام: «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (1).

وكيف يصل المؤمن إلي هذا المقام بأن يكون قلبه متيما بحب صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهو يقرأ دعاء الندبة: «هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟ هَلْ قَدِيتَ عَيْنٌ فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَي الْقَدِي».

ص: 119

أَوْ: «فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلْيَبْكُوا الْبَاكُونَ، وَإِيَّاهُمْ فَلْيَتَذَبَّ النَّادِبُونَ، وَ لِمِثْلِهِمْ فَلْيَتَذَرِفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصَّارِخُونَ، وَيَضْجَجِ الضَّاجُّونَ، وَيَعْجَجِ الْعَاجُّونَ»(1)، وفي الحقيقة أنه عند البعض مجرد لقلقة لسان لا تترك أثرا يذكر من العشق والهيام؟!

سر البكاء نجوي ووصال روحي، وهو بوابة لما هو أعظم من الحب والحنين، فهل هذا المقام هو فعلا خارج عن قدرتنا؟.

يجب أن نعرف أولا: أن هناك الكثير من الواجبات المفروضة لا تتحقق في الإنسان بين ليلة وضحاها، «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ»(2)، بل هي تحتاج إلي جهد ومثابرة، حتي يصل الإنسان إلي درجة تحقيق ذلك الواجب وتلك الفريضة في نفسه، مثلا الاجتهاد في مسائل الدين صحيح أنه كفائي، لكن من يريد أن يصل إلي مقام الفقاهاة والاجتهاد عليه أن يبذل جهدا حتي يصل إلي هذا المقام.

وأمثلة أخري من واقع الحياة أيضا تحتاج إلي جهد لمن يريد أن يتخصص بأي مجال من المجالات العلمية، فهي لا تأتي بسهولة بل الدراسة لسنوات حتي يصل إلي ما يريد.

هكذا المسألة هنا، فمن طرق بابا أوشك أن يفتح.

ومن يريد أن يصل إلي مقام العشق والوله عليه أن يتذكر قوله تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»(3)، إذن التكليف ليس بالضرورة أن يكون

ص: 120

1- مقطع من دعاء الندبة.

2- سورة الانشقاق، الآية 6.

3- سورة النجم، الآية 39.

دفعه واحده، بل المطلوب هو التدرج والحساب مع النفس والمراقبة لها كل يوم حتي يصل إلي الإنسان إلي مبتغاه، صحيح أننا مطالبون أن نصل بقلوبنا إلي درجة اشتياق يعقوب ليوسف: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (1)، ولكن هي ليست فريضة دفعية لأن الله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها.

يبقى علي الإنسان أن يهيئ المقدمات الضرورية ويبادر إليها لتحصيل تلك الفريضة المقدسة، لأنه بدون تلك المقدمات سيحاسب علي التفريط، وعلي الظلم الذي ألحقه بنفسه، «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» (2).

ص: 121

1- سورة يوسف، الآية 111.

2- سورة التوبة، الآية 46.

الفصل الثامن: الدعاء والقراءة الصحيحة للمشروع المهدوي

إشارة

- كيف نقرأ علامات الظهور

- منهج الافراط

- منهج التفريط

- القراءة الصحيحة

- من أراد استعداد

- أنت سيد الموقف

- العلامة الأكبر

- ضريبة العجز والتقصير

ص: 123

كيف نقرأ علامات الظهور؟

هناك جدلية كبيرة مرتبطة بالعقيدة المهدوية والمعرفة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، وهذه الجدلية تتحول في المجتمع إلى مشكلة يعالجها دعاء الندبة بشكل واضح وصريح.

هذه الجدلية قمت المجتمع إلى فريقين بين الافراط والتفريط في قراءة علامات الظهور، وهي بنفسها من المحاور المرتبطة بالإمام المهدي عليه السلام، وفيها تركت الامة الجادة الوسطي التي خطها لنا تراث أهل البيت عليهم السلام.

ومما لا شك فيه أننا إذا استقمنا علي الجادة نكون قد أدينا المسؤولية العظيمة تجاه إمام زماننا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف.

ص: 125

هناك اتجاه يفرط في علائم الظهور بأن يرهن الأمور بالعلامات ويبالغ بالتوقيت، فيتحول الأمر إلي نظم زمني وحلقات زمنية متتابعة إلي أن تصل إلي نهايتها، وهذا التفسير باطل، «كذب الوقائون» فليست حقيقة علامات الظهور عبارة عن تسلسل زمني، (قد يكون لسان بعض الروايات أدي إلي إغراء أصحاب هذا الاتجاه) ولكن المراد من مغزي علائم الظهور شيء آخر.

والبعض ذهب إلي التفريط بتلك العلامات، ولم يعبأ بها أصلاً، وهذا الاتجاه أيضاً خاطئ، لأنه يعتبر أنه من اللازم علي المؤمنين والجماعات الناشطة منهم بالخصوص أن لا تعير اهتماماً لها، وهذا الاتجاه التفريطي أكثر عجباً من الاتجاه الإفراطي، فالروايات المتواترة والمستفيضة تواترها إجمالاً عند الفريقين وليس فقط عند الإمامية، فهل صدرت هذه الروايات جزافاً من الشارع المقدس؟!

هناك مشكلة ثقافية كبيرة في مفهوم قراءة علائم الظهور، وهو التعامل مع هذه الروايات كأخبار المنجمين الذين يخبرون ببعض الأحداث المستقبلية، وهذه النظرة للأسف ابتليت بها الكثير من الكتابات حول علامات الظهور.

وظيفة الوحي الإلهي وفلسفته وغايته ليس التنجيم، حتي النبؤات الموجودة في القرآن الكريم يمكن ملاحظتها علي أنها إعجاز إلهي في التنبؤ كي يثبت هذا المراد، وهو أن الأمر لله وليس للبشر.

يعني «إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (1)، لا أن وظيفتنا تفسير الانتظار علي البقاء متفرجين كأننا لسنا طرفا في هذا المشروع؛ هكذا يكون الأمر إذا فسرت علامات الظهور بهذه الطريقة أما توقيت وتسلسل زمني للأحداث ينتج قراءة خاطئة لعلائم الظهور أو التعامل مع الروايات كتنجيم، وهذا بالنتيجة يصل بنا إلي أنه ليس هناك مسؤوليات، ولا وظائف للمؤمنين

ص: 128

فلسفة الظهور وعلاماته مرتبطة بالصميم بالمسؤولية الملقاة علي عاتقنا، وهي لأجل تحديد المسؤولية تجاه الأفراد والأجيال، لا من باب توقيت التسلسل الزمني، بل هي مرتبطة بأفعال وأحداث نحن نصنعها أو يصنعها الخصم، هذه قراءة أخري لعلامات الظهور، وهي الجادة الوسطي.

الخطاب القرآني والذي يؤصل لقاعدة عامة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (1)، «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (2)، هذه الخطابات القرآنية تؤكد أن النصر صحيح هو من عند الله، ولكنه ليس علي نحو الجبر، بل هو أمر بين أمرين.

إن تنصروا الله...»، لن يأتي علي نحو العفوية، لأن سنة الله هي قاعدة لا تتخلف كل تغيير وإنتقال سياسي أو حضاري، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (3)، كل شيء مرهون بتلك القاعدة القرآنية .

«البداء» أصل اعتقادي عظيم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فعن

ص: 129

1- سورة محمد، الآية 7.

2- سورة الأنفال، الآية 10.

3- سورة الرعد، الآية 11.

أحدهما عليهم السلام : «ما عبد الله بمثل البداء»⁽¹⁾، وعن الصادق عليه السلام: «ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر له بالبداء»⁽²⁾، فلسفة البداء ليس كما يعتقد اليهود، «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»⁽³⁾، بل المنطق القرآني هو هكذا: «كُلًّا تُمِدُّ هُوَ لَاءٌ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا»⁽⁴⁾

يعني الله سبحانه وتعالى يعمل بالأسباب والمسببات، لا أننا مؤمنين، ولنا كرامة علي الله سبحانه وتعالى فينزل علينا النصر بدون أن نعد له العدة!، كلا أبدا: «لَا يَسْتَتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً»⁽⁵⁾.

فكيف يساوي الله سبحانه في المدد التكويني بين من يجتهد في تطوير مشروعه باستمرار، ويعمل الاحتياطات اللازمة لحفظه والدفع به نحو الانتصار، وبين من يجلس متفرجا لا يمارس دورا في المشروع الذي يؤمن به؟!

فمن يريد التغيير والتعجيل بالظهور المقدس لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف عليه أن يعمل ويجد ويجتهد في سبيل ذلك المشروع الألهي لأنه ليس بين الله وبين أحد من قرابة! من يريد الانتصار عليه توفير المقدمات المطلوبة لذلك.

ص: 130

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج 4، ص 132.

2- الصدوق، التوحيد، ص 334.

3- سورة المائدة، الآية 64.

4- سورة الإسراء، الآية 20.

5- سورة النساء، الآية 95.

إذن علامات الظهور ليست برنامج سلسلة زمنية، بل هي توصيات وتحذيرات ليرتبط كل فرد منا بمسؤوليته الشرعية والأخلاقية في تحقيق المشروع المهدوي.

ص: 131

القرآن الكريم عندما يتحدث عن يوسف عليه السلام ويشير إلي التعلق والوله به من قبل أبيه النبي يعقوب عليه السلام، «قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (1).

وما يتحدث عنه دعاء الندبة محوره الأصلي هو صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهذه الآداب التي جرت من نبي من أنبياء الله وهو يعقوب تجاه يوسف عليه السلام، هذه سنة للمؤمنين بما فيها من آداب، من الحري بنا أن نقيمها مع المهدي من آل محمد صلي الله عليهم أجمعين.

الله سبحانه وتعالى كني عن أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم، لكي نستدل عليهم بما هو في غيرهم، وهم أيضا أعظم من ذلك شأنًا .

ص: 132

من أراد شيئاً لا بد أن يعد له العدة، لأن الحدث لا يمكن أن يكون ابن ساعته، فنهج رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام الإعداد والاستعداد لكل شيء خصوصاً الأحداث المهمة والمفصلية في رسالة السماء، «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ انبَعَثَهُمْ فَبَثَّهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ»(1).

فمن يبحث عن الأعذار في هكذا نشاط مخطئ، لأن المطلوب من المؤمن أن يكون شعلة من النشاط والحيوية والتكامل المستمر لكي يكون مستعداً باستمرار، لأن مسؤولية تحصيل الأغراض المذكورة في دعاء الندبة والتي لها بداية وليس لها نهاية يجب فيها التشمير عن ساعدي الجد التحصيلها، ومن لطيف التعابير في الدعاء أن الصلاة أحد معانيها تأييد بالنصرة، يعني نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يؤيده بالنصر: «وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَأَغَايَةَ لِعَدَدِهَا، وَلَا نِهَايَةَ لِمَدَدِهَا، وَلَا نَفَادَ لَأَمَدِهَا»(2).

ص: 133

1- سورة التوبة، الآية 46.

2- مقطع من دعاء الندبة .

هناك بعض الروايات يسأل فيها الراوي عن العلامات المحتومة، مثل السفيناني واليماني وغيرها من العلامات هل يبدو لله فيها؟ قال الإمام عليه السلام نعم (1)، محتوم ومع ذلك قد يبدو لله فيه، فنحن لسنا مجبرون عليها، بل هي رهينة موقفنا وقوتنا واستعدادنا وتحملنا للمسؤولية، وهنا تبدو حقيقة علائم الظهور وعظمتها في التحذير والاستعداد.

وهذه المسألة كر مثلها في القرآن الكريم في قصة قوم النبي «يونس عليه السلام»، وكيف أن العذاب شارف عليهم، ثم رفعه الله سبحانه وتعالى.

إذن هذه العلامات ليس فيها جبر، بل أنت سيد الموقف في مسؤوليتك، لأنه دائما هناك بدائل وخيارات.

ص: 134

1- عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري قال : كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا (عليهم السلام) فجري ذكر السفيناني وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم فقلت لأبي جعفر: هل يبدو الله في المحتوم؟ قال: نعم. فقلنا له: فنخاف ان يبدو الله في القائم. فقال: أن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد. (النعمان، الغيبة، ص 314-315)

أمر مهم جدا يذكر في الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو هذا المقطع من دعاء العهد: «اللَّهُمَّ إِنَّ حَالَ بَيْتِي وَبَيْتَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَيَّ عِبَادَكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَرًّا كَفَنِي، شَاهِرًا سَدَّيْنِي، مُجَرِّدًا قَنَاتِي، مُلَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي» (1).

وقد روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا إلي الله أربعين صباحا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة».

حتى الأموات مخاطبون بالمسؤولية فضلا عن الأحياء، وهذا يدل على عظمة المسؤولية الملقاة على عاتقنا، والتي لا يعفي منها حتى الأموات.

أمير المؤمنين عليه السلام لم يعطي لعلامات الظهور مثل السفيناني أو اليماني أو الحسيني أو غيرها مثل ما أعطي لهذه العلامة من التركيز، وهي رجعة المؤمنين إلى الحياة الدنيا لنصرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي تعني الكثير في بيان حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المؤمنين حتى اشتهرت

ص: 135

بين أطفال الكوفة فضلا عن رجالها ونسائها «العجب كل العجب بين جمادي ورجب».

وهذا يعني أن أكبر علامة للظهور هي قيام المؤمنين بمسؤوليتهم في هذا المشروع، الأحياء أولا- ثم الأ-موات، يحييهم الله، فإذا قام المؤمنون بمسؤوليتهم يقع الظهور المقدس.

أكبر علامة للظهور إذا نظرنا للموضوع من جهة أخرى، هي قدرة المؤمنين علي تشكيل قوة تستطيع توفير الحماية لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف.

كل الأئمة السابقين أجابوا علي تساؤل بعض الناس في سبب عدم القيام! هو انهم لو وجدوا أنصارا لقاموا بالأمر، يعني المسؤولية كلها بالنهاية ترجع إلي ساحة المؤمنين الموالين للأئمة عليهم السلام، فهذا الأمر وتلك الغاية مطلوبة في كل زمان، ولكنه لم تتوفر الظروف المناسبة لبقية الأئمة عليهم السلام والتقصير دائما بسببنا.

ص: 136

العجز والقصور والإخفاق لا يريد الشارح، بل يريد من المؤمنين أن يعدوا العدة، أي تقصير من قبلنا في المسؤولية فهذا يعني عدم ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، فمتي ما وفرنا القوة من الناحية الاقتصادية والعسكرية والأمنية ولم يحصل الظهور، فهذا يعني عدم كفاية القوة المتوفرة لدينا، وعلينا السعي لتقويتها والزيادة فيها، وهذه الفقرة في دعاء الندبة تشير إلى ذلك: «إِلَى مَتِي أَحَارُ فَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَإِلَى مَتِي وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فَيْكَ وَأَيَّ نَجْوَى عَزِيزٍ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَأُنَاغِي، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى»⁽¹⁾، هي لمن يقرأ دعاء الندبة ولديه إصرار في محاولات تغيير الأوضاع للمولي وإنهاء حالة اللاأمان، والأنقطاع الظاهري عنه عجل الله تعالى فرجه شريف-

فهو يستنكر هذه الأ-جاء علي نفسه وعلي الآ-خرين، ويعاتب الجميع علي سبب الاستمرار في هذا الحال: «إِلَى مَتِي أَحَارُ فَيْكَ يَا مَوْلَايَ...» وهو منهج استراتيجي عظيم في تحمل المسؤولية تجاه أهل البيت عليهم السلام:

عزيز علي أن أبكيك ويخذلك الوري...» يعني سبب عدم الظهور هو خذلان الناس، لا أنه لم تتوفر العلامات الأخرى كالصيحة والسفياي وما شابهه! .

ص: 137

بث الحسرة ولوم النفس والمجتمع علي خذلان صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، هي تربية للنفس من أجل عدم الاتكاء علي أعذار أخرى، بل إن السبب الرئيسي هو هذا (خذلان الوري).

إذن نصرة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف هي ناموس الظهور والفرج، وهي التمهيد لرجعة المؤمنين للقيام بالمسؤولية.

وهذه المحاور هي لرسم استراتيجية العلاقة مع مشروع صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، «عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلْوِي وَلَا يَنَالُكَ مِنِّي صَاحِبُ وَلَا شَكْوِي»⁽¹⁾.

بلوي عدم الأمن والأمان هي التي تحيط بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، لأنه يحمل المشروع الإلهي المنتقد للبشرية، وهو مطارد من قبل الظالمين.

ص: 138

1- مقطع من دعاء الندبة .

الفصل التاسع: مسؤوليات ومهام المؤمن قبل الظهور

إشارة

- مسألة قديمة بلغة عصرية
- دور المؤمنين في التمهيد للظهور المقدس
- يملأها قسطاً وعدلاً تحملنا المسؤولية
- تحمل المسؤولية والتدرج في التمهيد
- التمهيد الروحي أجل وأعظم
- مسؤوليتنا في إقامة الحكومة قبل الظهور

ص: 139

التزمت مدرسة الإمامية في «الحسن والقبح» انهما عقليان ذاتيان، وتبعهم في ذلك المعتزلة في قبال الأشاعرة الذين يقولون انهما شرعيان، وهذه المسألة تلقي بظلالها في تشخيص منهاج الحق في الغيبة الكبرى وفي مشروع الظهور.

والآن علي طاولة الحوار البشري يطرح للنقاش التساؤل التالي: هل الصحيح أو الحسن هو ما توافق عليه البشر في المواثيق الدولية وتصالحو عليه فيما بينهم؟ أم أنها واقعية تكوينية أصاب البشر ام اخطأ فيها؟

في كل «البيئات» الحسن والكمال تكويني ذاتي، ونفس هذا الموضوع القديم يثار الآن بلغة عصرية، والبصير من يبصر الموازنات بين الأبحاث والإثارات العصرية المتداولة الآن، لأنه يجب موازاة هذه البحوث مع البحوث الأصلية والأصيلة في مبدأ الدين، وهذا أمر ليس سهلاً.

إن الحسن ذاتي يعني أن صفة المعصوم عليه السلام تأخذه في الله لومة الاثم، فالمعصوم لا يدور في مقام القبح والحسن علي لوم البشر، ولا تعنيه ادانة منظمات الأمم المتحدة، أو مؤسسات الإغاثة أو محكمة الاهاي، لأنه يري أن خالق هذا الكون وخالق النظام الاجتماعي، والحضاري للبشر يري هذا الطريق نحو الكمال.

أصلاً غيبة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وأنه ليس في عنقه بيعة لأحد، أي ليس في عنقه بيعة لأي عرف أو ميثاق دولي، لأنه في عنقه بيعة لدين الله ولهذه المبادئ.

القانون الآن هو تكريس للطبقية في المجتمعات، فثروات العالم الآن بيد اشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، وفي كل دول العالم أكثر أموال الأرض دولة بين الأغنياء، فلا الأمم المتحدة استطاعت إيجاد العدالة وإلغاء هذا التفاوت الطبقي، ولا الشيوعية قضت عليه، ولا الاشتراكية، ولا نظام السوق، ولا البورصة، ولا مؤسسات حقوق الإنسان كلهم صفقة واحدة علي أن تكون دولة بين الأغنياء منهم، هذه موثيق البشر ومنظمة الأمم المتحدة والتي أدت إلي ذلك التفاوت وتلك النتائج، فكيف يكون هذا المصلح الإلهي في عنقه بيعة لهذه التوافقات وهذه الموثيق.

جيل بشري ينقرض ويأتي جيل آخر، وينقرض الجيل الثاني بأعرافه وموثيقه وعاداته، وتأتي عادات وأعراف أخرى، وهو سلام الله عليه لا يتأثر بكل تلك الأجيال، ولا بعقولهم القاصرة، ولا بتشخيصاتهم الخاطئة وتوافقاتهم الباطلة، فأى روح هذه؟ وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام انه قال «علامة قوة العقل الصبر علي الوحدة»⁽¹⁾.

وهذا ما يشير إليه دعاء الندبة، حيث أن هذه الشخصية الفذة صابرة

ص: 142

1- من وصيته عليه السلام لهشام بن الحكم : يا هشام!.. الصبر علي الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربه، وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعه في غير عشيرة. (الحراني، تحف العقول، ص 153).

علي وحدة الطريق، أتى البشر إليها أم أبطأوا «لَيْتَ شَيْءٌ عَرِيٌّ أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوْيُ؟ بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّكُ أَوْ تُرِي؟ أَيْرِضُوي أَوْ غَيْرِهَا أَمْ ذِي طُوي؟ عَزِيْزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرِي، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيْسًا وَلَا نَجْوِي، عَزِيْزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيْطَ بِكَ دُونِي الْبُلُوِي وَلَا يَنَالُكَ مِنِّي صَجِيْحٌ وَلَا شَكُوِي، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغِيْبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا»

لم يأويه أحد لأنه لم يهادن، والإيواء هنا علاقة وارتباط، وفي بعض المرويات يعبر عنه عجل الله تعالى فرجه شريف: «بالشريد الطريد والوحيد الذي لا يناغي»(1).

فالصبر علي الوحدة لا تجعله يحسن ما حسنته الأجيال، ولا يكثرث للقول أن الحسن والعرف الصالح ما تصالح عليه البشر، لذلك وأجيال من البشر تذهب وهذا الرجل لا يتأثر، لأنه لا يأنس إلا بطريق الحق ويستوحش طريق الباطل، هذا نفس البيان «الحسن ما حسنه تكويننا العقل الكل، لا الحسن ما حسنه البشر»، وهو نفسه «لا تأخذه لومة لائم» ولكنه بعبارة مختلفة، ومعناه انه ثابت علي الدين الحقيقي الذي لا يصاب بالعقول ولا بتوافقات البشر ويمضي قدما.

لذا يجب علينا نحن المؤمنون أن نتشبع بحقيقة الدين الواقعية، ولا نتزلزل عنها بسبب ضغوطات البشر واستهزائهم، وبسبب التوافقات

ص: 143

1- جاء عن الأصبغ بن نباتة انه قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد»(الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 303، ب 26، ح 13). وعن عيسي الخشاب قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ قال: لا ولكن صاحب الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكني بعمه يضع سيفه علي عاتقه ثمانية أشهر». (الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 318، ب 30، ح 5).

المضادة من الآخرين، لا بد من الثبات علي أنه ليس الحسن ما حسنه الناس ولا القبح ما قبحه الناس، بل الحسن ذاتي بغض النظر عمّن أصابه أو أخطأه.

وإذا كان الحال كذلك، فلا بد أن نبين أن هذه البنود التي بها سعادة البشر، الفارق بينها وبين الموائيق الحالية عند الناس، أن هذه الموائيق تكرر الفساد وسفك الدماء والظلم والجور في الأرض.

ص: 144

هذا المحور ضمن سياق انه عليه السلام لم يخرج وليس في عنقه بيعة لأحد أو التزام أو تعهد علي أي ميثاق سوي المواثيق الإلهية، وهو أحد معاني غيبته، وهو أيضا أحد صعوبات الغيبة والظهور، لأن توثيق الجانب الغيبي دائما يحتاج إلي مؤونة الشهادة.

وأكبر مسؤولية تقع علي عاتق المؤمنين به والعارفين له هو تعريف البشرية علي مشروعه عجل الله تعالي فرجه شريف، وتوضيح الشعارات المهذوية للعقل البشري.

محادبة قوي الظلام ومافيات المال في العالم للمشروع المهذوي واضحة تماما وهناك وثائق لممارسات مشبوهة والتي تريد أن تعطي طابعا معيناً عن المشروع المهذوي وانه غير واضح المبادئ والشعائر والأهداف، هذه الحرب المعلنة من خلال دعمها للفرق الضالة الذين يرفعون باسم الإمام المهدي عليه السلام شعارات مناقضة لمبادئ المشروع المهذوي ولمبادئ ضرورة الدين.

لذا من الأمور ذات المسؤولية العظيمة في تعبيد الطريق لرفع ستار الخفاء عن هذا المشروع العظيم المتجسد فيه هو صلوات الله عليه، دورا ونشاطا ومسؤولية، هو نشر هذه المبادئ الناصعة، وتعريف هذه المبادئ التعرف الأمة ما هو العرف الصالح، فالعرف أشد تغليظا في الالتزام من

الرأي في الانتخابات، لأن الانتخابات سنوات قليلة وتنتهي، والعرف اشد من البيعة وأغلظ وأحكم لأنه عقد اجتماعي وهو من أعظم الالتزامات، وهذا العهد لا يحتاج حتى إلي التلطف وليس هو فكرة تفصيلية حتى تأتي به نفسه، بل العقل الباطن يتداوله ويتبناه ويجري عليه ارتكازا.

فالعرف إذا كما يقولون قانون متطور ومفعل أعم من تفعيل القانون في الوزارات، ويعتبر الغرف حكومة فاعلة أكثر من الحكومات الفعلية الموجودة، فإذا قمنا ببناء أعراف مبنية علي ثقافة المشروع المهدوي بدون تحريف في المعاني نكون قد بنينا حكومة الظهور، سيما أن بناء الحكومة علي مراحل.

ص: 146

من الواضح أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يمضي ولا يشرعن أي نظام أو عرف بشري إلا بمقدار ما فيه من شرع الله وسنة رسوله صلي الله عليه وآله.

وقد فرض عليه عجل الله تعالى فرجه الشريف أن لا يهادن ولا يسالم حتي اقامته الدولة الإلهية في العلن، وان لا يعمل بالذرائع ولا بالعنوان الثانوي.

كثير من روايات الفريقين أكدت علي أنه يخرج بعد أن ملئت ظلما وجورا ليملاها قسطا وعدلا. وحسب هذا البيان الوحياني الموجود في روايات الفريقين يظهر أن الفارق بين الأعراف والمواثيق البشرية وما سينجزه وبينه صاحب الدولة الإلهية عجل الله تعالى فرجه الشريف بينهما فارق أكبر مما يتصور، فلا تصح بينهما مقارنة.

هذا التأكيد علي هذه الخاصية تحملنا نحن المسؤولية في الغيبة الكبرى، وهي أن نكون حذرين - ونحن نسعي لدولة الأمل المنشود للبشرية - أن ندوب في أعراف ليس بالضرورة أن تكون سلبية، فقط بل قد تكون مغلفة بعناوين حسنة، بل الحذر الأكبر ان تكون هناك اعراف حسنة فنقتنع بها ونقف عند ذلك الحد، ونعتقد اننا وصلنا إلي نهاية المسير وكل ما عداه سيكون خاطئا.

مثلا لدينا في باب «التوحيد» في الصفات، عندما تصف الله سبحانه وتعالى بصفات حسنة مؤقتة وحيانية فضلا عن غير الوحيانية، وكما هو معروف في بحث التوحيد التسمية والأسماء توقيفية، فتسمية الله بالأسماء يعني توصيفه، ومع ذلك لا يظن أحدا أنه قادر علي إحصاء أسماء الله جل شأنه.

يعني هناك وظيفة معرفية، وهي أن لا يتوهم الإنسان أنه يحيط بكل أسماء الله، وقد ورد بلسان الوحي أن الله عز وجل اسم مستأثر غيب في ذاته لم يظهره لأحد، وهذا الاسم هو مهيمن علي كل الأسماء.

ومن الصفات العظيمة لأهل البيت عليهم السلام - رغم أنهم يثنون علي الله بثناء لم يثن به ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ويعجز الكل في الوصول إلي قول ما قالوا إلا أن يقتبس منهم - رغم ذلك هم أنفسهم يقولون: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» ويظهرون عجزهم.

وفي توحيد الله حتي الكمال الذي نصف الله سبحانه به فإنه لا يجوز لنا معرفيا أن نحته بهذا الكمال الذي وصفناه به.

فإذا استوعبنا هذا المثل يكون الفارق هكذا بين أعراف صاحب العصر والزمان في دولته مع الأعراف البشرية حتي لو افترضنا أنها صالحة.

فإذا وقفنا عند حدود تلك الأعراف الصالحة - مع فرض أنها صالحة - لن تصل البشرية إلي سعادتها الحقيقية إلا بالظهور المقدس صاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

تحمل المسؤولية والتدرج في التمهيد

يجب التعرف علي المنهج المجموعي الذي ترسمه الأدعية والزيارات الخاصة لصاحب العصر والزمان السيرته ومشروعه وهذا لا يتعلق به فقط، بل هو منهج يجب علي المؤمنين اقامته حتي في زمن الغيبة الكبرى.

هناك معادلات قانونية أو معرفية في دعاء الندبة وبقية الأدعية والزيارات، وهذه القواعد المذكورة هي تعليم تربوي في الفقه العقائدي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي، وهي قواعد عامة يراد منها الإنجاز ولكن بشكل تدريجي.

وهناك الكثير من المحققين من أعلام الإمامية يفسرون الظهور بانه تدرج البشرية في الالتزام بمقومات دولة الظهور حينئذ ينبثق نور الظهور، لا أن دولة الظهور هي شروع من الصفر.

طبعاً ما بعد الظهور ستتحقق إنجازات عظيمة، ولكن دولة الظهور هو كون البشرية ترتقي في تكاملها وتستعد إلي أن تأتي ساعة الظهور.

ملاحم المستقبل التي ينبئ عنها سيد الأنبياء صلي الله عليه و آله، ومن بعده أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام هي من باب تعيين وظيفة ومسؤولية المؤمنين

زمن الغيبة، شبيه القائد العسكري الذي يبث العيون لرصد العدو لتأتيه أخبارهم ليرسم من خلالها خارطة عمل واستعداد وقائي.

هكذا هي الملاحم، فليس المسار في الغيبة الكبرى ان نكون علي ملعب فيه متسابقين ولسنا معنيين به، بل الظهور عبارة عن مسؤوليات ملقاة علي عاتق جميع المؤمنين صغيرهم وكبيرهم ليسهموا في بناء الدولة المهدوية والتمهيد لها، فلكل مؤمن دوره واسهاماته في دولة الظهور. (1)

وهذا الدور لا يسقط عن أي فرد، وهذه المسؤولية لا تتوقف وهي لا تعتمد علي أحد أفراد بل هي مسؤولية جماعية (2) وطبيعة حديث الرسول صلي الله عليه وآله واضحة: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ومن أعظم المدارس في التاريخ في تحمل المسؤولية وفي حضارة النهضة والإصلاح سطرها «مسلم بن عقيل» تحت راية سيد الشهداء عليه السلام، العظمة في مدرسة بن عقيل القيمة والأخلاقية أن الكل تخاذل وهو بقي حيويًا ونشطًا وفقًا كأنه وهو وحده جيش ليس عنده تردد أو تهاون، وهذه هي الروح الحيوية والمثابرة في القيام بالمسؤولية مع المعاناة

ص: 150

-
- 1- عن بشير النبال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إنهم يقولون: إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفوا، ولا يهرق محجمة دم، فقال «كلا والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفوا لاستقامت لرسول الله (صلي الله عليه وآله) حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتي نمسح نحن وأنتم العرق والعلق، ثم مسح جبهته» (الشيخ النعماني، الغيبة، ص 294).
 - 2- ورد عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنه توجه إلي أصحابه بعد حجة الوداع في الجحفة فقال لهم: «إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنني ميت وأنكم ميتون، وكأنني قد دعيت فأجبت وأني مسؤول عما أرسلت به إليكم، وعما خلفت فيكم من كتاب الله وحجته وأنكم مسؤولون، فما أنتم قائلون لربكم؟ (الشيخ الصدوق، الخصال، ص 167).

والجراح، وهو في المعتقل لم يفقد التخطيط والتدبير، وهذا يدل علي روح المسؤولية ويقظتها ونشاطها في مسلم بن عقيل

إذا طبيعة علائم الظهور المنطقية والعقلية أنها درجات تقترب فيها للإعداد للظهور، فالسماء ليست عاجزة، لكن إرادة الله اقتضت ان لا يجبر البشر ولا يفوض، بل هو أمر بين أمرين، وعلي كل فرد أن يقوم بدوره في التمهيد للظهور.

ص: 151

كل هذا الازدهار المادي لدي البشر لا يقارن بما سيكشفه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيكون الانجاز العلمي والروحي في دولة الظهور يملأها قسط وعدلا أعلي، كما وكيفا، عن العدل الذي يقام في بعده المادي بكثير.

وهذا يدل علي حجم مسؤولية المؤمن في زمن الغيبة والتدريج في بناء تلك الدولة، وأحد الأمور العظيمة في بنائها هو العلم والتفقه في اسرار الدين وموازينه، لا الجهل بها والصد عنها. وطبعا هذا بموازين حقيقة الغيبة والظهور.

فهل الغيبة هي خفاء بدن الإمام أم نوره؟ يعني الذين كانوا في عهد رسول الله صلي الله عليه وآله كانوا يرون بدنه ونوره! وهل الغيبة هي لأهل زماننا فقط؟ الحقيقة أن المعصومين عليهم السلام كانوا في غيبة عن أهل البشر لأنهم يشاهدون ابدانهم الشريفة فقط.

لذلك كل المعصومين كانوا في ظهور بدني، وحقائقهم النورية ومناصبهم الروحية التي جعلها الله لهم غير معروفة عند أهل زمانهم، لذلك كان رسول الله صلي الله عليه وآله يتأوه علي اخوانه الذين سيؤمنون به من بعده (1)،

ص: 152

1- قال رسول الله صلي الله عليه وآله ذات يوم: «يا ليتني قد لقيت إخواني!.. فقال له أبو بكر وعمر: أو لسنا إخوانك آمننا بك وهاجرنا معك؟.. قال: قد آمنتم وهاجرتم، ويا ليتني قد لقيت إخواني، فأعادوا القول، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين يأتون من بعدكم، يؤمنون بي ويحبوني وينصروني ويصدقوني، وما رأوني، فيا ليتني قد لقيت إخواني» (مجالس المفيد، ص 132).

فالذين معه هم أصحابه، لأنهم لم يتآخوا مع الروح والنور، وهذا يدل علي أن نوره كان غائبا عن أهل زمانه لقصور فيهم.

ولهذا الكثير من الأعلام يقولون إن التشرف الروحي والنوري مع صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بالمعرفة أعظم من تشرف البدن، وفي عالم العقل والنور ليس هناك حجب إذا تلطف الإنسان وتنور كحجب البدن والجغرافيا.

إذن بنيان دولة الظهور النوري والعلمي وبنائها في هداية الروح والمعني، أعظم من البنيان المادي، فإين هذا من ذلك؟! ولهذا تقع علينا مسؤولية عظيمة وهي نشر النور في عقول البشر وفي أرواحهم.

تعريف المشروع المهدي تفتح القلوب عليه، وهو أعظم فتح يمكن أن يسهل أمام هذا المشروع العظيم فتح البلدان جميعا.

ولهذا عندما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة لنا بغير السنتكم»⁽¹⁾، لأنه إذا تلاً لنا في التقوي والنور سنكون قادرين علي نشر ذلك النور، إذا تطهرنا وتعلمنا أكثر صرنا نماذج ويؤثر لنشر النور بين البشر بطريقة أعظم من اللسان المادي.

ص: 153

1- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام احاديث كثيرة في هذا المضمون منها: «كونوا دُعاةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ السِّنِّتِكُمْ ، لِيَرَوْا مِنْكُمْ الْوَرَعَ وَالْإِجْتِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْحَيْرَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ» (الكليني، الكافي، ج 2، ص 78).

وأهل البيت عليهم السلام دائما قواعدهم وبياناتهم ونظمهم علي هذا المستوي العالي مثل «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا» (1)

فتقوي المتقي تأثيرها أعظم في الآخرين. (1)

ص: 154

1- سورة المائدة، الآية 32.

بات واضحاً في العلوم السياسية والإنسانية والاجتماعية أن السلطة اقسام وأنواع وليست سلطة واحدة، أحداها هي سلطة العرف وبناء الأعراف الصالحة.

سيما وأن البشرية الان تهتف بهذا الشعار، ونحن الآن نعيش حضارة ثورة المعلومات، والعرف الصالح كي يقام فهو بأمس الحاجة إلي هذه الثورة المعلوماتية، وإلي الآن قوي الظلام من الدول العظمي بطريقة وأخري يحاربون الشيعة في ذلك لأن العلم له دور عظيم. والإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف، وهو يعيش في حالة الغيبة، ومع ذلك فهو ليس من قبيل منظمات دول السرية الذين يستعملون المنهج المافوي لأجبار الناس لما يريدون، هذا الشخص الذي اصطفاه الله طيلة اثني عشر قرن هو ذو نفس طويل، فهو يلاحظ البشرية كطفل يريه شيئاً فشيئاً علي نهج جده رسول الله صلي الله عليه وآله.

هذا الأسلوب يتعامل مع البشرية بلغة إنسانية وينمي فيهم النزعة الإنسانية للتكامل.

اذن طول الغيبة هو تدرج في البناء إلي أن تحين ساعة الظهور، وربما

جملة من الناس يظنون أن هذه الأناة عند صاحب العصر والزمان تقوت الفرص، أو تتأخر عن تلبية الضرورات، ولكن الحقيقة أنه لا يريد العلاج المؤقت، فعلاج الطوارئ ليس علاجاً جذرياً، هو يريد أن يبني أساساً طبيعياً وهذا يحتاج طول نفس، كيف أن الله سبحانه وتعالى لا يستفزه عصيان العصاة ولا تغريه طاعة المطيعين، لأن هناك مشروع كامل وخارطة واضحة، وهكذا مشروع يأخذ طبيعته وإدارة المشروع أولاً وبالذات بناء «الأعراف».

ص: 156

الفصل العاشر: النظام الأمني في المشروع المهدوي

إشارة

- نظام أمني صارم وسرية تامة
- التقية دين ونظام
- السرية سبب من أسباب القوة
- الغيبة إحتفاظ بعنصر المبادرة
- المسؤولية بين الكتمان والنشر

ص: 157

عنصر الخفاء والسرية في المشروع المهدوي هو المحور الأهم في هذا المشروع، وان كان الغيبة والظهور لها معاني عديدة، لكن أهم وأبرز ما في الغيبة مقابل الظهور والظهور في مقابل الغيبة هو عنصر الخفاء.

إذن السرية أو النظام الأمني في نهضة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هو ركن مهم ورئيسي

بهذا اللحاظ فإن هذه النهضة ليست مستقبلية فقط كما يتوهم ذلك الكثير، بل إن نهضته ودولته وإمامته ومسيرته انطلقت منذ استشهاد أبيه الحسن العسكري عليه السلام، غاية الأمر أن هذه النهضة والمسيرة لأصلاح العالم هي ذات طابع خفي، والنظام الأمني فيها هو الأساس.

يعني نوع من ترقية وتنمية الجانب الأمني بشكل لا تهاون فيه ولا تراخي، من اليوم الأول فعل هذا النظام بشكل لم يشهده أي نظام أمني آخر إلا عند سيد الأنبياء والأئمة من بعده صلوات الله عليهم، واستخدموا معه هذا الطابع السري والأمني حتي وهو جنين في بطن أمه الطاهرة السيدة نرجس عليها السلام.

هذا النظام هو شئ عند كل الأئمة عليهم السلام، لكن مع صاحب العصر والزمان أكبر وأوضح في كل الجهات.

في سورة «الكهف» والتي هي كهف الأسرار بالنسبة للمشروع الإلهي، دبير لقاء النبي موسى للخضر عليهما السلام وهو لقاء عجيب في دروسه وعبره، الخضر عليه السلام هو رجل السرية وهو رمز لها في المشروع الإلهي، ويتضح أن هذا الدور الخطير هو لشدة محافظته علي السرية بشكل صارم ودقيق، فقد أعطي النبي موسى عليه السلام شفرتين أمينتين لكي يعرف ذلك الرجل السري في الدولة الإلهية ويلتقي فيه.

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَازْتَدَا عَلِي آثَارِهِمَا قَصَصًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَازْتَدَا عَلِي آثَارِهِمَا قَصَصًا (1)».

والنبي موسى عليه السلام هو أيضا كان في حالة غيبة حسب النصوص القرآنية، مع ذلك طبقة الخفاء التي يمارسها الخضر أعلي وأشد من الخفاء الذي يمارسه النبي موسى عليه السلام.

وهو كان يعيش في قصر فرعون، ولو كان بني إسرائيل يعلمون أن موسى عليه السلام هو المخلص، وأنه من ولد بني إسرائيل فإن الخبر سيفشي ويصل إلي فرعون وسيكون معرضا لخطر الموت، فولاية موسى عليه السلام كانت في خفاء، وكذلك ترعرعه في بيت فرعون، وحسب روايات أهل البيت عليهم السلام أن ام موسى والقابلة التي أولدتها توفيتا فخفي أمره حتي علي

ص: 160

بني إسرائيل ولا أحد يعرف انه منهم، وترعرع في أحضان الطاغية فرعون، فكل شيء كان في سرية وخفاء وهو مصطفى ويعلم بدوره، لكنه كان في خفاء منذ ولادته إلي أن بلغ أشده، ثم دخل المدينة كما في سورة «القصص» ووجد رجلين يقتتلان، وعندما تدخل لنصرة الإسرائيلي الذي هو من شيعته إنكشف بعض أمره، لذلك زاد من درجة الخفاء بأن ذهب إلي أرض «مدين».

هذه المشاهد في القرآن ليست للسرد التاريخي، بل يريد سبحانه وتعالى أن يبين فيها دور الأنبياء والأوصياء ورجال الدولة الإلهية، كيف هو وضعهم في النظام الأمني والتعامل السري.

خفاء مستمر بل ويزيد في درجته إلي أن أتت ساعة الظهور للنبي موسى عليه السلام «اذْهَبْ إِلَي فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» (1).

ص: 161

1- سورة طه، الآية 24.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي»⁽¹⁾. وليست التقية آية أو آيتين في القرآن الكريم بل هي نظام أمني، والنظام الأمني مشحون في كل صور القرآن، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام في نقل كلام النبي موسى عليه السلام في تفسير هذه الآية: «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»⁽²⁾ قال عليه السلام: «يعني استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني» بل أكثر من هذا أعطاه برنامج امني لكي يستره بأن أرسله إلي أرض «مدين»، وهذا يسمي في الحرب الأمنية تصعيد درجة الخفاء لكي لا تخترق من قبل الطرف المقابل.

هذا النظام القرآني في السنن الإلهية يجب ان نتعرف عليه، وهو كما يعترف به الآن في علوم الدولة العصرية والعلوم الاستراتيجية من أعظم واعقد واصعب علوم بناء الدولة.

والإمامة الإلهية اعقد واصعب بكثير، ولا يمكن فهمها ومعرفتها بسهولة من خلال قراءة كتاب أو كتابين، وبملاحظة الجانب الأمني فيها،

ص: 162

1- الكليني، الكافي، ج2، ص174، ح 12، باب التقية.

2- سورة القصص، الآية 16.

لذلك فإن الإمام الصادق عليه السلام وبلغة هادئة وخفية يشير إلي خطورة معرفة علوم الأمن والنظام الأمني، وهذا من عجائب البيان عند أئمة أهل البيت عليهم السلام عندما يعبرون هكذا: «التقية ديني ودين آبائي» لأن اصل قيام الدين باستعمال الخفاء، والخفاء هو لأجل تقوية النشاط.

وفي دول العالم الآن قوة الأسلحة المالية والاقتصادية والعسكرية والعلمية يستخدم فيها السرية، لأن العدو سوف يستهدف هذا المنجز ويحاول تدميره واختراقه، وأعظم شيء في حفظ القوة وتناميها هو اخفائها سواء كانت مكانية أو زمانية.

يجب الاطلاع علي هذه العلوم لكي نستطيع قراءة «فضائل أهل البيت عليهم السلام» في الآيات والروايات، ونعلم ماهي كفاءتهم العظيمة والعملاقة في هذا المضمار والتي هي عرشية وفوق البشر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «التقية حصن حصين»⁽¹⁾، هذه التربية العالية والعظيمة أين نحن منها؟ أين نحن من ن الأئمة عليهم السلام؟

يسأل الإمام الصادق عليه السلام: قبيل الظهور ترتفع التقية؟ فيقول: «بل

ص: 163

1- وصفت التقية في جملة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام بأنها ترس المؤمن، وحرزه، وجنته، وإنها حصنه الحصين ونحو هذه العبارات الكاشفة عن أهمية التقية. فقد روي عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «التقية ترس المؤمن، والتقية حرز المؤمن»، وعنه عليه السلام قال: «كان أبي عليه السلام يقول: وأي شيء أقر لعيني من التقية؟ إن التقية لجنة المؤمن»، وكذلك ورد عنه عليه السلام أنه قال للمفضل: «إذا عملت بالتقية لم يقدروا في ذلك علي حيلة، وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين أعداء الله سدا لا يستطيعون له نقبا» (أصول الكافي، ج 2، ص 221، ح 23، باب التقية)، (أصول الكافي، ج 2، ص 220، ح 14، باب التقية)، (الوسائل، ج 16، ص 213، ح 21389، باب 24، من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

تشتد»(1)، فالتقية لا تعني الجمود لأنك من المفروض تخفي القوة والضعف كذلك، وتشتد التقية ليس بمعني انك لا تزاول نور الهداية، بل هذا الجانب مستمر أيضا علي اكبر مساحة ممكنة.

هناك قسمان للوظيفة الدينية، قسم في نشر نور الهداية بين الناس بالتي هي أحسن، وبدون استفزاز واثارة العداوة مع الطرف الآخر بالسباب والشتم «الدُّعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»(2).

أما علي صعيد التطبيق يعني القوة التي تملكها فهذه يجب فيها الحفاظ علي الجانب السري دائما.

وقد يقال أن فلسفة الردع هي إظهار للقوة وكشف لها؟ وهذا صحيح، ولكن في الردع يتم الكشف عن بعض القوة، لا كلها، وهذه تسمى سياسة توازن الردع، وهذا فصل من فصول علم الأمن حسب ما موجود في الثقافة الحديثة، فلا يمكن كشف كل القوة لأنك سوف تكون مستهدف حينها من قبل عدوك، بل بمقدار ما تحتاجه ويوفر لك الغرض.

فقوة القوة في الخفاء، وإلا لن تحافظ عليها، فلماذا نترك هذه المسؤوليات التي نحن مكلفون بها، فهذه المسؤوليات هي تطبيق للحديث الوارد عن أهل بيت العصمة والطهارة: «التقية ديني ودين آبائي».

ص: 164

1- ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال : لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله أعمالكم بالتقية. فقيل له : يا ابن رسول الله إلي متي؟ قال : إلي يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا... (الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص371).

2- سورة النحل، الآية 125.

بحسب قرائن الروايات هناك جملة معاني للغيبة وللظهور أيضا وأحد معاني الغيبة المركزية والمهمة تعني فيما تعنيه سنة الخفاء والسرية أو النظام الأمني، وهذه مسؤولية عظيمة جدا، والعقل يدرك أن المحافظة علي الخفاء والسرية في جانب أسباب القوة مشمولة بعموم قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (1) ودائما من أعظم اليات القوة قديما وحديثا إذا كان خصمك مكشوفًا وانت مخفي عنه.

بحسب المنطق التكويني والعقلي أن الخفاء هو بنفسه من أسباب القوة، ولأننا مأمورون بإعداد القوة، لا لأجل العدوان بل لردع العدوان، وهذا الخفاء يعبر عنه الآن في المصطلحات الحديثة بالقوة الناعمة.

هذه القوة قليلة الكلفة مع تأثيرها الكبير، فقط تحتاج إلي النباهة والفتنة والاستعداد ودوام الحذر، وتشملها نفس الفريضة المذكورة في الآية الكريمة والمرتبطة بالولاية ونظام الولاية «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ».

ص: 165

نفس مداولة العلوم الأمنية بين المؤمنين وتربية بعضهم بعضا علي الحس الأمني في كل الجوانب أمر مهم، فالوعي ضروري، وعملية تحريك اليقظة في العقل الأيماني فريضة عظيمة.

نبد السذاجة والغفلة عن العقلية المؤمنة مساهمة عظيمة في الأمن الثقافي، فإذا أعطيت شابا من أبنائنا وعيا لتوقظه وتحميه من السذاجة، والاستغفال، والاستدراج، والتحايل الفكري الذي يحاك ضده، فهذا من أسباب القوة.

علينا أن نستلهم العبر مما جري في صفين وكيف أن فئة عظيمة من الجيش تستغفل ويسلب منها نصر مؤزر وكبير كان بين أيديهم! يخفقون في تحقيقه لأنهم في ساعة النصر اشتغلوا برفع المصاحف، وتقتت قوي الجيش بخدعة لأنهم لا يملكون وعيا أمنيا، فوقعوا فريسة سهلة للخداع والتضليل.

«الحرب خدعة» دائما أمير المؤمنين عليه السلام يكررها علي مسامع أصحابه لغرض تربيتهم، وهذه ليست في الحرب الساخنة فقط، فالحرب الآن في العقل البشري ليست فقط حرب عسكرية ساخنة، بل هي حرب اقتصادية وتجارية وحرب ثقافية والحرب الأمنية أشد فتكا.

غيبية صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف مشروع امني عملاق وسنة مهدوية عظيمة، فطابع مسيرته الان خلال أكثر من عشرة قرون هي الغيبية، وعمله كله نشاط لكن في خفاء، ولذلك يجب أن نثري هذه البنود تتبعا في الشريعة، ومنها «الحرب خدعة»، وهذا مرتبط بالخفاء لأنه مع تنبه العدو لا تكون الخدعة.

ومعرفة مضمون «الحرب خدعة» مهم جدا، لأنه من العلوم الاستراتيجية للحرب، وهو أقوى فقرة تستخدم في الحرب ليحتفظ دائما بعنصر المبادرة، والتخطيط بالخفاء من دون أن يشعر بك العدو.

آلة الانتصار في الحرب الأمنية بين الأنظمة أن لا يستشعر عدوك بأنك عدو له، وأن لا يستشعر خصمك بأنك خصم له، بل يجب عليك أن تشعره بالثقة، وهنا تكون قد حققت الانتصار واخرقت الطرف الآخر، لأنه لن يكون في يقظة واستعداد، بل يكون في حالة سبات لأن استشعار العداوة يقظة.

سر عظيم أن صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف يهادن، لأنهم ذئاب فلا يمكن الثقة والاطمئنان بهم، نعم ننبذ ثقافة الكراهية مع الشعوب لأنها محرومة ومستضعفة، أما الأنظمة العاتية وحكامها الطغاة فلا يمكن معهم المهادنة.

أئمة الجور الذين هم قادة الفتن والظلم والجور في المجتمعات البشرية يرفعون راية محاربة الإرهاب في العالم لاستغلال الآخرين، وهم يديرون الإرهاب ويقودونه بأنفسهم.

الخفاء يحمل الكثير من الأسرار، والحرب خدعة كأنما أي سلاح في الأرض لا فائدة فيه لأن عمدة الأمر في الحرب هو الخدعة.

بطولة وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام غير الآليات الموجودة، والتخطيط هو عنصر الخفاء، والتدبير الذي يمارسه، وفي صفين مرتين معاوية بن أبي سفيان يكون تحت سيف أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة التدبير والتخطيط الحربي.

والإمام الحسن أيضا صلوات الله عليه خطط أن يأتي بمعاوية بدون أن يبرم صفقة الهدنة معه، فاستدرج معاوية وجيشه إلى الكوفة وعندها تعطلت كل العيون والجواسيس الذين كانوا يعملون لمعاوية في الكوفة التداخل الجيشان في الأزقة والشوارع ولما يبرم معه أي صفقة، وهذه عظمة التخطيط عند الإمام الحسن عليه السلام، حتى إن معاوية أراد أن يفتك بعمر بن العاص لأنه اعتقد أن هناك مؤامرة وتواطؤ بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام، لأنه رأى نفسه في قبضة الإمام الحسن عليه السلام ومن ثم أملي الإمام عليه السلام شروطه علي معاوية، وأول شرط فيها أن الحسين عليه السلام لا يبايع، وهذا يعني أن الخط الساخن في المواجهة يبقى مفتوحا، وقد وافق معاوية مرغما علي ذلك.

كل خداع ومغريات ورشاي معاوية ومؤامراته باءت بالفشل مع التدبير الخفي للإمام الحسن عليهم، الذي لم يعلم به لا معاوية ولا عمرو بن

العاص ولا عبد الله بن عباس ولا عبيد الله بن عباس ولا أحد من الجيشين، فقط الإمام الحسن والحسين عليهم السلام، وهنا دقة التدبير والمناورة عند الأئمة سلام الله عليهم. والكثير ممن اطلع إلي بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام لم ينتبه إلي دقة البنود، لعدم وجود العلوم الأمنية، فلم يقرأ البنود قراءة صحيحة.

هذه مسألة مفصلية في صلح الإمام الحسن عليه السلام، وكيف أنه استدرج معاوية وجيشه في وسط الكوفة وفي قبضته، ولما يبرم معه أي شيء، فالمفاوضات ليس فيها التزام بعد وهذا هو معني «الحرب خدعة»، كما تفكر في التصنيع العسكري والحربي فكر في التدبير العسكري والأمني الخفي.

كل بطولات أمير المؤمنين عليه السلام أكبر عامل فيها هو عنصر الخفاء والمكر العسكري والأمني، فهو عليه السلام كان طالبا للشهادة، لكنه لا يعطي العدو فرصة الاقتراب منه، ومن خصائص أمير المؤمنين عليه السلام التي ذكرها رسول الله صلي الله عليه وآله: «أنه لا يهزم في حرب قط»، وأيضا ذكرها الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أبيه عليه السلام لأنه عنده تدبير أممي لا يجعل للعدو فرصة أن ينتصر عليه، إذن الشهادة عند أمير المؤمنين عليه السلام ليس كما نفهمها نحن، فهي ليست عي في التدبير الأمني والعسكري، أو الغفلة عن مخططات العدو فهذه ليست هي الشهادة.

التخطيط الأمني عند أئمة أهل البيت عليهم السلام تجهيز الجيوش بأسلحة قوية، و كل أنواع القوة يجب ان يتسلح بها بيت الإيمان، لكن يبقى السلاح الأكبر هو سلاح الأمن، أي أن ترصد عدوك ولا يرصدك.

ولكن نحن نحمل مفهوما خاطئا مفاده أنك تستتر عن عدوك فقط، وهذه ليست تقية، لأن معنى الاستتار عن العدو هو انكشاف عدوك لك، وإلا كيف يستتر الإنسان عن عدوه قبل تشخيصه وتحديد موقعه، ومعرفة جغرافية وإحداثيات العدو في كل المجالات.

إذن قوام التقية هي كشف الطرف الآخر، وأن لا يكون مستترا عنك، وإلا لا تتحقق التقينية، وهذا قوام مهم في الفقه السياسي والعقائدي والعسكري وهو ركن مهم في باب التقية، وصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف هو الغائب صحيح، لكن الآخرين بالنسبة إليه ليسوا غيبا، بل هم في مشهد

إذن قوام التقية وجهين متعاكسين، من جهة أنت في ستر وحصن، ومن جهة الطرف الآخر مكشوف لك، وأني لك أن تستتر والطرف الآخر غير مكشوف لك؟!.

كيف نعرف التقية بهذا المعنى، والإمام الصادق عليه السلام يعرفها بانها حصن حصين، فكيف نكون حصنا بتعريفنا الخاطئ لها، والإمام الصادق عليه السلام يقول: «العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس»⁽¹⁾، هذا قوام التقية فكيف نستتر من الذئاب؟ بمنهج النعامة تضع رأسها في التراب وتظن أن هذا يحميها من عدوها! هذا هو إطمئنان الحمقي.

أول ركن في التقية هو أن ترصد العدو وتراقبه ليل نهار بلا توقف أو سكون، وهذا حذر وليس عدوان، يجب أن نحافظ علي مفاهيمنا من أن تنقلب رأسا علي عقب، كم نادي المؤمنین «أَيْنَ صَاحِبِ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِرِ

ص: 170

رَايَةَ الْهُدَى، أَيْنَ مُؤَلَّفُ شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا...»(1) لكن هل خدع صلوات الله عليه وآله؟ كلا- أبدا، لا يبرز!! لأنه لا يخدع من قبل الجميع صديقا كان أو عدوة، بل هو يعد العدة ويدبر.

ص: 171

1- مقطع من دعاء الندبة

من معاني غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف أنها ممتزجة بين طابعين، طابع السرية والخفاء، وطابع المسؤولية العامة.

وهناك إشارات قرآنية تبين الحقيقة المهدوية ونهجه وسيرته عجل الله تعالى فرجه شريف، وقد نبه القرآن الكريم إلي ذلك، وهي قاعدة معرفية قرآنية وروائية.

وقد ورد ما يشير إلي ذلك المعني عن أهل بيت العصمة والطهارة صلي الله عليهم(1)، وكل هذه الإشارات يدعمها محكم التنزيل: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»(2)، «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ»(3) والآيات هي علامات (4) وهذا ليس فقط من التأويل، بل هو نص واضح في صريح القرآن.

ص: 172

1- روي عن الصادق عليه السلام: «إن سنن الأنبياء وما وقع عليهم من الغيبات جارية في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.....»(الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ص345، باب 33، ح 31).

2- سورة يوسف، الآية 111.

3- سورة يوسف، الآية 7.

4- روي عن الباقر عليه السلام: «إن فيه أربع سنن من أربع أنبياء: من موسي خائف يترقب ومن يوسف السجن ومن عيسي يقال: مات ولم يمت و من محمد السيف».(الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ص153، باب 6، ح 16 / وص 327، باب 32، ح 6).

فما جري في بني إسرائيل حتي في التفاصيل وكذلك في جانب الشر واهل الشر عبرة، لأن الكلام ليس في فرعون، بل هو في منهج الفرعونية الذي قد تبثلي به الأمة، وفعلا ابتليت هذه الأمة بمنهج الجبت والطاغوت، ومن لا يلتفت إلي هذا المنهج فهو غافل أو متغافل عن النظام العام في القرآن الكريم(1).

مثلا في قصة موسي عليه السلام كانوا موعودين به وينتظروه كما ينتظر المهدي عليه السلام: «قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا» قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»(2) فكان بني إسرائيل ينتظرون الموعود وهو النبي موسي (3) عليه السلام، وهذا مما يؤكد أن عقيدة الموعود المنتظر المصلح سنة إلهية في الأمم وليست بدعا من سنن الله(4) «سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ

ص: 173

1- ورد عن رسول الله أنه خاطب أصحابه فقال: «لتتبعن سنن من كان من قبلكم شبر بشبر وذراع بذراع، حتي لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (صحيح البخاري، ج6، ص2669، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلي الله عليه وآله لتتبعن سنن من كان قبلكم).

2- سورة الأعراف، الآية 129.

3- روي عن الصادق عليه السلام يكتم أنه قال: «سنة من موسي خفاء مولده وغيبته عن قومه ثماني وعشرين سنة». (الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ص152، ب6، ح14).

4- قال الصدوق في إكمال الدين: أول الغيبات غيبة إدريس النبي صلي الله عليه وآله المشهورة حتي آل الأمر بشيعته إلي أن تعذر عليهم القوت وقتل الجبار من قتل منهم وأقفر وأخاف باقيهم ثم ظهر عليه السلام فوعد شيعته بالفرج وقيام القائم من ولده وهو نوح عليه السلام ثم رفع إدريس إليه فلم تزل الشيعة يتوقعون قيام نوح عليه السلام قرنا بعد قرن وخلفا عن سلف صابرين من الطواغيت علي العذاب المهين حتي ظهرت نبوة نوح ثم ذكر حديثا عن الباقر عليه السلام يتضمن غيبة إدريس عشرين سنة مختفيا في غار لما خاف من جبار زمانه وملك من الملائكة يأتيه بطعامه وشرايه ثم ذكر ظهور نبوة نوح عليه السلام ثم روي بسنده عن الصادق عليه السلام: [أنه لما حضرت نوحا عليه السلام الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت وأن الله عز وجل يفرج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود فلم يزالوا يترقبون هودا عليه السلام وينتظرون ظهوره حتي طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم فأظهر الله تعالي ذكره نبيه هودا عليه السلام عند اليأس وتناهي البلاء وأهلك الأعداء بالريح العقيم ثم وقعت الغيبة بعد ذلك إلي أن ظهر صالح عليه السلام. (إكمال الدين وإتمام النعمة، ص135 و136، باب في ذكر ظهور نوح - 8 - ح4).

وعليه فتفجير الموقف قبل آوانه بالمواجهة الساخنة ليست من البرنامج الإلهي بل هي من عمل الشيطان - طبعاً الدفاع بلا ريب حق مشروع وحتى الدفاع الوقائي - لكن أن يكون المؤمن هو الذي يؤم الموقف، أو أن يخدع ويجر إلي تفجير الموقف فهذا خطأ كبير .

فلسفة القوة في منطق أهل البيت عليهم السلام هي الردع وليس الجبروت والتسلط والعدوان علي الآخرين، فالقوة لا تعني العدوان وخلق أزمة مع الطرف الآخر، واللين لا يعني الضعف، بل هو لين في قوة وحزم.

اذن من قضايا الخفاء في الغيبة أن المؤمن بقدر ما يستطيع لا يبني في العلن، بل جل عمله ينبغي أن يكون مخفياً في هذا الجانب.

ولهذا ما جري من موسي عليه السلام مع القبطي الذي استغاثه عليه أحد شيعته «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَي حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَاغَاَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَي الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى

ص: 174

فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (1).

مع أن موسى عليه السلام نبي ومن أولي العزم لكنه في ذلك الوقت كان عليه تدبير أمره في السر وليس في العلن، ولهذا فسرت «ظلمت نفسي» الدخوله في منطقة العدو، وهو مطالب بكتمان نشاطه، لأن كشف أوراقه يؤدي إلي ضعفه: «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي» (2)، واغفر لي يعني استرني.

ولأهمية أمر الكتمان تري الألم الذي يعتصر قلب الإمام السجاد عليه السلام علي فقدان شيعته هذه الخصلة بالذات: «وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي، النزق وقلة الكتمان» (3).

هذا الأمر أيضا مرتبط بالمشروع المهدي عند الغيبة، وإذا كان عنوان المرحلة الغيبة، فهي لا تعني إلا الخفاء، ولا تعني الجمود أو عدم المبالاة، بل تعني الخفاء والسرية، ومعني السرية هو أن تكون في قمة النشاط، فماذا سر وماذا تخفي؟ لا بد أن يكون هناك شيء تخفيه وهذا هو معني الغيبة والخفاء، فإذا الخفاء هو عنصر قوة لبناء المجتمع الصالح والقوي (4)، ومن أكبر المحرمات كشف الستار، ولكن ينبغي الإشارة أن هذا الأمر ليس في العقائد المعلنة.

ص: 175

1- سورة القصص، الآيتان 15-16.

2- سورة القصص، الآية 16.

3- الكليني، الكافي، ج 2، ص 222.

4- روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ولا بد له في غيبته من عزلة، ولا بد في عزلته من قوة» (الغيبة للطوسي، ص 102).

وهذا هو الأسلوب والنهج القرآني في جانب النور والهداية «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»
(1) «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (2).

اذن المسؤولية عامة علي أهل الأيمان في الكتمان والسرية فيما يتعلق بجانب التنظيم وصناعة القوة.

ص: 176

1- سورة النحل، الآية 125.

2- سورة البقرة، الآية 159.

الفصل الحادي عشر: المفاهيم وضرورة حفظها -

إشارة

1. خطورة النكث بعد الأيمان
2. جدلية العدل والتزام العرف
3. ضرورة عدم الخلط بين الموازين
4. الأعتزال الأيجابي سنة من سنن الأنبياء
5. بين الثابت والمتغير

ص: 177

أحد مصاديق النكث الواضحة هذا الالتباس والانهازم الفكري سواء كان علي صعيد القضاء، أو الفقه السياسي، أو الاسري.

والحرب الفكرية علي النظام الأسري في منهج القرآن والعترة من قبل الغرب علي قدم وساق، التسفيه والتشنيع حتي علي التشريعات

القرآنية ومرويات المعصوم تحت أسماء ومسميات مختلفة.

ولخطورة النكث فإن النبي صلي الله عليه وآله أوصي أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم من بعده، وكذلك قتال القاسطين والمارقين (1)، ولكن الناكثين أخطر لأنهم بداية رفع الالتزام ولو بلباس ديني.

والثبات علي منهج الدين بوعي وبصيرة وبلغه عصرية من أهم الوظائف ف(العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس) (2)، وأعظم هذه الوظائف هو الثبات علي إمامة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف لأنه صاحب هذا المشروع، فإذا انهزم المؤمن فقد تخلي عن المشروع، وبأي مشروع بعده

ص: 179

-
- 1- روي الحاكم بإسناده عن عتاب بن ثعلبة: «حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن خطاب قال: أمر رسول الله صلي الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. (المستدرك علي الصحيحين، ج 3، ص 139).
 - 2- نص حديث للإمام الصادق عليه السلام (الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 27).

يؤمن الإنسان! هؤلاء الذي يقولون «ارجع يا ابن فاطمة فلا حاجة لنا بك»⁽¹⁾ ليس فقط هم يقولون ذلك، بل نحن أيضا - لا سامح الله - إن تراجعنا عن مشروع الدين وعن مشروع أئمة البيت عليهم السلام.

فما كان علي صعيد البصيرة حتي نكث العهود مع الدين والإيمان له درجات أيضا، وهذا التعدد الموجود في دعاء الندبة يعني ان صاحب الزمان عليه السلام ليس عنده مهادنة، ولا تقرير للفساد من أي كان وفي أي دائرة مهما قربت، وسيكون حاله كحال جده أمير المؤمنين عليه السلام «يَحْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا، وَيُقَاتِلُ عَلَي التَّأْوِيلِ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَدَّ نَادِيَدَ الْعَرَبِ، وَقَتَلَ أَبْطَالَهُمْ، وَنَاوَشَ دُؤْبَانَهُمْ، فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَادًا بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وَحُنَيْنِيَّةً وَغَيْرَهُنَّ، فَأَصَدَّبَتْ عَلَي عَدَاوَتِهِ، وَأَكْبَّتْ عَلَي مُنَابَذَتِهِ، حَتَّى قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ»⁽²⁾.

فنحن علي الأقل يجب أن نكون واعين ولو علي مستوي التنظير، فإن لم نكن نملك الأسلحة المادية فلنملك الأسلحة العلمية والإعلامية، فالنكث له درجات كثيرة، ويجب الوعي لها.

والانحراف الآخر - وهذا أيضا سنة تتكرر في كل زمان - هو منح القاسطين والمارقين. والقاسطين يعني أنهم وصلوا إلي نهاية المطاف، وهناك بيان السيد الأنبياء مروى عند الفريقين وهو بالترتيب: ناكثين، قاسطين، مارقين، وكأن الترتيب رتبي من قبيل السبب والمسبب وتداعياته، يعني الناكثين يفرزون قاسطين، والقاسطين يفرزون مارقين.

ص: 180

1- محمد بن جرير الطبري الإمامي الصغير، دلائل الإمام، ص 239

2- مقطع من دعاء الندبة.

أخطر شيء في البداية الوعي والبصيرة، كما عبر الأصوليون ان الموافقة الالتزامية أعظم واسبق وأخطر من الموافقة العملية، بل لو عملت بالواجب وأنت لا تري أنه واجب، فهذا أخطر وأضل وأكثر فسقا.

الموافقة الالتزامية أن تلتزم أن هذا حق علي صعيد الوعي والإذعان، إذن العقيدة أعظم من العمل مع أهميته.

الملل والنحل قامت علي الرؤية الايدلوجية ولم تقم علي السلوك البدني، فالرؤية والمعرفة هي الأخطر والأعظم ثوبا لأرتباط مصير البشرية بها.

والقاسطون هم ناكثون وزيادة، فإذا ابتليت الأمة بالنكث تلقائيا تصل ذروة الانحراف في الناكثين إلي القاسطين، يعني السقيفة تلقائيا تولد الاموية.

في الآية الكريمة: «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مِمَّا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» (1) فالآية تتحدث عن مستقبل رؤية وحيانية، فتنة للناس وهي السقيفة، والشجرة الملعونة تطور النكث ليذهب إلي القاسطين، وتداعياتها كأنها تكوينية سبب ومسبب، تمادي النكث فوصل ذروته إلي القاسطين، والقاسطون يرفعون شعار العدل لكنهم لا يلتزمون ببوده وفصوله، وفي البداية خلعوا ربة العهد والبيعة والالتزام.

ولذلك المطلوب من المؤمن في زمن الغيبة الكبرى تجديد البيعة

ص: 181

كل يوم ليجدد التزامه بهذا المشروع بحذافيره، يعني لا يقبل التراجع لنفسه فكربا أو قلبيا بل أن يبصر ويعي كل هذه البنود.

وهذا الشعار أيضاً درجات، فيه الجلي، وفيه الخفي، وفيه الأخفي وهكذا، فنكث العهد ونبذ الالتزام إذا تمادي الإنسان فيه تصل به الأمور إلي التمادي في رؤية الحسن قبحا وبالعكس!، يعني صلافة في الإعلان جهارا، وعدم العظة ورعونة في الالتزام بالقبيح والباطل مع الإصرار علي صحة معتقده الباطل، والنهج الاموي لا يخفي منذ بدايته حتي زواله قباحة صريحة بدون حياء.

ولذلك وردت الأحاديث الكثيرة في الحث علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ورد عن رسول الله صلي الله عليه وآله: «لتأمرن المعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم»⁽¹⁾.

وأبضا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام لما قدم العراق ونزل الحيرة دخل عليه أبو حنيفة وسأله عن مسائل، وكان مما سأله أن قال له: جعلت فداك ما الأمر بالمعروف؟ فقال عليه السلام: «المعروف يا أبا حنيفة المعروف في أهل السماء المعروف في أهل الأرض، ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» قال: جعلت فداك فما المنكر؟ قال: «اللدان ظلماه حقه وابتزاه أمره وحملا الناس علي كتفه؟ قال: ألا ما هو أن تري الرجل علي معاصي الله فتنهاه عنها؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك أمرا بالمعروف ولا نهيا عن المنكر إنما ذلك خير قدمه.⁽²⁾

ص: 182

1- الطبراني، المعجم الأوسط: ج2، ص99.

2- تأويل الآيات: ج2، ص853، ح8؛ والبحار: ج10، ص208، ح10.

ذكرت لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، صفات عديدة من خلال الأدعية والزيارات منها انه مجدد لسنة النبي صلي الله عليه وآله، ومحبي لما عطل من أحكام كتابه، «أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفُرَائِضِ وَالسُّنَنِ؟ أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟ أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ؟ أَيْنَ مُحِبِّي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟» (1).

كل هذه بلا شك ذكرت كبنود، لكن الأشهر في تلك البنود هي العدل والقسط، كأنها ميزة له عليه السلام دون جميع الأنبياء والأوصياء، ربما النبي سليمان تولي ملكا إلهيا، أو ذو القرنين، أو يوسف النبي في منطقة جغرافية معينة، وحتى سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله في الجزيرة العربية، أو أمير المؤمنين عليه السلام في منطقة جغرافية أكبر، أما خصوص صاحب العصر والزمان فإنه يملأها قسطا وعدلا، خاصة له دون غيره.

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: إذا خرج وليس في عنقه بيعة لأي نظام سياسي أو اجتماعي فكيف يتلائم هذا مع أمر الله عز وجل لسيد الأنبياء: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» (2)؟

ص: 183

1- مقطع من دعاء الندبة.

2- سورة الأعراف، الآية 199.

فهذه فريضة قرآنية أمر بها سبحانه وتعالى، وسنة نبوية قام بها النبي صلى الله عليه وآله، فكيف يتخطاها صاحب العصر والزمان؟

كيف نجمع بين عدم اعترافه باي عرف أو نظام فاسد، وهو خارج نطاق تأثير أي دائرة عليه حتي من قبل مواليه، مع مضمون الآية الكريمة «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»؟

هذه قاعدة قرآنية ونبوية عظيمة لكن يجب تحديد موطنها لكي تتضح الصورة.

هناك اشكال من قبل المدرسة الإمامية علي مذاهب الجمهور، ومن باب المثال لو اخذنا قاعدة «المصالح المرسله وسد الذرائع» فالأشكال بالدقة هو أن تلك المذاهب طبقت هاتان القاعدتان في مورد خاطئ.

ففي تحريم المتعتين - متعة الحج ومتعة النساء علي سبيل المثال أن من حرمهما استند علي «سد الذرائع والمصالح المرسله» وهذا الاستناد خاطئ، والذين أتوا من بعده لم يميزوا الموطن الصحيح لسد الذرائع والمصالح المرسله مع هذا التحريم

هذا التحريم باطل لأن حلال محمد حلال إلي يوم القيامة وحرام محمد حرام إلي يوم القيامة، فسد الذرائع والمصالح المرسله في مقام التدبير السياسي وباب التزاحم له حكم سياسي، ولكنه ليس حكم تشريعي ثابت.

بعبارة موجزة ذكر الأصوليون أن حلال محمد حلال إلي يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلي يوم القيامة هذا علي صعيد التطبيق التشريعي.

أما علي صعيد التطبيق الجزئي المقطعي الزماني فيمكن للإنسان أن

يمنع نفسه عن ارتكاب الحلال، ولكنه ليس تحريم كلي ثابت بل هو في موارد المهم والأهم، وفيها يجب علي الإنسان أن يراعي الأهم، فإذا فرط بالأهم لأجل المهم ارتكب حراماً، فالأهم يمنعه من إتيان المهم هنا، ولكنه ليس منع تشريعي ثابت، بل هو منع مؤقت جزئي تدييري في عالم سياسة المجتمع، أو الأسرة، أو في عالم تديير الفرد لنفسه. سد الذرائع بهذا اللحاظ صحيح، ومصالح مرسله بهذا اللحاظ أيضاً صحيح، أما أن تجعل ضوابط قاعدة سد الذرائع وقاعدة المصالح المرسله قواعد للتشريع الثابت كمن قال: «متعتان علي عهد رسول الله وأنا احرمهما واعاقب عليهما»⁽¹⁾، فان كان المراد بذلك هو التحريم التشريعي فهذه نبؤة جديدة! أما إذا كان المراد المنع المقطعي فهذا لا يعني الحرمة التشريعية، فلماذا أتباعه يبنون علي المحرمة التشريعية؟ هنا الخلط بين المصالح المرسله وسد الذرائع وجعلها قاعدة تشريعية طامة كبرى.

اذن القواعد التشريعية يجب ان نعرف مواطنها، وان لم نعي مواطنها اختلط الحابل بالنابل، ولا يكفي مشروعية الشيء لتطبيقها، بل يجب الوعي حتي لا- يعمل الميزان في غير محله وموطنه، وإلا- لا- يكون ميزاننا، «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ»⁽²⁾ فالوزن قانون صحيح

ص: 185

1- عن أبي نضرة عن جابر رضي الله عنه قال في حديث: تمتعنا مع رسول الله صلي الله عليه وآله ومع أبي بكر رضي الله عنه، فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إن رسول الله صلي الله عليه وآله هذا الرسول، وإن هذا القرآن هذا القرآن، وإنهما كانتا متعتان علي عهد رسول الله عنه وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، إحداهما متعة النساء، ولا أقدر علي رجل تزوج امرأة إلي أجل إلا غيبته بالحجارة، والأخري متعة الحج، افصلوا حجكم من عمرتكم، فإنه أتم لحجكم وأت ما العمرتكم. (البيهقي، السنن الكبرى، ج 7، ص 206).

2- سورة الرحمن، الآية 9.

لكنه عادل، والقانون شرعيته بالعدل والعكس غير صحيح، لأن العدل هو الأصل فيجب مطابقة القانون للعدل.

ونحن الآن نعيش في عصر وصل فيه الدجل إلى درجة لم تشهدها البشرية في أي جيل من أجيالها، وقد بلغ قوته من الناحية الفكرية والإعلامية في زمن يضيع فيه الميزان بالعدل حتي علي اللبيب كما في الروايات.

الشائع الآن في ثقافة المجتمع أن القانون هو الأصل، وما يطابق القانون هو العدل وما يخالفه فهو جور وظلم، جعل الأصل القانون ومصالح البشر وتوافقاتهم هذه مشكلة، بعنوان انتخاب الأكثر يكاد طبق هذا المفهوم الخاطئ علي العقل القانوني والسياسي والمجتمعي.

لكن في منطق أهل البيت عليهم السلام العدل هو الأصل وما طابق العدل هو القانون، يعني النظم والقانون بتوسط العدل، كما تقول الصديقة الطاهرة علي النار «وجعل إمامتنا نظاما للملة»، فالعدل نظام وهم سلام الله عليه مجسدة العدل حسب نص القرآن الكريم.

وهذا هو منطق أهل البيت عليهم السلام أن الحسن والقبح ذاتيين عقليين، فإن توافق عرف البشر وتراضي علي هذا الحسن والقبح الذاتي فهو صحيح، وليس الموازين والمواثيق البشرية بما هي.

مع أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالوفاء بالعهود «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»⁽¹⁾، ويوصينا بمراعاة العرف «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»⁽²⁾، أيضا يأمرنا بجعل العدل هو الأساس في

ص: 186

1- سورة الإسراء، الآية 34.

2- سورة الأعراف، الآية 199.

القانون ونظم الأمور «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» (1) فالميزان قانون يجعل بالعدل.

والعهد من مصادر التشريع عند القانون الوضعي وهو من منابعها المهمة، والعرف نوع من العقد الاجتماعي، وعند السيد «الخوئي» تنظير وافق فيه أحد المحققين السابقين له وهو المحقق «النهاوندي» في كتابه «تشریح الأصول» علي أن دلالة اللفظ علي المعني في اللغة هي بالوضع وأن العرف هو تعهد، وفي هذا الكتاب يذكر هذا المحقق نظرية السيد الخوئي نفسها في الوضع، والوضع مخرج من مخرجات التوافقات الاجتماعية يتصالح فيه فئة من البشر علي الحوار بأصوات معينة، لذلك يبني هذان العلمان (المحقق النهاوندي والسيد الخوئي) علي أن اللغة كهيئة اجتماعية ميثاق والتزام وعقد.

كثير من الأعلام أشكل علي السيد الخوئي ولكن هذه النظرية صحيحة - وإن كان كلامنا في معني الميثاق الاجتماعي وليس في اللغة أو الوضع - فهذه المفردة مثال مهم بني عليه هذان العلمان علي أن نظام التوافقات الاجتماعية ولو بنحو تعيني لا تعيني يعني بنحو ارتكازي استرسالي، فأنت تدخل في مجتمع وتعرف علي لغتهم تلقائياً تدخل في العهد الاجتماعي، لا أن العقد يحتاج إلي إيجاب وقبول خاص.

وهذا المبني نظرية في المواثيق الاجتماعية وهو شرح دقيق لمعني العرف، هذا التعريف يظهر ويبين أن التوافقات بالارتكاز البسيط، فعندما تنخرط في بيئة اجتماعية معينة فأنت قد التزمت بالتعهد سواء التفت

ص: 187

1- سورة الرحمن، الآية 9.

تفصيلاً ام لا، هذا المبني في تعريف الالتزام الاجتماعي هي أحد الأمور التي ذكرها السيد الخوئي والمحقق النهاوندي في الوضع، وهو لا ينحصر في اللغة والوضع، بل هذا البحث عام في كل الأعراف، فإذا رضيت أن تستوطن بيئة اجتماعية معينة فهذا يعني أن تلتزم وتتعهد.

لذلك نفهم لماذا لا يتعايش «صاحب العصر والزمان» في أي مجتمع مدني، لأنه لا يدخل ضمن موثقيهم، ولا يتعهد بعهودهم، وهو غائب وينأى عن التعايش مع الأعراف المختلفة، ليس عنده بيعة لأحد - والبيعة يعني تعهد و التزام - وهو لا ينسجم مع هذه التوافقات المجتمعية المدنية إلا بمقدار ما طابقت دين الله وسنن رسوله، إما أن يتعايش أو يتوافق أو يتعاهد فهذا لا يكون أبداً، لأن هذه البيئات قد حرمها الله عز وجل عليه منذ ولادته، وولادته خفية لهذا السبب.

وعلي هذا الارتكاز، فعندما يعيش الإنسان في مجتمع مدني فيقوم بالعدو والتفجير والتفخيخ والاعتيالات فهو بذلك قد نكث العهد، فإذا عاش الإنسان في بيئة ونظام آمن ومدني فهذا تعهد منه في هذا النظام المدني، إذا تعهد به ثم غدر ونكث به فهو غادر فاجر، وكل غادر وفاجر فإلي النار كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، وهو سلام الله عليه في الثلث الأخير من عهده لمالك الأشر يوصيه بالمواثيق الاجتماعية وعدم نكث العهد إذا التزم به⁽¹⁾

ص: 188

1- وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارح ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استولبوا من عواقب الغدر! فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ علي الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلي منعه ويستفيضون إلي جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه. (من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشر ارض لما ولاه مصر).

لكن هذا لا يعني أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف يعيش في عالم آخر، بل هو نفسه بيئة صالحة في هذا العالم ويسعى لتوسعتها وتغيير الأعراف الفاسدة باتجاه هذا العرف الصالح، لأنه ليس في معزل جغرافي، بل هو في معزل اجتماعي عن الأعراف الفاسدة، «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا» (1)

الجدار الأخلاقي هو الذي يعزل صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه شريف عن كل المجتمعات طيلة أكثر من عشرة قرون، الأعراف الفاسدة هو لا يتنازل لها ولا يترايل عن صراطه المستقيم، ولا يستثمرها بمعنى أن ينصاع لها ثم يأخذ مخرجاتها، بل من البداية هو يعيش في بيئة اجتماعية ليس فيها لوث أو شائبة «لم تدنسك الجاهلية بانجاسها ولم تلبسك من ملهات ثيابها»، ثيابها الاجتماعية والسياسية والمالية والتجارية، وهذا مفهوم آخر للغيبة، ومنه نعرف معني الظهور والغيبة، هو نازح ونائي عن هذه التوافقات الاجتماعية ونزوحه ليس جغرافياً، بل نازح عن السلوك الاجتماعي الخاطيء، ومن الأعراف الفاسدة إلي عرف صالح.

ص: 189

1- مقطع من دعاء الندبة.

الخلط يقع إذا أخطأنا التمييز بين الموازين في الأبواب، فتارة تجعل المصالح المرسله وسد الذرائع قاعدة لأصل حلية الشيء وحرمته، وهاتان قاعدتان باطلتان في أصل التشريع كما أسهب علماء الإمامية طوال قرون في توضيح هذا المطلب، وتارة هاتان القاعدتان تجعلان ميزان لتدبير جزئي زمني مقطعي، وهذا أمر آخر.

وبعبارة أخرى - كمثال - بعض القواعد الفقهية أو القانونية بعضها قواعد للقوانين الدستورية، وهناك القوانين البرلمانية والمجالس النيابية وهي أيضا قواعد قانونية أو فقه قانوني لكنها تختلف سنخا عن قواعد القانون الدستورية، وهكذا تنتزل القوانين إالى وزارية وبلدية وما شابه ذلك، يعني أنماط من القواعد القانونية وهي ليست علي درجة واحدة وسنخ واحد، فجعل قاعدة معينة في القانون البلدي قاعدة في الفقه الدستوري حينئذ ستحدث مشكلة في علم الفقه الدستوري لعدم وجود الصلة، فالقواعد القانونية البلدية عبارة عن موازين تدبيرية في البيئة الخاصة لتلك المحافظة أو المنطقة، وليس لها ربط في الحكومة الاتحادية مثلا، وهذا مبحث مهم جدا وأكد عليه علماء الإمامية كثيرا، لأنه ستعم الفوضي في التقنين مع ملاحظة ذلك علي صعيد البلاد الواحدة والرقعة

الواحدة، فكيف إذا كان علي صعيد البلدان البشرية، لأنه يجب مراعاة الخصوصيات التي لا بد ان تحفظ في كل شعب أو بيئة.

وهذا ما كان عليه أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، أما في التفاصيل النازلة فهذا سر طول غيبته عجل الله تعالى فرجه شريف، فهو غائب ومعتزل عن أصل المشروع الفاسد، ولكنه يمارس الهداية برفق وتدرج لتغيير البشر وهدايتهم، نفس الغيبة هي رفق تدريجي في كيفية التغيير من دون أن يسلم أو يهادن لأي عرف فاسد، ونفس الذوبان بأي عرف من الأعراف هو تعهد لتلك الأعراف الفاسدة.

وهنا أمر يجب الالتفات إليه وهو أن صفات المعصومين ليس المراد منها الصفات الفردية، فعندما نصف أمير المؤمنين عليه السلام بالشجاعة، فليس المقصود الشجاعة بالعضلات، فهذا بعد يسير منها، بل دوما مراد منها الشجاعة علي افق اكبر، وكذلك عندما نقول «كاظم الغيظ» فهذا الرجل الذي كان هو يد الرسول ووزيره وصاحب المنزلة العظيمة عنده، ثم يسلب سلطانه ومع ذلك هو لا يفقد تدييره، ولا يفقد التخطيط المنهجي لمرحلة بناء جديدة وصعبة، وهذه البشرية التي انكفأت عنه بعد خمس وعشرون عاما تعود إليه ندما، هذا هو معني كظم الغيظ عند علي عليه السلام، لا يستفزه المعادي، بل تدييره هو هو، ولن يستحوذ عليه الارباك.

نفس كظم الغيظ هذا عند موسي بن جعفر سلام الله عليه، بعض الناس يكظم غيظه (الفردى) لكنه روحيا منهار، وفكريا لا يدبر أمره، بل أصابه الاعياء، وهذا ليس كظما للغيظ.

كظم الغيظ عند أمير المؤمنين عليه السلام له معني آخر، يعني نوع من امتصاص الضربة والعلاج، وهذا معني مختلف.

شراسة هارون العباسي في قتله موسى بن جعفر عليه السلام بهذه الشدة أراد أن يستفز الإمام ليتخذ الأسلوب الساخن، وبالتالي يعرض القاعدة الشعبية لموالي أهل البيت للخطر، ومع ذلك صلوات الله عليه امتص الضربة من دون أن يعطي للعدو ما أراده من إبادة هذه المسيرة في وجودها الشعبي

من يتخيل أن القاعدة الشعبية للإمام قد تقاعست عن نصرته فهذا ليس بصحيح، لأن ما جري هو من تدبير الإمام الكاظم عليه السلام بنفسه ولم يعطي للعدو ما يريده، والذي كان يريد المواجهة بأي طريق كان لأبادة المؤمنين، إذن كظم الغيظ عند موسى بن جعفر عليه السلام أيضا له معني آخر.

هنا أيضا في وصف صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف «ذو الحلم الذي لا يصبو»، يعني لا تأخذه صباوة المستعجلين والمؤقتين والمتسرعين، ذو الحلم يعني الطمأنينة والسكينة في التخطيط القيادي والحضاري.

ص: 192

أيضا من معاني الغيبة هو نأيه عن الالتزام والذوبان في موثيق اجتماعية فاسدة، بل حتي لو كانت موازين اجتماعية صائبة وكان ولي هذه الموثيق إنسان غير عادل هو أيضا يكون برئ منها.

فغيبته بمعني براءته وعدم التزامه بأي موثيق ليست علي الموازين، أما من ناحية المتصدي أو من ناحية نفس الميثاق، هو غائب بهذا المعني فهو برئ وبعيد ومنقطع لا يستسلم ولا يسلم لها، نظير ما ورد في النبي إبراهيم عليها السلام «وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا»⁽¹⁾ سنة من النبي إبراهيم نجدها في الإمام الثاني عشر.

فالغيبة بمعني اعتزال البيئات الفاسدة ولكن ليس اعتزالا- سلبيًا، بل هو اعتزالا إيجابيًا، أي إنه في وسط الأحداث، وهو فيهم ولكنه ليس منهم.

وكذلك سنة النبي عيسى عليه السلام: «وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾ يعني البيئة التي فيها جور وظلم بيئة نجسة في منطق القرآن.

ص: 193

1- سورة مريم، الآية 48.

2- سورة آل عمران، الآية 55.

هذا الأنفلات هو نجاسة لأنه فيه طغيان وفرعونية، ويدخل فيه طغيان الغرائز والأنانية، وهذه كلها أرجاس في منطق القرآن.

فإذن أحد معاني الغيبة الاعتزال الإيجابي عن التسليم للبيئات الفاسدة وهو طهارة، ويقابلها الظهور الذي هو عبارة عن انتشار البيئة الطاهرة - من بنود المشروع المهدوي - ونشرها وتكريسها بين الناس، وهذا معني اجتماعي للغيبة وللظهور أيضا فيمنطق الحضارات.

ص: 194

الفصل الثاني عشر: الوعي والبصيرة في مشروع التمهيدي

إشارة

1. التعرف علي بنود المشروع .
2. الوعي بالمشروع المهدوي 3
3. ضرورة المعرفة والترويج للمشروع المهدوي
4. الوعي والبصيرة في مواجهة الحرب الإعلامية
5. حرب المعلومات المضللة
6. الدولة المهيمنة بالعلم والبصيرة

ص: 195

للتعرف علي منظومة البنود المهدوية الواردة في الأدعية والزيارات الخاصة به، يعني أن لا يتوقف المؤمنون عند أفق سياسي محدود و معين، أو عند عرف من الأعراف المعينة.

وللتعرف علي هذه البنود ينبغي التأكيد علي عدة خطوات:

الخطوة الأولى، قراءة هذه البنود لنستنبط منها باستنباط اجتهادي، فهي خير مصدر للفقهاء السياسي في الغيبة الكبرى.

وأي باحث يريد أن يكتب في الفقه السياسي أو الفقه القضائي فلا يبتعد كثيرا ويخص بحثه فقط بالمواد الموجودة علي عهد رسول الله صلي الله عليه وآله، أو عهد أصحاب الكساء عليهم السلام، ولا ريب أن بنيتهم أساسية، لكن لا بد من العودة لمصادر من البنود الواردة في اللون الوحياني بعنوان مهدوي من خلال الأدعية والزيارات المرتبطة به صلوات الله عليه، لأن مشروع السماء تبلور وامتد في ألياته ونظامه ومعادلاته بهذا القالب.

اذن قراءة هذه البنود وبالدرجة الأولى معرفتها ودوام التعرف عليها واستنباطها سواء في البحوث العقائدية أو في البحوث الأخلاقية السياسية والاجتماعية والإدارية.

عهد أمير المؤمنين المالك الأشتر ضروري بلا شك، وكذلك نهج البلاغة، ولكن لابد أيضا من التعرف علي البنود التي يرسمها لنا إمام زماننا عجل الله تعالي فرجه شريف التداخل تلك البنود مع بعضها البعض.

والخطوة الثانية التعرف علي غريب الألفاظ في تلك البنود، مثل القرآن.

والخطوة الثالثة معرفة معانيها.

والخطوة الرابعة كيفية قراءتها علي ضوء الفقه وعلم الكلام المركوزين لدينا في الأبواب والبحوث، وكذلك قراءتها علي ضوء الأفق والأخلاق السياسية الحضارية في عديها العام والفردى، وفي المحصلة معرفة هذه البنود لها خطوات ونحن مأمورون وملزمون بها. توجد روايات مستفيضة في باب التعارض بين الخبرين ذكرها صاحب الوسائل، وكذلك علماء الأصول في كيفية الأخذ بين الخبرين المتعارضين، وهناك روايات كثيرة تؤكد علي ضرورة العمل بالأحدث، وأحد الاعلام يجعل بين المرجحات الروايات الاحداث.

افترض في عهد الإمام الصادق عليه السلام وفي كل سنة الإمام عنده توصيات إلي أتباعه المؤمنين في أبواب الدين المختلفة، فإذا علم المكلف بروايات صادرة عن الإمام الصادق عليه السلام قبل خمس سنين، وروايات صادرة عنه في هذا العام، فإذا كان فيها تعارض يعمل بالرواية الأحدث، لأن الإمام عليه السلام هو الذي يشخص الوظيفة في المرحلة.

وهذا الأمر أيضا ينطبق لو كان التعارض بين روايتين صدرتا عن إمامين من الأئمة عليهم السلام فأننا أيضا نأخذ بالرواية الأحدث.

الآن نحن نعيش في عصر الإمامة والدولة الإلهية الخفية للإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه شريف، ولا ريب فيها توصيات وبنود معينة غير التوصيات السابقة التي صدرت عن أهل البيت عليهم السلام .

هم نور واحد ومصدر واحد لا شك في ذلك، لكن بحسب قواعد تشريعات التطبيق الأحدث له دور، سواء نظرنا له نظرة تشريعية أو نظرة تطبيقية.

فما صدر من بنود وتوصيات حول الإمام أو منه عجل الله تعالى فرجه شريف يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار بحسب النظام والمنظومة في اخذ أحكام الدين.

ص: 199

والخطوة الأولى لكي نصل إلي جعل هذه المبادئ اعرافا اجتماعية هي التعليم، لأن الجهل حاجز كبير في طريق التمهيد، فالتوعية والتثقيف والتعليم هو الخطوة الأولى.

ومن ثم توضيح للبنود بصورة أكبر.

والحوارية المستمرة مع العقل البشري إلي أن تصل البشرية إلي درجة الطموح والطمع والانشداد إلي هذا المشروع بنوده الواعية غير المحرفة والمتكاملة والمنظومة، لتبدأ المجتمعات البشرية والنخب البشرية تهتف بهذا الأمر.

يعني يصبح لها أنس فيما بينها مع حكومة الظهور، وتكون البيئة صالحة لساعة الظهور، لذا كلما ابتعدت البشرية عن العلم الصحيح والسليم بالمشروع المهدوي كلما ابتعدت عن الظهور أكثر.

الوعي والإحاطة أولاً بالمشروع المهدوي، هذه المسؤولية مهمة جداً، ثم بعد ذلك تعريف الآخرين به، ثم إقامة الأندية العلمية للمقارنة بين المشروع المهدوي الرباني الصحيح وبين الذي ترسمه المخابرات العالمية لتشويه الإسلام، فالإسلام لن يعرف بقلم النهج السقيفي أو الأموي أو العباسي أبداً، بل يعرف بمنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الغايات الكبرى في مشروع الإمام المهدي هي بمثابة قواعد الوظائف في الغيبة الكبرى علي الصعيد العقائدي، والفكري، والسياسي، وهذه المنظومة من البنود تم التأكيد عليها كثيرا في دعاء الندبة وفي أكثر الزيارات التي يزار بها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

هذه المسائل ليست قضايا عابرة، بل هي أمر مهم، والتأكيد عليه كمجموعة ومنظومة له مغزي، ولا شك أن من وظائف الوسط العلمي الحوزوي في الدرجة الأولى الوعي بالمشروع المهدي، ومن ثم نشر هذا الوعي، من أجل أن لا تختلط هذه الغايات والكمالات بأعراف البشر الفاسدة، بل البصيرة بهذا الفاصل أمر في غاية الأهمية، وإلا والعياذ بالله الاعتقاد بمهدوية الثاني عشر لن تتحقق لنا وسيكون الإيمان والمعرفة به مجرد لقلقة لسان لا واقع لها، ولن نكون علي هذا الصراط بدون البصيرة بهذه المنظومة.

فمن يريد أن يعرف إمام زمانه عليه السلام عليه معرفة هذه البنود الواردة فيه، وزيادة هذه المعرفة معناها الزيادة في الموالاة والنصرة والتمسك به عجل الله تعالى فرجه شريف، فكأنما في خصوصية الإمام الثاني عشر دون بقية أهل البيت عليهم السلام ان له شؤون خاصة في الغيبة الكبرى والظهور، فإذا لم ينشد المؤمن معرفة وانقيادا وتمسكا بهذه البنود فلن يتعرف علي إمام زمانه.

ومن ثم تقع علي عاتقنا مسؤولية كبيرة وهي فريضة الترويج لهذه البنود وإطلاق عملية تربوية وتعليمية وارشادية هادية لتنمية العقل البشري بما فيها من معرفة، وفي كثير من أسرار الروايات إذا ما أنجزت هذه المهمة فإنها ستساعد في الظهور.

ربما نستخف بهذه المسؤولية أو نستهيئ بها ولكن هذه المرحلة هي من أهم مراحل الإعداد للظهور، ومن أعظم مراحل الإعداد العظيم لنصرة صاحب العصر والزمان عليه السلام، ولتوفير أرضية الظهور يجب نشر هذه البنود، وهذا ليس في الروايات فحسب بل جملة من التقارير المنشورة عن الغرب تقول لو قدر لهذه الشعارات أن تنتشر ويهتف بها الناس لسلب ولاء هذه الشعوب عن أنظمتها، وهذا هو الانتصار الكبير للظهور المقدس، أن تهتف به الشعوب وتكون شعاراتها ومطلبها الجماهيري شخصه عجل الله تعالي فرجه شريف.

فالتمهيد لا يحتاج إلي دماء وحروب ساخنة، بل يحتاج إلي نشر هذه البنود، وهذا ما لم نقم به طيلة عشرة قرون.

حتي الباحثين الغربيين الذين لا يقولون بإمامة المهدي عليه السلام يقولون أن هناك سر خفي في صمود أتباعه، فلولا وجود داعم أمني سري فان هذه الجماعة ستقرض بسبب سياسات القتل والتتكيل المفروضة ضدها من قبل الحكومات الأموية والعباسية والعثمانية والاستعمارية فيما بعد، ويأتون بأمثلة لجماعات وملل انقرضت نتيجة سياسة معينة مورست ضدها، بينما هذه الجماعة تنتشر وتتوسع وتتمدد وتتعلمق، ومن غير المعقول أن يكون هذا الأمر صدفة.

إذن المغزي العظيم من هذه البنود المنشورة في الدعاء والزيارات

الأخري بعد أن نقوم بالواجب الأول وهو معرفتها والتبصر بها، ثم نهدي الآخرين إلي نورها ونشرها بين بني البشر وتجيدها فكريا.

ص: 203

وعلي ضوء المنهج المهدوي يجب التنبه إلي الأعراف الموجودة وان المسؤولية الملقاة علي الجميع سيما أهل العلم أن لا يلتبس عليهم أولاً الصائب من الفاسد من الأعراف البشرية تحت وطأة الضغط الإعلامي والشبهات والأفكار المختلفة، وقد ورد عن أهل بيت العصمة والطهارة أن الأشد من المنكر هو رؤية المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وهذا بلاء عظيم (1).

فدور الوعي العلمي والبصيرة بلحاظ بيئات البشر من المسؤوليات العظيمة الملقاة بالخصوص علي كاهل الحوزة العلمية التابعة لأهل البيت عليهم السلام (2)، والوعي العلمي يجب أن لا يكون فيه مدهانة، صحيح أن

ص: 204

1- روي عن النبي (صلي الله عليه وآله) أنه قال: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر» ف قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال صلي الله عليه وآله: «نعم». فقال: «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف» ف قيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ فقال: «نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟». (المجلسي، بحار الأنوار، ج52، ص181، ب25، ح1).

2- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا والخلائق كلهم كذلك، إلا أن الله ع وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم» (الكليني، فروع الكافي، ج8، ص215).

المدارة ثلثي العقل، وضرورة المعاشرة بالحسني مع الآخرين، لكن الوعي العلمي والبصيرة لا يرتبطان بالمدارة والمعاملة بالحسني، فهذا الخلط إذا حصل فهو طامة كبرى.

يجب أن يكون المؤمن وهو تحت وطأة الحرب الإعلامية النفسية والناعمة التي قد لا يشعر بها قويا وصلبا، وأن لا ينحني ويتراجع تحت ضغط اللوم بسبب طبيعة الضعف البشري لديه، وعليه التأسى بالبيت عليهم السلام في ذلك فهم لا تأخذهم في الله لومة لائم(1).

فالحرب النفسية والإعلامية أعظم تأثيرا في فكر الإنسان ووعيه من أي حرب أخرى، وفي المطارحات الفكرية هناك منهج خطير من قبل العدو وهو تعمية الحقيقة وطمسها، فينبغي علي المؤمن أن يسير إلي الحقيقة بروية هادئة بعيدا عن الاستفزاز والتشنج، لأنه عند الغضب يفقد الإنسان بصيرة العقل، إلا إذا كان الغضب مسخر للعقل.

الأئمة الماضين سلام الله عليهم فدوا بأنفسهم وأرواحهم الطاهرة وذهبوا إلي حد السيوف دون أن يهادنوا في الوعي، لأن الوعي إذا غاب غابت البصيرة تماما، وفي بداية دعاء الندبة هذه الإشارة الواضحة «وَكُلُّ شَرِّعَتٍ لَهُ شَرِّعَةٌ وَنَهَجَتْ لَهُ مِنْهَا جَأً، وَتَخَيَّرَتْ لَهُ أَوْصِيَاءَ؛ بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَي مُدَّةٍ، إِقَامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلَي عِبَادِكَ، وَلِيَلَّا يَزُولَ

ص: 205

1- من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيها علاقته برسول الله صلي الله عليه وآله: «... وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار. عمار الليل ومنار النهار. متمسكون بحبل القرآن. يحيون سنن الله وسنن رسوله. لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون ولا يفسدون. قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل». (نهج البلاغة، ج 2، ص 157).

الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ، وَيَغْلِبُ الْبَاطِلُ عَلَيَّ أَهْلِي وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ لَوْلَا أَرْسَلْتِ إِلَيْنَا رَسُولًا مُنذِرًا، وَأَقَمْتِ لَنَا عَلَمًا هَادِيًا فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزِي»(1).

هذه الإشارة في دعاء الندبة هي أمر ضروري ومصيري، لأن المطلوب أن لا يكون هناك عمي في البصيرة فهو اخطر من عمي الأبصار، وهي زاوية مهمة جدا فلا يجب أن يكون هناك لبس في بطلان الباطل أو إحقاق الحق علي أقل التقادير، نعم قد تكون هناك ضرورة للمواربة أو عدم ابراز الحق بدرجة معينة، ولكن لا بد من إبقاء قدر ما لأجل اظهار مسار الحق ومنهاجه.

والمسؤولية في الدرجة الأولي تقع علي أهل العلم حتي لا تلتبس الأعراف الفاسدة أو التي اختلط صلاحها بفساد علي العقل والوعي البشري فيتم التعامل معها علي انها مثلي أو انها وصلت القمة في الصلاح.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الغاية التي ذكرت في دعاء الندبة الانفة الذكر، وأن إقامة الدين من خلال إقامة الحجة علي العباد لتتير له الطريق وترشده نحو الصلاح حتي لا تغلب العقول علي بصيرتها، وهذا هو معني لئلا يغلب الباطل علي أهله.

وفي أصل التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد وجملة من ثوابت الدين الأخرى هذا المقدار لا يمكن التسامح به فهو مسؤولية كبيرة وفيه فلسفة الاختبار والامتحان. سنة الله سبحانه وتعالى في البشر ليس إجبارهم ولكن لم يفوض إليهم مطلقا بل هو أمر بين أمرين، وفي بداية دعاء الندبة تحدد الوظيفة الاجمالية من خلال البنود التفصيلية والتي يستعرضها الدعاء:

ص: 206

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصَ تَهُمَ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ... إِي أَن يَقُولَ: وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمُ مَلَائِكَتَكَ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ؛ وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَيَّ رِضْوَانِكَ، فَبَعْضُ أَسَدِ كُنْتَهُ جَنَّتِكَ إِلَيَّ أَن أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضُ حَمَلْتَهُ فِي فُلِكَ، وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ...» (1)

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لكميل بن زياد النخعي (ره): «... كذلك يموت العلم بموت حامله» ثم قال: «اللهم بلي لا- تخلوا الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيناته» (2)، لذلك في الروايات عن الفريقين، وبالذات في تفاسير الإمامية في الإجماع اللطفي انه لا يمكن أن يكون في المحجة الظاهرة إمام كل البشر ليس هناك جماعة ليست هي علي الحق وإلا أطبق الباطل علي أهله. (3)

ص: 207

1- مقطع من دعاء الندبة.

2- الشيخ محمد باقر المحمودي - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج 8، ص 16.

3- في خطبة طويلة الأمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة قال فيها «اللهم لا بد لك من حجج في أرضك حجة بعد حجة علي خلقك، يهدونهم إلي دينك، ويعلمونهم علمك لكيلا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم خائف يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم في دولة الباطل فلن يغيب عنهم ميثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة، وهم بها عاملون، يأنسون بما يستوحش منه المكذبون، ويأباه المسرفون، بالله كلام يكال بلا ثمن لو كان من يسمعه بعقله فيعرفه ويؤمن به ويتبعه، وينهج نهجه فيفلح به؟ ثم يقول: فمن هذا؟ ولهذا يارز العلم إذ لم يوجد حملة يحفظونه ويؤدونه كما يسمعون من العالم: ثم قال بعد كلام طويل في هذه الخطبة: اللهم وإني لاعلم أن العلم لا يارز كله، ولا ينقطع مواده فإنك لا تخلي أرضك من حجة علي خلقك إما ظاهر يطاع أو خائف مغمور ليس بمطاع لكيلا تبطل حججتك ويضل أولياؤك بعد إذ هديتهم - ثم تمام الخطبة» (الكليني، الكافي، ج 1، كتاب الحجّة، ب 88، ص 335).

ضرورة التوضيح أن أطروحة ومشروع القرآن وأهل البيت مستمرة في هداية البشرية فهي ليست تشريعات تاريخية اكل الدهر عليها وشرب، فإذا تسرب هذا الاعتقاد إلي النفوس فهو نكث!، فمن يشهد بالشهادات الثلاث أما أن يثبت عليها، أو ينكث عهده، لأن الشهادات الثلاث معناها الوهية الباري سبحانه وخالقيته وحاكميته، لأننا لا نقول بالتجربة البشرية، بل بما هو أكفأ وأوعي.

ص: 208

أحد أساليب الحروب الأمنية هي المعلومات المضللة، بأن يقوم كل طرف بضخ معلومات للطرف الآخر وهو يظن أنها معلومات حقيقية، لكنها في حقيقة الأمر معلومات مضللة.

هذه أحد آليات تلك الحروب، وكل الدول تعترف في حربها مع بعضها البعض أنها تقع فريسة المعلومات المضللة، أما صاحب الزمان فإنه لا يخدع، ومنذ ألف سنة لم يستطع أحد أن يفعل ذلك.

من الأشياء المهمة في الأمن وعلومه الاقتصادية والتجارية أو العسكرية هو تمييز المعلومات المضللة عن الحقيقية، وهذا من أصعب الأمور وبه يتم الخداع.

في حين ألف سنة لم يستطع أحد أن يسجل اختراقاً أمنياً واحداً علي صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، مع أن أدعياء المهديّة والسفارة كثر والعباسية أيضاً كثر - العباسية هم الموالون الذين يصلون إلي السلطة وأول ما يفعلوه بعد الوصول هو الانقضاض علي أهل البيت عليهم السلام- حتي هؤلاء لم يستطيعوا أن يغيروا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

وهذا يعني أن لديه قوة عملاقة، مع تطور العلوم والخداع الأمني،

والملاحظات الأمنية أيضا تطورت، ومع ذلك ما استطاعوا أن يخترقوا حتي الأجهزة المعلنة لمدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي الحوزة العلمية.

قتلوا مئات المراجع والمجتهدين والخطباء، وآلاف الطلبة من العلوم الدينية، ومع ذلك «جهاز الاعتبار» في الحوزة العلمية لم يستطيعوا أن يتسلقوا إليه.

أتباع أهل البيت عليهم السلام قلعة منيعة بالقيم، والقيم أعظم حصن حتي في المستوي الظاهر، لذلك الحرب الثقافية الآن علي هذه القلاع الظاهرة غير الخفية لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف، وهي الحوزات العلمية، يحاولون الآن من الداخل هدم الحوزات العلمية، ولن يستطيعوا لذلك.

مع أنه لا أحد يدعي أن العلماء معصومون، لكن أن يأتي من يعتبر العلماء كفرة! أو أنهم أعداء الدين! فهذا لعمرى أمر عجيب(1). النقد ضمن الاجتهاد والتقليد لا بأس، أما تقدمهم لغرض التكفير؟! هذه أصابع أجنبية واضحة لأعداء مدرسة أهل البيت وأعداء صاحب العصر والزمان.

لم يغالي أحد من الإمامية بأن العلماء معصومون ليس فيهم زلل، فالزلل شيء وتكفيرهم واستعداد الآخرين ضدهم شيء آخر، خلط الأوراق بهذه الطريقة من أجل ماذا؟ لكي يهدموا هذا الصرح العظيم؟! وأتي لهم ذلك.

ص: 210

1- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال «لولا من يبقي بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ومن فحاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون صاحب السفينة سكانها اولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل» (الطبرسي، الاحتجاج، ج 2، ص 260).

إحدى الغايات والبرامج الرئيسية في مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف أنه لا يقتصر علي تأسيس الدولة فقط، بل حسب التأكيد النبوي المتواتر عند الفريقين رأس أهداف المشروع المهدي أمر عظيم، فهو يريد دولة مهيمنة علي كل النظام العالمي وراعاة لكل أنظمة البغي والجور، فلا تسمح هذه الدولة لأحد بالبغي أو الجور، فهي تشل الجور وتعطل الظلم، فيقام العدل، وهذا كله بقوة الردع بسبب حضور الحاضر ووجود الناصر.

الأمر المهم الذي سلط عليه الضوء من قبل سيد الأنبياء في خصوصية نهضة ودولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف أنه يملك من القوة إلي درجة أنه لا يبني دولة تحمي نفسها فحسب، بل دولة توجب ردع كل القوي عن أي جور أو ظلم.

الأساس في دولة الظهور أن تكون الدولة المهيمنة، وهذا هو معني «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً»، وهذا مؤشر واضح أن الأنظمة العالمية التي تأتي قبل دولة الظهور تزداد ظلماً وجوراً، بل الآن تري النظام العالمي المهيمن علي الكرة الأرضية يزداد جوراً وبغياً، والإحصائيات تشير إلي فظاعة البغي والجور والعدوان والظلم والفسق والفجور وكل شيء سيء، أرقام مرعبة تكشف هول الكارثة الاجتماعية والسياسية السائدة.

بملاحظة السقوط الأخلاقي وسفك الدماء والعنف المستشري الآن تدرك أن الوضع أشد من الجاهلية الأولى.

وقد ذكر في جملة من ملاحم الروايات ازدياد الخداع والمكر والحيلة إلى درجة تجعل العاقل حيراناً كما تشير الروايات إلى ذلك، يعني في هذا الزمان المؤمن يحتاج إلى تدبير وحذر أكثر بأضعاف من السابق.

ولكن في نفس الوقت - من البنود التي ركز عليها في دولة الظهور - انه يزداد العلم والبصيرة بأضعاف عما سبق.

بسبب ازدياد المكر والخديعة من الضروري ترقية الوعي والعلم والمعرفة إلى درجات اعلي وراقي.

هناك روايات مذكورة عن أهل البيت عليهم السلام، وهذه الروايات هي إشارة للأيات، فخط الظلام لن يقف عند خداع ما قبل الظهور، بل الخداع والمكر والكيد مرشح للازدياد أكثر فأكثر حتي ما بعد الظهور وفي دولة الظهور، وما بعد دولة الظهور من بعد الرجعة، إلا أنه يقابله إزدياد عظيم في درجة الوعي والبصيرة.

فنحن في وعد منافسة جديدة بين قوي الجهل والظلام وقوي الحق والنور، وهناك تعبير متكرر وارد عن أهل البيت صلوات الله عليهم أنه هل في الرجعة كفر؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم والله، لكفرة في الرجعة أشد من كفرات قبلها»⁽¹⁾.

ولهذا المطلب أمثلة حسب بيانات القرآن والعترة، فأبليس كنموذج

ص: 212

1- المجلسي، بحار الانوار، ج52، ص42.

بلغ من الرقي المعنوي أعلي من بلعم بن باعورا، وكذلك اعلي من السامري الذي كان نموذج آخر لا يختلف عن بلعم بن باعورا وكان من الخواص ولكنه انحرف عن الطريق، إضافة إلي نماذج أخرى موجودة في الوحي.

إبليس بلغ ما بعد الدنيا والبرزخ والرجعة، وبلغ من الملكوت شيء عظيم، ومع ذلك انتكس وانزلق، حتي في الروايات أنه كان يصلي في صفوف الكرويين في أطراف الملكوت، فطريق التنافس بين خط النور وخط الظلام مفتوح ومرشح لما هو أشد وأعظم - وهذا من المفروض أن لا يخيفنا، بل العكس يثير العزيمة والهمة أكثر.

والمحصلة أنه في دولة الظهور كرت هذه الخاصية لصاحب الزمان عليه السلام أنه سيزيد من حجم النور والبصيرة والعلم، مما يدل علي أن الصراع ليس فقط ماديا وبدنيا بل هو أيضا صراع روحي وعقلي وفكري، وأن دولة الظهور كما ترتقي في الأمور المادية لا بد أن تحقق التقدم أيضا في الأمور المعنوية الروحية والعلمية، ووردت نماذج تشير إلي أن كثير من الأعيب الشياطين والجن ستكشف في دولة الظهور ببركات ذلك العلم وتلك البصيرة.

يعني هذا النظام الموجود في قوي الظلام الذي يشير إليه القرآن الكريم: «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ^{لَهُ} إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» (1) هذا النظام نسبيا سيتحطم.

ص: 213

فعدما يقال أنه يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا يعني علي كل الأصعدة المادية والعلمية والروحية.

إذن التمهيد لبناء دولة الظهور أو المساهمة في ذلك التمهيد يجب أن يشمل كل الجوانب، وهذا يعني أن فراسة المؤمن وفطنته لابد أن تزداد أكثر فأكثر، فإذا قنع بالموجود فسوف يكون قد تأخر عن ركب الصراع بين الخير والشر.

ص: 214

إشارة

- قراءة جديدة لمنظومة العدل

- أين تكمن سعادة البشر

- القادر علي بسط العدل

- الأصلح لقيادة العالم

- معني «يملاًها قسطاً وعدلاً»

ص: 215

منظومة الدين لا تعتدل ولا تترن إلا بنحو مضموني مجموعي، هذه طبيعته، وهذا هو أحد تعاريف العدل والعدالة.

الكثير من نظريات البشر لمعني العدالة لا تقر مبدأ التساوي - ربما عرف قديما بمعني التساوي - أما حديثا بعد ان وصل البشر بنموه العلمي ونقاشاته الفكرية إلي درجة متطورة توصل إلي معني آخر للعدالة وهو «التوازن»-أحد التعاريف الجديدة للعدل - فهو محور واحد لكن بهياكل مختلفة.

ولا زال هناك جدل علمي في تعريف العدالة، في الشيوعية - مثلا - وجدوا في تعريفهم للعدالة سلبيات فرفعوا اليد عنها إلي الاشتراكية، ثم رأوا سلبيات أخرى في تعريف الاشتراكية للعدالة فانقلوا إلي السوق الحرة، ثم سلبيات أخرى فانقلوا إلي البورصة، ثم رأوا سلبيات أخرى فانقلوا إلي التجارة العالمية، والبشرية إلي الآن في لغط كبير في تحديد النظام العام للعدالة.

واحد الشواهد علي ذلك نظام الانتخابات في العالم، فهو غير متفق عليه حتي بين الدول التي تعمل به، فلو أردت دراسة نظام السلطة في تلك الدول تجده مختلف وان كانت هناك بعض المشتركات، وهذا يعني ان

البشر إلى الآن غير متفقين علي تنظير كلي لآليات تحقيق العدل والعدالة ولا آليات الوصول إلى السلطة.

الغرب الآن يعتمد علي مراكز المعلومات والإحصاء والدراسات والاستطلاعات، هذه المراكز هي التي ترسم نظام وسياسة الدولة، وهي التي ترسم ملفات البرلمان والنظام القضائي.

يعني السلطات الثلاث القضائية والتشريعية والتنفيذية تحت سلطة مراكز الدراسات، فيلزمهم في أي خطوة أن تكون مقتنة وليست فقط في الدستور والمحكمة الدستورية، بل إن الذي يعطي الخارطة هي مراكز الدراسات، فليس من حق حفنة من الرجال سواء كانوا قضاة أو برلمانيين أو وزراء أن يمتلكوا أمر الأمة.

هم وصلوا إلى آليات أخرى غير الانتخابات وهو العلم الجمعي، والرقيب الأكبر ليس البرلمان ولا مؤسسات الدولة الأخرى، بل مراكز الدراسات هي الرقيب - وإن كانت نسبية - يعني العلم والعقل الجمعيين.

فالعدالة عند البشر والمشاركة وصلت الآن إلى هذا المستوي، لأن التوازن يأخذ دائما طابعا جمعيا.

هذا المعني المنظومي للعدل والعدالة سيوضح لنا كيف أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف سيملاًها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

الرؤية إلى سعادة البشر الآن في النظام العالمي العادل والموحد، لأن الفطرة البشرية تدعو إلى النظام الموحد الذي يساوي بين بني البشر ويتعامل مع الجميع بالسوية دون تمييز عنصري أو عرقي.

فالبشرية الآن ترى أن النظام الموحد أمر مهم وضروري، ولكن أي أطروحة تكون قادرة على إدارة العالم؟

هناك اعتراضات واضحة على نظام العدالة الذي دار به الأمم المتحدة من قبل الدول الكبرى، بل يمكن أن تكون التسمية الصحيحة لها

«منظمة عصابات الأمم!» ويكفي النظر إلى الشعوب المحرومة وكيف يتم اضطهادها باسم الشرعية الدولية.. والحال هذه فان الدين الذي تدعيه الأمم المتحدة ليس موقفاً لحكم البشر، لأن الجميع الآن يعترف بأن النظام الموجود في مؤسسات الأمم المتحدة غير عادل، فهي عصابات استخبارية للدول العظمى لكي تشرعن ظلم الأغنياء، حروب تقام من اجل النفط والغاز، باد بها شعوب تحت ذرائع مختلفة، ومنظمة الأمم المتحدة تشرعن ذلك الظلم، وعليه فمن الخطأ أن ينظر إلى الأمم المتحدة انها مدنية، بل هي دينية دأب بها بني البشر، فبعض الأديان تجبر الآخرين على اعتناقها، وهنا إجبار على المواثيق الدولية الظالمة فإن رفض أحد ما

هذا الظلم يتهم بمعاداة الشرعية الدولية والإرهاب، وما إلى ذلك من التهم الجاهزة.

هذه اللغة العالمية للنظام العادل هي في فقرات دعاء الندبة وقوانينها، «نَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَيَّ التَّقْوِي؟ أَيْنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتِي؟ أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟ أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِئُ رُيَايَةِ الْهُدَى؟ أَيْنَ مُؤَلَّفُ شَيْءٍ مِمَّنْ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا»(1)

والفرق واضح بين مشروع الدولة الإلهية وبين مشروع الأمم المتحدة! أصلا لا يمكن المقارنة بين من يملأها قسطا وعدلا وبين من يملأها ظلما وجورا.

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ وَالْعَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ وَعْدَا غَيْرِ مَكْذُوبٍ»(2)

البشرية الآن بقناعتها وفطرتها لديها ميل نحو وحدة النظام العالمي، والوحي القرآني دعاها إلى ذلك: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اللَّهُ يَهْدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»(3) والكلمة السواء يعني النظام الذي يشمل عدله الجميع.

ص: 220

1- مقطع من دعاء الندبة.

2- مقطع من زيارة آل ياسين.

3- سورة آل عمران، الآية 64.

يجب علينا أن نعيد النظر في الكثير من المفردات لكي تكتمل وتتضح لنا الصورة في المسير إلى منقذ البشرية عليه السلام.

ص: 221

القرآن الكريم يبين أن العدل المنظومي العالمي في كل العوالم الكونية - وليس الأرض فقط . لا يمكن أن يقوم به إلا أهل البيت حصرا.

في قوله تعالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (1) وحسب التفسير فإن في الأرض هي ثروات الأرض كلها، وهذه الثروات الولي والمدبر لها هو الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم صلي الله عليه وآله، وذوي القربى - يعني الأئمة من بعده -، أما اليتامي والمساكين وابن السبيل فقد ذكروا في الآية بدون لام ليشير إلي أنهم مصرف لهذه الأموال، وليست لهم ولاية .

لن يكون هناك من يقدر علي إيجاد العدل المنشود في المعمورة وبين بني البشر سواء كان من السقيفة، أو من الأنظمة الرأسمالية أو الاشتراكية أو أي نظام آخر خلا- أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام فهم القادرون علي ذلك، وإحدي وظائف صاحب العصر والزمان أنه ناصر

ص: 222

من لا يجد ناصرة إلا الله، فأى شعب أو مكون مغلوب علي أمره فهو ناصره، والدولة العالمية لا يقيمها إلا سيد الأنبياء وآل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

فهنا الفيء هو فيء الأرض كلها، يعني عالمية الإدارة، يعني أعراف البشر ونظرياتهم ومدارسهم لن تستطيع أن تقترب من هذا الأمل المنشود وهو إقامة العدل في الأرض، لأن الأعراف والمواثيق والنظم البشرية - سواء من خلال الأمم المتحدة أو المواثيق الدولية التي هي خارج اطار الأمم المتحدة - لا تستطيع أن تصل ولو إلي نصف العدل المنشود، وهي أبعد ما تكون عن هدف البشرية.

وحسب النص الوحياني فإنه عجل الله تعالي فرجه شريف: هو من سيملاها قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، وهذا لا يعني أن وظيفة المؤمنين في زمن الغيبة كما يروج أصحاب الأفكار المنحرفة التقاعس وعدم السعي للتمهيد وأنه التعجيل الفرغ أن تترك الفساد ينتشر فهذا فكر شيطاني وانحراف عن جادة الصواب.

بالعكس هذا المنطق يزيدنا مسؤولية بأن لا نهادن ولا نستسلم لأي عرف بشري، فرغم تنامي اماكنيات البشر وتنامي عقولهم إلا أنه لا يزيدهم عن العدل والقسط إلا بعبدة، وقد بينها أهل البيت عليهم السلام إن الذي يسير من دون إمام هدي لا تزيده كثرة السير إلا بعدا (1).

ص: 223

1- عن طلحة بن زيد قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «العامل علي غير بصيرة كالشائر علي غير الطريق، لا يزيده سرعه السير إلا بعبدة (الكليني، الكافي، ج1، ص 43، الحديث: 1 من باب من عمل بغير علم).

إذا لم نجعل رباني سفينة البشرية صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف فإن سيرها في بحور الفتن والظلمات لا يزيدها عن مقصدها إلا بعداً، بدليل أن الحروب الآن تزداد ضراوة وفتكا لأسباب واهية وضحاياها بالملايين.

ص: 224

في منطق مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الرئيس الحاكم للنظام العالمي ولكل شعوب الأرض ممتنع أن يكون الفقيه أو المرجع أو النائب الخاص.

المؤهل لرئاسة النظام العالمي الذي يعبر عنه الشيعة الإمامية الاثني عشرية هو من بيده الجهاد الابتدائي.

وهو لم يشرع إلا لسيد الأنبياء صلي الله عليه وآله ووزرائه من بعده، وهم الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين.

رئاسة النظام العالمي لا يصلح لها عصمة عامة مثل التي كانت عند إبراهيم الخليل عليه السلام فرئاسة النظام العالمي يحتاج إلي دائرة أعظم من دائرة أولي العزم، لأن إدارة العالم يحتاج إلي علم فوق علم الأنبياء وأولي العزم.

وإذا نظرنا إلي قصة النبي موسى والخضر عليها السلام وما سطره القرآن حولهما، وكيف أن موسى لم يصبر علي ما لم يعلم، سنعرف عندها آل ياسين ماذا يعنون؟ قصص هي نور تبين للإنسان شأن الدولة الهاشمية، وكلما ازدادت الصلاحيات عظمت العصمة، فالعصمة وثيقة لكن التوثيق بالعصمة مختلف.

والتوثيق لتلك العقبة الكؤود، وهي كيف تثبت للناس ان هذا الرجل كفوء لإدارة العالم وأنه القادر علي حل كل مشاكل الشعوب إن لم يكن يمتلك علما إحاطيا.

هنا يأتي دور أتباع أهل البيت عليهم السلام وضرورة الفات نظر البشرية إلي فضائل أهل البيت لكي يعرف الناس كفاءتهم لإدارة العالم.

هنا يجب الالتفات إلي فضائل أهل البيت عليهم السلام التي يركز عليها القرآن الكريم، لكي نبشر الناس أن الرجل الكفوء لإدارة العالم هو الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه شريف.

وهذه ليست عواطف ترنمت بها طائفة معينة، بل هي مبادئ ينادي بها القرآن الكريم آناء الليل واطراف النهار، فالناس إذا لم يتقوا بكفاءة القائد، فلن يكون هناك ظهور، لأنه سبحانه وتعالى أبا أن يكون في أمره إكراه، بل هو أمر بين أمرين، إذا لم يقتنع البشر ولم يفهموا كفاءة هذا القائد، ولم يعرفوا مشروعه ولا بنود ذلك المشروع، كيف يتبعوه؟

يجب ترجمة هذه النصوص التي وردت فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام إلي لغات العالم المختلفة ليعلم الناس انها حق وليست غنوصية قديمة.

وتركيز القرآن علي الفضائل، لا لأجل دغدغة العواطف، بل هو نور لنا لنزداد وعيا وبصيرة، ومجرد ملاحظة كلمة (فضلنا) كم مرة وردت في القرآن ولماذا يؤكد ويجذر القرآن الكريم منطق الفضائل في من اصطفاهم الله؟: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَي الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (1)، «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

ص: 226

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَيَّ بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (1)، «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» (2).

هذه الترانيم القرآنية نور للبشرية وفرج لهم من الويلات والحروب المدمرة، وهي صراط النجاة وسعادة البشر.

ص: 227

1- سورة الإسراء، الآية 55.

2- سورة النساء، الآية 54.

ورد عن النبي الأكرم صلي الله عليه وآله «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتي يخرج رجل من ولدي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما»⁽¹⁾، فما معني يملأها قسطا وعدلا؟

النذكر هذا الأمر أولا وهو لنفس المعني فقد ورد عندنا في مستفيض الروايات ستكون بعد دولة صاحب العصر والزمان عهد «دابة الأرض»، دابة الأرض بنص القرآن الكريم «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ»⁽²⁾ فهي مرحلة من المراحل بعد دولة الإمام المهدي، وبنصوص روايات الفريقين، وهي متواترة عند الطرفين⁽³⁾.

وخصائص هذا العهد من دابة الأرض في روايات الفريقين - والذي

ص: 228

1- كمال الدين ص 317 باب 30، ح 4.

2- سورة النمل، الآية 82.

3- عن العامة رواها ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده المتصل عن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان.....» (تفسير ابن أبي حاتم، سورة النمل، مجلد 11، ص 203/ سنن ابن ماجه، ج 2، ص 1351، كتاب الفتن، باب دابة الأرض / سنن الترمذي، ج 5، ص 21، ح 3240.... وآخرون).

هو من أبواب الرجعة - أن حكومته أعظم نورا وهداية من دولة الظهور، مع إنه في دولة الظهور يملأها قسطا وعدلا. وفي هذه الحال ما معني يملأها قسطا وعدلا؟

معني «الملا» بقرينة جملة من السياقات القرآنية - في موارد عديدة - المراد به إذا أصبحت دولة عظمي تهيمن علي دول وشعوب أخرى.

فإذا صار النظام العالمي بيد دولة، فتلك الهيمنة في الأرض هو ملئ لها، فإن كان الزمام بيد الخير فهو ملئ للخير، وإن كان بيد دولة الشر فهو ملئ للشر، فمعني الملئ بالدقة هو عبارة عن الهيمنة، وليس ما يتبادر إلي الذهن شبيه ملئ الكأس بالماء.

«يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملأت ظلما وجورا» هذا هو المقصود لا ان الخير غير موجود، فكيف يكون ذلك والله سبحانه وتعالى في محكم القرآن أخبرنا بأنه ستبقي في الأرض قواعد نور إلي يوم القيامة: «فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» (1).

إذن من الثوابت أن هذا النور سيبقي إلي يوم القيامة، مراقدا أهل البيت عليهم السلام نور في الأرض، ومع ذلك تملأ الأرض ظلما بهذا المعني، لأن الهيمنة هي لأولئك الظالمون.

دولة الظهور التي سينشئها المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف من نصيبها أن تكون دولة عظمي، وهي صاحبة القول الفصل في الأرض، وليس هناك دولة تضاهيها قوة وهيمنة.

ص: 229

إذن من الخصائص المهمة في الدولة المهدوية أنها دولة عظمي، مع ملاحظة أمر مهم في تلك المسألة، وهي أن النبي صلي الله عليه وآله لم يبدأ بحرب أبداً، وهكذا أمير المؤمنين عليه السلام من بعده «أكره أن أبدأهم بحرب» فهم يحاورون إلي الف سنة ولا يبدأون بحرب! هذا هو منطق آل البيت سلام الله عليهم، بخلاف منطق الذين يتأرجحون بين التكفير والحكم بالردة، وحروب الردة، وما إلي ذلك: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقِيَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»⁽¹⁾ وهذا هو الفرق بين المنهجين.

نعم هو يصطدم مع المعتدي لكنه لا يبدأ بقتال، يعني دولة ردع، وهنا تكمن فلسفة القوة في القرآن الكريم وفي منطق أهل البيت.

القوة في هذه الفلسفة ليست للعدوان والإكراه، بل هي فقط لردع من يعتدي وليست لردع المسالم، وهذا المنطق لا يستطيع تطبيقه إلا أهل البيت عليهم السلام، فالمسالم أيا كان فإنه لا يعامل بالقوة أبداً.

أما هداية البشرية فهي علي نفس الوتيرة المحمدية الأصيلة «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»⁽²⁾ هذا هو منطق القرآن وعدله أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

ص: 230

1- سورة النساء، الآية 94.

2- سورة النحل، الآية 125.

الفصل الرابع عشر: بناء الأعراف الصالحة

إشارة

- لا إقرار للأنظمة السياسية والأعراف المنحرفة
- السعي نحو الأعراف الصالحة
- بين القاعدة العقلية والقاعدة العرفية
- دور الأعراف المهدوية في تمييز الكمال الحقيقي
- نشر الأعراف المهدوية الصالحة

ص: 231

من الأبعاد التي نلمسها في دعاء الندبة وفي بقية الأدعية والزيارات الخاصة بصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهي مستمرة باستمرار غيبته وخفائه أنه صلوات الله عليه لا يعترف بأي نظام من الأنظمة السياسية، ويخرج وليس في عنقه بيعة لأحد قط (1).

وعدم البيعة ليس فقط للأنظمة السياسية، بل حتي لمكون من المكونات، أو لغرف من الأعراف (2).

فلو قيل عن المواثيق الدولية، هل يخرج وهو مقر لها؟ نقول بمقدار انطباق تلك المواثيق علي سنة رسول الله صلي الله عليه وآله، أما إذا لم تنطبق فهو حتما لن يقرها، كذلك الأعراف والقيم المجتمعية والاجتماعية التي تصالحت عليها المجتمعات.

وربما فئات من المؤمنين تواجه صاحب العصر والزمان صلي الله عليه وآله بالقول:

ص: 233

1- عن ابن أبي عمير عن جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يخرج القائم وليس في عنقه بيعة لحد. (المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 95).

2- عن ابن أبي عمير عن سعيد بن غزوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : صاحب هذا الأمر تعمي ولادته علي (هذا) الخلق لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا خرج. (المصدر نفسه).

إرجع يا بن رسول الله لا حاجة لنا بك (1) لأنهم أعرافا بشرية وبنوا عليها، والإمام لا يقر بها.

ص: 234

1- عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في وصفه لحال الإمام عجل الله تعالي فرجه شريف حالما يصل إلي الكوفة: يسير إلي الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفا من البترية ساكين في السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم، وسمروا ساماتهم، وعمهم النفاق، وكلهم يقولون: يا بن فاطمة ارجع لا حاجة لنا فيك، فيضع السيف فيهم علي ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلي العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل، ولا يصاب من أصحابه أحد. (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دلائل الإمامة، ص 239).

حسب منطق دعاء الندبة وغيره من الأدعية والزيارات أن هذه الأعراف البشرية الصحيح منها ناقص فضلا عن السقيم، فلا يظن أحدا أن الكمال البشري هو العقلنة الاجتماعية التي وصل إليها العقل الآن، وهناك الكثير من الكتابات في هذا السياق وهذا ليس بصحيح، لأن الغرف المنشود الذي يريد أن يرسمه عجل الله تعالى فرجه شريف عرف أرقى وأعظم من هذا الموجود.

هو يريد أن يرسم العرف الإلهي، ويجب أن لا تفكر أن هذا الذي وصل إليه العقل البشري هو قمة المسير، كذلك يجب أن لا ندعي أو نعتقد أن البنود الموجودة في دعاء الندبة أو في الروايات أو الأدعية والزيارات المرتبطة به عجل الله تعالى فرجه شريف نستطيع أن نجد كل فلسفتها الآن، لأن «دين الله لا يصاب بالعقول» (1).

ص: 235

1- عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام يقول : إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له : ولم جعلت فداك ؟ قال : الأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟ فقال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسي عليه السلام إلا وقت افتراقهما يا ابن الفضل إن هذا الأمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله ومتي علمنا أنه عز وجل حكيم، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا. (المجلسي، بحار الانوار، ج 52، ص 92).

فلو كان العرف البشري صالحا للحياة فما هو الداعي للظهور، و منطق «إرجع يا ابن فاطمة لا حاجة لنا بك»، هو خطاب فئة من المؤمنين!، وكأن عقلنا البشري كفيلا بأن يرسم سعادة البشرية؟!

وهذا نفس ما قيل أمام رسول الله صلي الله عليه وآله «حسبنا كتاب الله»! عندما قال «أتوني بدواة لأكتب لكم كتاب لن تضلوا بعدي أبدا»(1).

وهذا المنطق برهان واضح بأننا في حاجة لمن يرسم لنا العرف الإلهي، لأنه حتى العدالة التي ينظرها الفقيه لنفسه في الحقيقة هي عدالة ظاهرية لأنه لا يحيط بكل الاحكام، لا في الشبهة الحكمية، ولا في الشبهة الموضوعية.

بدليل قصة موسي والخضر عليهم السلام التي وردت في القرآن الكريم، مع أن موسي عليه السلام نبي ومن أولي العزم إلا أنه يجهل أموراً كان الخضر عليه السلام يعلم بها، وهذا ليس معناه عدم حجية النبي موسي عليه السلام، بل إن الحجج الاصطفائية الإلهية أنواع ودرجات، وهذا الذي أراد القرآن الكريم أن يخبرنا به، فالذي قام به الخضر كما يبين أئمة أهل البيت عليهم السلام في الشبهة

ص: 236

1- حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما اشتد بالنبي صلي الله عليه وآله وسلم وجعه قال اتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده قال عمر إن النبي صلي الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين كتابه (البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ح 114).

الموضوعية، يعني في التطبيق قام بأمر مصيرية لم تكن باحاطة العلم للدني للنبي موسى عليه السلام.

وما قام به الخضر ليس أمرا عاديا، فلولا قتل الغلام لحرمت البشرية من سبعين نبيا كما ورد في الروايات (1)، والواضح أن هذا أمر مصيري وليس هامشي.

فإذا كان النبي موسى وهو مسدد هكذا - وبلا شك أن الأنبياء منزهون عن الخطأ لكنهم علي مراتب - فكيف بالفقهاء أو الرواة أو الساسة المؤمنين؟

إذن لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها، يعني القطب اللولبي الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة بتسديد من الله هو الإمام المعصوم.

فالعدل والعدالة بشكل مطلق في الشبهة الحكمية والشبهة الموضوعية حتي في أكبر الكبائر في الملاكات يحيط بها الإمام المعصوم (2)، أما البقية فيقومون بالمسؤولية بحسب وسعهم وقدرتهم، شكر الله سعيهم.

ص: 237

-
- 1- عن الحسن بن سعيد اللخمي، قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية، فدخل علي أبي عبد الله عليه السلام، فراه متسخطا. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «أرأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟» قال: كنت أقول يا رب تختار لي. . قال: «إن الله قد اختار لك، - قال - ثم قال إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول اللوعز وجل: «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا» [الكهف: 81] أبدلهما الله به جاريه ولدت بعين بيا». (الكليني، الكافي، ج6، ص6).
- 2- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا أبا عبيدة، إذا قام قائم آل محمد عليه السلام، حكم بحكم داود وسليمان عليها السلام، لا يسأل بينة» (الكليني، الكافي: ج1، ص397).

وهذا يدل علي أن دولة الظهور هي القمة في العدالة، صحيح أن الآخرين قد يقيموا نوعا من العدالة لكن بيننا وبين القمة مسار طويل تنظيرا وتطبيقا، كما هو الآن مسير أتباع أهل البيت عليهم السلام طوال هذه الغيبة الكبرى، كل جيل يأتي ويخطو خطوات إلي الإمام أكثر، ويبعد الطريق أكثر فأكثر.

فإذا علمنا أن العرف المهدوي (العرف المجتمعي في الدولة المهدوية المنشودة) هو العرف الخالص، فهذا لا يعني ان نكفر الآن بكل شيء موجود.

ص: 238

علمانية خفية قد تتسرب عدواها لنا تحت شعار الحسن والقبح فهل الحسن والقبح هما الذاتيان الثابتان؟ أو هما بحسب المواثيق الدولية والعرف البشري؟ صحيح أن العرف له دور: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» (1)، لكن أي عرف هو المقصود؟ في قبال أن الدين ثابت، وفي قبال: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (2).

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الحسن والقبح ذاتيان تكوينيان، نعم في مقام التطبيق لا يمكن للإنسان أن يكون حديا مثل الخوارج أو الغلاة.

خذ العفو وأمر بالعرف والمجتمع لم يتعود بعد علي النظام الإسلامي! والحال هذه، لا يمكن تطبيقه بكل مناهجه، لذلك نحتاج إلي التدرج، وحتى في أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أولا معرفة الثوابت قبل الشروع بهذه الفريضة، وأيضا يجب علينا دراسة العرف البشري ومعرفة الصالح منه والطالح؟ والصالح من هو المتوسط في صلاحه ومن هو الأعلى؟ كل هذا يتم بمعرفة القمة في العرف الصالح والمتكامل... «أَيْنَ الْحَسَنِ أَيْنَ الْحُسَيْنِ أَيْنَ أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ صَالِحٌ بَعْدَ

ص: 239

1- سورة الأعراف، الآية 199.

2- سورة الأعراف، الآية 157.

صَالِحٍ، وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ، أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ؛ أَيْنَ الْخَيْرَةُ بَعْدَ الْخَيْرَةِ» (1)

اعرفهم أولاً.... هذا هو المشروع المهدوي.

طالت الغيبة لأنه في صدد تربية البشر بنفس طويل، يدير ويدير الأمر عجل الله تعالى فرجه شريف بقوة السر والخفاء بشكل هادئ وتربوي، لذا يجب أن لا تختلط عندنا المفاهيم في التنظير.

علينا الركوب في سفينة الإمام المهدي عليه السلام وإلا سوف نغرق، وركوب هذه السفينة بأن نعرف مشروعه عجل الله تعالى فرجه شريف ونميز الذئب من الشاة، والخداع من الحقيقة.

إذا لم نتعرف علي هذه البنود بلا شك سنغرق، لأن الهجوم علي مستوي محاولة تبديل قناعاتنا في الدين، فهل قلاعنا حصينة؟ لا شك أنها بالعلم تكون كذلك.

والعلم هو السباحة في انوار المعرفة بسفينة العقل، والحكمة والتدبر في معاني مشروعه عليه السلام، فدعاء الندبة والأدعية والزيارات الأخرى الخاصة به ليس فقط ذكر لساني، بل هي ذكر عقلي، وهو أعظم من الذكر اللساني

ص: 240

1- مقطع من دعاء الندبة .

البشر قد يصلون إلي تكامل وسطي لكنهم يبتلون دائما بأمراض بيئية سياسية، أو اجتماعية، وقد يبتلون باعراف فاسدة، أو متكاملة بتكامل وسطي ويظنون انها القمة في التكامل، وهنا يجب الحذر لأنه من المهم أن يكون تطلع البشرية علي الدوام مسيرة دائبة وهمة للوصول إلي أعراف المجتمع المهدوي والدولة المهدوية، علينا أن لا نقنع بالقليل ولا ننخدع بالمغشوش من أعراف البشر.

كل جيل بسبب السياسات والصراعات والمدارس الفكرية المختلفة يتمخض عنه عرف سياسي أو اجتماعي جديد.

أعراف ورؤي مختلفة في توالد مستمر، ولهذا عندما تشتد الظروف علينا التمسك بالحديث الشريف «كونوا حلوسا من أحلاس بيوتكم»⁽¹⁾ وهذا الحديث يعني بيوت أهل البيت، وليس معناه الجمود، فهو في أحد معانيه انيأخذ النهج المهدوي ولا يغادره يمينا أو يسارا، ولا ينعق مع كل ناعق، نعم يخالط البشر ويكتسب الإيجابيات منهم، لكن لا يقف عندها، بل يجب الاستقامة في التطلع، وحتى يكون المؤمن مستقيما في هذا

ص: 241

1- ورد هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، ذكره النعماني في الغيبة ص 115.

المجال يجب عليه التعرف علي بنود المجتمع المهدوي والحضارة المهدوية، لكي يكون قادرة علي التمييز بين الكمال المهدوي التام والكمال الناقص الذي وصل إليه البشر.

فإذن الاستقامة علي مسير الكمال في المشروع المهدوي هو بتفعيل البنود القرآنية والسنة النبوية وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإلا أي مشروع مهدوي لا نري فيه رائحة المشروع الحسيني فهذا ليس مشروعاً مهدوياً، وأي منظومة في التنظير المهدوي ليس فيها رائحة اللون العلوي والفاطمي نعلم أن هذا ليس مشروعاً مهدوياً.

لأن المشروع المهدوي هو كل مشاريع ابائه وأجداده المعصومين وزيادة - والزيادة بمعني هي بلورة وتجلية أكثر مما كان. فمن دون معرفة هذه المنظومة لا يمكن الاستقامة، لا سيما إذا تصالح البشر علي بنود وأعراف سياسية أو اجتماعية تلقائياً، يرسمون لأنفسهم عقلية معينة ذات لون خاص بحسب قوام زمانهم، وعلي ضوء ذلك يجعلون الميزان هذا العقل العصري الذي وصلوا إليه ويحتمونه علي بنود الدين، أو يقرأون الدين من خلاله ويكون معياراً لهم، وهنا تكمن الخطورة، ففي حين أن أول المخاطبين في الدين هو العقل، لكن لدينا جدلية أخرى وهي أن الدين لا يصاب بالعقول.

فبين أن الدين لا يصاب بالعقول وبين أنه يقرأ بالعقول، علينا أن لا ننزلق في مهاوي أحد طرفي هذه الجدلية، وهذا يقتضي المزيد من معرفة التطلعات الموجودة في الدين من خلال الخطاب المهدوي واختلافه عن ما هو موجود لدي البشر.

العرف الصالح شيء مهم لكي يستبدل به هذه الأعراف الليبرالية والاشتراكية والتي إلى الان لم تلبى العدالة للبشر، لأن ألياتها مفقودة أو غير معروفة.

فالثروة الآن علي مستوي العالم بيد أفراد يعدون بعدد أصابع اليد، ولم تأتي الاشتراكية إلا بمزيد من الرأسمالية المقنعة والمخادعة! والقرآن الكري مرافض لهذا النهج: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْنِيَاءِ مِنْكُمْ» (1).

نفس هذه المنظمات الإنسانية هي عبارة عن شبكة عصابات، ومنظمات حقوق الإنسان عبارة عن وعاظ للسلطين الذي يبررون للظلمة سفك الدماء، وغاية ما يصدر من تلك المنظمات (الإنسانية) هو «التعبير عن القلق» وهذا تبرير لتلك الجرائم وإمتصاص لهول البشاعة التي تمثلها.

هذا المشروع المهدوي هو المنقذ بدون أن تتدخل به المخابرات الاستعمارية وتحترفه عن جادته، إذا استطعنا أن ننشر - وهذه مسؤولية عظيمة تقع علينا - هذه المبادئ بكل وضوح وتكامل منظومي.

كثير من الفرق والأفراد الضالون الذين ينتسبون زورا للإمام

ص: 243

المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف ينشرون فصلا من فصول المشروع المهديوي بغية تحريف المشروع، وأحد الأمور المهمة في المنظومة المهديوية أنها منظومة مجموعية، وإن نشرت بندا دون آخر ففي ذلك ميل وحيث دون السير الموزون في المشروع الإلهي، لأن البشرية الآن متعطشة إلى مشروع الخلاص من هذا الجور والظلم في كل الأصعدة والبيئات «وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضَىِّ عَفِيفٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا» (1)، هذه الأنظمة الاجتماعية الفاسدة (القرية) لا بد من هلاكها: «وَإِنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» (2).

إذن الغرف أمر مهم جدا، وهو من أعظم أبواب الإعداد للظهور، وتهيئة مجتمع الظهور هو في نشر الثقافة المهديوية - ليس فقط في التوعية بها - بل لا بد أن يصل الأمر إلى حد عرفنة هذه المبادئ.

ص: 244

1- سورة النساء، الآية 75.

2- الإسراء، الآية 58.

الفصل الخامس عشر: قيادة النظام العالمي

إشارة

الشعارات المهدوية مشروع ومسؤولية

نقل الغيب وتعريفه لأهل الشهادة

المهمة الصعبة

ميزان المواطنة في الدولة المهدوية

قيادة النظام العالمي

ص: 245

مجموعة هذا البنود الموجودة في دعاء الندبة وغيره من الأدعية هي مشروع ومسؤولية وبنود تتفهمها وتعلمها، نتعرف عليها ونعرف الآخرين بها، لأنها ماء حياة وطوق نجاة وضرورة، فترجمة دعاء الندبة باللغة الإسبانية مثلا حتي تعرف تلك الشعوب المحرومة أي شعارات ينبغي أن يطمحوا إليها، فهذه البنود ليس للحرية والتحرر فقط بل هي تكفي حتي لنجاة الجنين.

المصباح العيني لنور القرآن الكريم ليس ترجمة المصحف الشريف فقط، بل ترجمة دعاء الندبة وبقية الأدعية أيضا لكي يري هذا المستبصر النظام الحرية والعدالة قانون نظري وهو القرآن المترجم، ونظرية عملية متجسدة وهو مشروع الإمام المهدي عليه السلام.

مسؤولية نشر الشعارات المهدوية وترويض العقل البشري الاستيعابها، ونقصد هنا بالمشروع المهدوي هو ما تضمنه دعاء الندبة «أَيْنَ الْحَسَنُ أَيْنَ الْحُسَيْنُ؟ أَيْنَ أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ؟ صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ، وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ»⁽¹⁾، فحقيقة المشروع المهدوي هو مشروع جميع الأئمة عليهم السلام مع الخصوصيات المهدوية.

ص: 247

نقل الغيب وتعريفه لأهل الشهادة

زاوية أخرى في منظومة المشروع المهدوي وهي مهمة جدا وإن كانت لا تخلو من الصعوبة، وتكبد فيها الأنبياء معاناة شديدة، هذه المشكلة والعقبة الكبيرة علاجها هو نشر البنود والشعارات المهدوية في أصقاع العالم.

المشكلة التي واجهها جميع الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم مع أقوامهم هي تعريف عالم الغيب لمن يعيش في عالم الشهادة، وكل المشكلة تكمن هنا.

تعريف عالم القيامة والنار والبرزخ والصراط والحساب والميزان والنشر والبعث وأمور أخرى كلها في عالم الغيب، وغير مرئية بالحواس في عالم الشهادة، هي الأزمة الحقيقية التي يعيشها الأنبياء في دعواتهم والرسل والأوصياء مع أممهم، والإنسان بطبعه يأس بالمحسوسات أكثر من أنسه بالمعقولات.

هذه الملفات الموجودة في عالم الغيب تقدم إلي من يعيش في عالم الشهادة لكي يؤمن بها، وهذا هو الإيمان.

هذا التوثيق أمر صعب إلي درجة أن القرآن الكريم ذكر معاناة سيد

الأنبياء صلي الله عليه وآله في مواجهة هذه الصعوبات، وكيف أن قريش والعرب اعتبرت دعوي سيد الأنبياء وتغييره لرؤي وقناعات وما شابه ذلك ضرب من الجنون واتهموه باتهامات عبر عنها الإمام الصادق عليه السلام أنهم قذفوا سيد الأنبياء بطعون وسباب وشتائم تنوء بها الجبال، وهذه الاتهامات هي استهزاء بالطرف الآخر (1).

جملة من المنافقين في تحركاتهم إلي يوم الغدير، بل إلي آخر يوم في حياته الشريفة كانوا يصفون سيد الأنبياء بهذه الأمور والعياذ بالله، وهذه التعابير هي قتل معنوي لشخصية سيد الأنبياء.

قالوا عنه كاهن تنزل عليه الشياطين والجن، أو أنه يتعاطي من كتب اليهود والنصارى وغيرها، وقد وثق القرآن الكريم الكثير من تلك الاتهامات: «قَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا» (2)، «ذُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ» (3)، «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ» (4)، «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ» (5)، «وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

ص: 249

1- ورد في الزيارة الخاصة بالنبي صلي الله عليه وآله من البعد: «... صل عليه كما وفي بعهدك وبلغ رسالاتك وقاتل أهل الجحود في علي توحيدك، وقطع رحم الكفر في إعزاز دينك، ولبس ثوب البلوي في مجاهدة أعدائك، وأوجبت له بكل اذي مسه أو كيد أحس به من الفئة التي حاولت قتله فضيلة تفوق الفضائل ويملك بها الجزيل من نوالك، وقد أسر الحسرة وأخفي الزفرة وتجرع الغصة....» (القمي، مفاتيح الجنان، ص 362، زيارة النبي من البعد).

2- سورة الفرقان، الآية 8.

3- سورة الدخان، الآية 14.

4- سورة التكوير، الآية 25.

5- سورة الحاقة، الآية 41.

مُبينٌ»(1) كل هذه الاتهامات من أجل زلزلة الاعتبار بشخصية سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله، بسبب هذه الملفات الغيبية التي يستعرضها، وهذه المهمة تحتاج إلي مخزون كبير جدا من الاعتبار!

لأن هذه الأمور الغيبية ضخمة وكبيرة جدا تسع الدنيا وما فيها، فمن هذا الذي يأتي لكي يوثق هذه المعتقدات؟.

هذه العقبة الكؤود والصعبة مرت بجميع الأنبياء والأوصياء في توثيق الغيب لأهل الشهادة، ولأن الغيب عظيم ومهول فهذا الشخص نفسه يحتاج إلي مخزون وثائقي بشكل كبير، سيما النبي الأكرم صلي الله عليه وآله لأنه أعظم نبي أتى بكشف المغيبات.

ولذلك حاولوا بكل الطرق قتل سيد الأنبياء من ناحية التصفية الجسدية والاعتقال المعنوي، وكان أمير المؤمنين سلام الله عليه منذ ترعرعه إلي أن استشهد رسول الله هو الحارس الخاص لبدن النبي ولشخصيته الاعتبارية كذلك.

أما محاولات اغتيال النبي معنويا، فقد كانت اشرس من ذلك بكثير في «مكة المكرمة» من قبل قريش، وحتى في المدينة المنورة» من قبل الوسط الداخلي، وعلي طول حياة النبي هذه المحاولات لم تنتهي.

وهذا المخزون للشخصية المعنوية للنبي صلي الله عليه وآله من اجل توثيق الرسالة ورد في التفسير عن أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

ص: 250

مُسَدِّ تَقِيْمًا* وَيَنْصُرُكَ اللّٰهُ نَصْرًا عَزِيْزًا» (1) إنه لما أتى النبي صلي الله عليه وآله بهذا الكم من الغيب استنكرت قريش الأمر، وكذلك بقية العرب، لذلك حاولوا ان يغتالوا النبي ويقتلوا تلك المعارف التي يعتبرونها كهانة وجن، هذا الإغتيال من خلال تلك البصمة الملوثة التي الصقوها بشخصية النبي صلي الله عليه وآله.

ولما وقع صلح «الحديبية» ذهبت كل محاولاتهم لإغتيال شخصية النبي صلي الله عليه وآله المعنوية أدراج الرياح، هذا هو بمثابة ذنب لأنه حطم أصنامهم وكبرياءهم وغرورهم، وأقروا مرغمين بما جاء به من الغيب.

وهذه المسألة الصعبة بنقل وتوثيق الغيب لأصحاب الشهادة عبر عنها القرآن الكريم بالفتح المبين، وهو أن تتكسر وتتجذر وثاقة النبي حتي عند المشركين والكفار، إذن توثيق الغيب أمر ليس بالسهل.

ص: 251

1- سورة الفتح، الآيات 1-3.

إشارة

نفس المشكلة السابقة تجري مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، فهو منذ ولد إلي الآن في خفاء، وهذه السرية والغيب وتوارد الأسئلة الطبيعية، من هو؟ وأين؟ وإلي متي، وحتى متي؟ نفس الخفاء هو علامة استفهام، فإذا أصبح خفاء في خفاء كيف يكون البرهان؟ هذه محنة كبيرة للمؤمنين.

وفي جانب آخر هو بقية الله التي أودع الله فيه كل المشروعية والشرعية والحجية، بالإضافة إلي انه صاحب القيادة وصلة الغيب بالبشر.

فمن جانب هو غيب وخفاء، ومن جانب آخر كل الشرعية والاعتبار عنده، وإذا أضفنا إليها وعود كل الأنبياء والرسل: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (1) «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» (2) «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» (3) وهذا الوعد كل الأنبياء وعدوا به اممهم، وقد استهزئوا بهم وسفهاوا أحلامهم، هذا الوعد الذي هو غيبي ويحتاج إلي توثيق ووثاقة،

ص: 252

1- سورة القصص، الآية 83.

2- سورة القصص، الآية 5.

3- سورة الأنبياء، الآية 105.

كله خزن في شخصية وإنجاز صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وهذا زيادة في المحنة.

هذه المحنة البشرية تجاه هذا الموعود الأكبر أمر مزلل، كأنما جميع التشكيكات والإنكارات التي جرت علي سلسلة الأنبياء والأوصياء تختزل في شخصية صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، ومن جانب آخر هو وارثهم ولديه كل صفاتهم الاعتبارية.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي طلائع وبراهين توثيق صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه شريف؟ في بيانات أهل البيت عليهم السلام ذكروا عاملان وسببان لرحمة هذه العقبة الكؤود، وكلا هذين العاملين تقع مسؤوليتهما علينا نحن المؤمنين به، وكلما حصل تقصير من قبلنا حسب ما يستتبط الإنسان من دلائل الروايات فالتأخير في الظهور يكون منا:

العامل الأول

هناك تفسير آخر للظهور من خلال الروايات، وهو جلاء وثاقة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف المؤتمنة علي كل الدين الإلهي الواحد الذي بعث به جميع الأنبياء والرسل، والوعد بسعادة البشر وإنجاز أعظم حياة تنعم بها البشرية علي يديه الكريمتين مرتبط بجلاء وثاقة الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف-

الآخرون يتخوفون من المبادئ والمفاهيم التي سينشرها صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، ولكننا لم نقم لحد الآن في نشر تلك المبادئ والتبشير بها وتهئية الأرضية للظهور المبارك.

الغرب مثلا يتخوفون من انتشار الثقافة المهدوية أكثر مما يتخوفون

من انتشار أي شيء آخر في دولهم وكياناتهم، حتي النسيج البشري الإسلامي في دولهم لا يرعبهم بقدر رعبهم من انتشار الثقافة المهدوية. نحن الذي يجب علينا تبليغ هذه البنود المهدوية لكل البشر بطريقة سلمية هادئة وبدون صدام مع الآخرين، فالمسؤولية الأولى للظهور ظهور الانس البشري بالمشروع المهدوي، وإذا أنسته النفوس إقتربت ساعة الظهور.

العامل الثاني:

ذكره أهل البيت عليهم السلام أيضا وأكدوا عليه لتجاوز هذه العقبة وتقريب ساعة الظهور، هو نشر هذا العامل حتي علي غير اتباعهم لأنه سيقرب ساعة الظهور والنصر الإلهي وبأسلوب هادئ ومتزن وهو: ترويح علائم الظهور بقراءة تختلف عن قراءة المنجمين والمنتبين.

وهذه القراءة هي قراءة مسؤولية، فأهل البيت عليهم السلام عندما يوضحون لنا الأحداث، علينا أن نتخذ مواقف معالجة ذات مسؤولية مساهمة في قلع تلك العقبات، لا التسليم والانبطاح لتلك العقبات.

فإذا تحدثوا عن السفيناني مثلا فمعناه انك تبادر وتحاول منع أسباب و عوامل تنشئة السفيناني، فعلائم الظهور هي إحدائيات عسكرية لقائد الجيش لكي يتخذ الاجراء المناسب معها، لا لأجل الاستسلام، بل يحاول دفع هذه الأخطار المحدقة ويزيد من وتيرة الحذر والاستعداد و تحمل المسؤولية، وهنا نريد أن نتبني مسؤولية أخرى، لا أن نكون متفرجين فقط، فهذه ليست القراءة الصحيحة لعلائم الظهور.

فالمسؤولية في الغيبة الكبرى من أجل توثيق العلاقة بصاحب

الزمان، وجعل الجانب الغيبي فيه جانب شهادة، هو نشر علائم الظهور كتحدّي واستعلام بتوصية نفس أهل البيت عليهم السلام، حتى بين المذاهب الأخرى، وحتى بين الملل والنحل الأخرى.

وعندما تقع العلامات ستبرهن لهم دلائل كونية إلهية علي هذا المشروع العظيم لصاحب العصر والزمان، لأنهم سيكونون مهيبين لقراءة العلائم الأخرى للظهور، وهذا أمر مهم علي المؤمن أن يقوم بنشره وترويجه بين البشر لكي لا يلتبس الأمر علي العموم «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ» (1).

ونشر علامات الظهور بهذه القراءة العلمية ليس نشر للتكهنات، بل هو تجدي إعجازي للبشر لكي يستعلموا منه طريق الحق والهدي من طريق الغي والضلالة.

ص: 255

في منطق أهل البيت عليهم السلام المدار علي الحرمة للنفس والعرض والمال، ليس علي الطائفة أو المذهب أو العرق، بل هي قائمة علي أساس «سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم» سواء انتحل الإسلام أو لم ينتحل، فأهل الذمة إن كانوا مسالمين تتسالم معهم، وهذا يشمل الآخرين أيضا كغير الكتابي والمعاهد المسالم وغيرهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (1) هذا هو منطق أهل البيت عليهم السلام.

لذا يجب الالتفات أن مشروع الإمام المهدي عج الله فرجه الشريف ليسالضامن للأمان في ظهوره أن تنتحل صفة معينة، بل الضمان في أنك سلم معه ام لا؟.

وهو لا يحارب لأجل شخصه المقدس، بل لأنه عين العدل وعين الميزان «أَيْنَ الْمَعْدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظَّلْمَةِ؟ أَيْنَ الْمُنتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْتِ وَالْعَوَجِ؟ أَيْنَ الْمُرتَجِي لِإِزَالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ؟ أَيْنَ الْمُدَّخِرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ

ص: 256

وَالسُّنَنَ؟ أَيْنَ الْمُتَخَيَّرِ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟ أَيْنَ الْمُؤَمَّلِ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ؟ أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟».

إذا هذا معلم مهم من معالم دعاء الندبة، ومشروع المهدي الاستراتيجي قائم علي العدل: «...وَقَدْ مَلَأَتِ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقَتِ أَعْدَاءَكَ هَوَانًا وَعِقَابًا، وَأَبْرَتِ الْعُتَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعَتِ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَّتْ أَصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1).

ومن ينظر للعدل ليس له ميول قومية أو عنصرية، فمشروع الإمام المهدي عليه السلام وميزانه في المواجهة والحروب ليس قائمة علي الملة والنحلة، بل هو قائم علي السلم والعدوان «سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم» (2).

ص: 257

1- مقطع من دعاء الندبه

2- مقطع من أحد زيارات الأئمة عليهم السلام.

من المهم التنبه إلى أن بنود دعاء الندبة والزيارات المروية في صاحب العصر والزمان عجل تعالي فرجه شريف الله ، تمثل قواعد في الفقه السياسي، وفي بناء استراتيجية العمل في الغيبة الكبرى إلى زمان الظهور.

وليست هذه البنود مجرد ترانيم روحية أو خواطر فكرية، بل هي قواعد منهجية، وهي ليست علي صعيد البعد الفردي فقط، بل هي علي صعيد المسار الاجتماعي والسياسي، وهذه القواعد بالتالي تمثل مشروع الإمام المهدي عجل تعالي فرجه شريف الله .

الطابع العام لهذا المنهج أنه يرفض السنن الخاطئة للبشرية ويرفض الأعراف الفاسدة: «..أَيْنَ قَاصِمٌ شَوْكَةَ الْمُعْتَدِينَ أَيْنَ هَادِمٌ أُنْبِيَةَ الشَّرِكِ وَالنَّفَاقِ؟ أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ وَالطُّغْيَانِ أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الْغِيِّ وَالشَّقَاقِ؛ أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ أَيْنَ مُبِيدُ الْعُنْتَةِ وَالْمَرَدَةِ أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ» (1)

كل كلمة من هذه العناوين هي معادلة تتعرض إلى كيان من الكيانات

ص: 258

توجب افساد البشر، والطابع المهم ليس محاربة عنصر معين أو قومية بل إن هذه العناوين هي لمن يكون معاديا للفطرة الإنسانية.

يحاول أهل الشرق والغرب الآن أن يجروا مفهوما معينا وهو أن هذا الذي تواتق وتوافق عليه البشر هو الفطرة الإنسانية، فإذا تصادم بند من بنود القرآن الكريم مع هذه التوافقات البشرية وضعوا عليه علامة استفهام!.

مثلا ما هي رؤية القرآن الكريم في القتال، وفي النظام السياسي، وفي غيرها من المفاهيم؟

مدرسة السقيفة إلي الآن تفرز صورة غير حقيقية للمنظومة الإسلامية، فمن يري تعامل «داعش» مع ما يسمونه «السبايا» يعتقد أن هذه التصرفات الوحشية تمثل نظام الرقية في الإسلام.

الأصول التي يتبناها «داعش» ليس فيها مخالفة لنهج أبطال السقيفة، فمن تلك المدرسة أتى فكر داعش ونهجهم السلفي.

القرآن الكريم له رؤية أخرى حول المفاهيم التي أتى بها تختلف جذرية عما يمارسه هؤلاء وينشرونه، وهذه الرؤية لها من يطبقها ويشرف علي تطبيقها.

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام في بحث الجهاد الابتدائي رئاسة النظام العالمي البشري ليس من صلاحية المراجع والفقهاء، وليس من صلاحية حتي الولي الفقيه.

الجهاد الابتدائي يعني فيما يعنيه في اللغة العصرية رئاسة النظام العالمي البشري، وقد أجمع علماء الإمامية - إلا من شذ - وهو خلاف

متواتر الروايات أن الجهاد الابتدائي ليس من صلاحية حتي مالك الأشتر أو سلمان الفارسي.

بل هو ليس من صلاحية النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، ولا موسى ولا عيسى عليها السلام، وهذا فيه أدلة قرآنية وروائية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنه لم يشرع حتي عند النبي إبراهيم عليه السلام، مع أن الجهاد الدفاعي شرع عند الأنبياء عليهم السلام، أما الجهاد الابتدائي فهو خاص عند سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام فقط.

إدارة العلاقة بين الشعوب والمجتمعات علي مستوي المعمورة نظام ينوء ثقله علي الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، فقط قطب رحي الإمكان يقر ويوازن العدل بين البشر، فهل السقيفة قادرة علي فعل ذلك؟! وهذا نظام داعش و طالبان والقاعدة ومنهجهم الواضح هو إدانة للصحابة في السقيفة.

الذي يمتلك رؤية كاملة عن كيفية الاستقرار البشري وتحقيق العدالة هو الإمام المعصوم عليه السلام تنظيرا وتطبيقا(1).

فإذا لم نحقق النظر وندرس البنود المهدوية بدقة وعناية تامة، حتي الحوزات الإيمانية سوف يفوت عن قدرتها تنظيرات إجمالية لكيفية رسم نظام تعايشي بين البشر، لا نستطيع أن نتلمسه إلا من خلال بنود منهج صاحب العصر والزمان عجل الله تعالي فرجه شريف.

هذا النظام الموجود في المشروع المهدوي نظام راشد إلي الآن لا

ص: 260

1- يقول الإمام الصادق عليه السلام «بليّة الناس عظيمة: إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» (أمالى الصدوق، ص 363).

يستطيع أحد أن ينظم مثله لأنه معجزة، فهو يرسم لنا نظاماً أرقى مما هو موجود لدى المواثيق الدولية، لأن تلك المواثيق فيها تكريس للقومية والاحتراب العنصري.

المواثيق الدولية لا تدين بعض الأطراف، ولا تدين التمايز الطبقي الموجود الآن، ولكن الوضع يختلف مع النظام الموجود عند صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه شريف، وكما ذكر في الأدعية الخاصة به «واجعله اللهم مفزعا المظلوم عبادك، وناصر لمن لا يجد له ناصرًا غيرك»⁽¹⁾.

إذن رئاسة البشرية وإيجاد التوازن بين الأمم والشعوب ليس بمقدور الإنسان العادي بل لا بد أن يكون إنساناً يوحى إليه، ولديه مدد، وإن لم يكن نبياً، وإلا لا يمكن أن يحدث هذا التوازن ستنتشر مرة أخرى التفرقة والتمييز بين بني البشر.

وملحمة القرآن الكريم عجيبة فهو لا يري الأنبياء ولا كتبهم مهيمنة علي البشرية، بل الهيمنة فقط لدولة سيد الأنبياء صلي الله عليه وآله ⁽²⁾.

ص: 261

1- مقطع من دعاء العهد.

2- فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَي هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41].

مشروع النجاة والمسؤوليات تقرير لأبحاث المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

الجزء الثاني

إشارة

تأليف: الشيخ ناجي الخاقاني

ص: 263

إلي سفينة النجاة

ومنقذ الأمة من الانحطاط تحت نير الأعداء

إلي من قدم القرابين علي مذبح الآباء ...

خيرة أهل بيت .. وخيرة أصحاب

لينقذ امة جده صلي الله عليه وآله ويصلح أمرها

إليك .. أيها المصلح والمنقذ العظيم

يا سيدي يا أبا عبد الله الحسين أهدي هذا الكتاب

فتقبله مني بكرمك....

ص: 265

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلي آله الطيبين الطاهرين باب حطة وسفن النجاة وعلي من والاهم بإحسان إلي قيام يوم الدين.

الخلاص من الظلم والتحرر من نير العبودية هو مطلب إنساني قبل أن يكون مطلباً دينياً، وقد سعت البشرية إلي ذلك الأمر منذ أن وجد هذا الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان علي وجه الأرض، فبين من يريد التجبر واستعباد الآخر، وبين من يرغب في التحرر والانعقاد، بعثت الأنبياء إلي الأمم حولت هذا الأمر إلي باب من أبواب الجهاد حاول من خلاله الرسل علي مر العصور جر الناس إلي العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى من خلال تحريرهم من كل أشكال العبودية لغير الله وحده، وبذلوا في ذلك السبيل كل غال ونفيس فكان الأنبياء هم الرعاة والمنفذون للمشروع الإلهي في نجات البشرية من خلال هداية الناس إلي دورهم ومسؤوليتهم في هذا المشروع.

تحول مشروع الخلاص إلي مفهوم ديني علي يد الأنبياء أعطي شعورة لدي الناس بقيمة هذا العنوان وحوله إلي إيمان بمستقبل الإنسانية وأن هذا الإيمان ليس عزاء وتسلية فحسب بل هو مصدر للعطاء والقوة

وعدم اليأس، وهو بصيص نور لعالم مليء بالظلم والجور يجعل الأمل مشتعلًا في الصدور مهما ادلهمت الخطوب.

والقرآن الكريم في حديثه عن السنن الإلهية في المجتمعات البشرية عرض شروط المشروع الإلهي للنجاة والعوامل التي تتكفل بإبصال المجتمعات إلى النعمة الإلهية في نيل الفرج والنجاة من الظلم من خلال ذكر ما جرى علي بني إسرائيل علي يد فرعون و خلاصهم من ظلمه بجهد النبي موسى عليه السلام منجى بني إسرائيل بأمر الله سبحانه وتعالى من خلال صناعته لأمته وتوجيه لهم نحو مسؤوليتهم في المشروع الإلهي ليمن الله عليهم بالنجاة والخلاص من الذل والعبودية.

في قصة بني إسرائيل وصراعهم ضد فرعون إشارات واضحة لكل المجتمعات البشرية بضرورة تهيئة المقدمات اللازمة لفعل التغيير نحو الأفضل، وتأكيد علي أنه في حال عدم تحقيق الشروط للنجاة فلن يتحقق لهم أبدا الفرج الإلهي لأن الله سبحانه وتعالى جعل الخطوة الأولى نحو التغيير من نفس المجتمع: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1)، صحيح أن النصر من عند الله سبحانه ولكن حقانية المسير لا تعني أن يأتي النصر علي نحو الهبة وبدون أي مبادرة.

وعلي هذا الأساس سعي الأنبياء عليهم السلام إلي توعية الأمة نحو مسؤولياتهم والتأكيد علي ضرورة القيام بها لنصرة المشروع الإلهي في التغيير.

ولأن هذه الأمة المؤمنة تحذو حذو من سبقها من الأمم فهي معنية أيضا بالقيام بمسؤولياتها حتي يمين الله عليها بفرج صاحب الزمان
عجل

ص: 268

الله فرجه الشريف، فيجب علينا لكي نقوم بمسؤولياتنا أن نستنتق الآيات القرآنية التي تحدثت عن قصص الأمم السابقة في هذا السبيل واستلهام العبر مما جري في الغابرين

وهذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات ألقاها سماحة آية الله العظمي الشيخ محمد السند دام ظله الشريف في مسجد عمران بن شاهين في النجف الأشرف، وهي محاولة لاستنتاج آية قرآنية تحدثت عن المشروع المنجي لمعرفة المسؤوليات المفروضة علي المؤمنين للمشاركة في إقامة هذا المشروع والتعجيل بتحقيقه، ولأهمية هذا الموضوع قمنا بتقرير تلك المحاضرات وتقديمها في هذا الكتاب لتعم الفائدة للمؤمنين التواقين لمعرفة دورهم وحدود مسؤولياتهم في المشروع الإلهي المنجي وسطوع شمس أمل البشرية عجل الله فرجه الشريف ليمن الله علينا بالظهور المبارك وتحقيق النجاة لهذه الأمة المظلومة.

نسأل الله سبحانه أن نكون قد وفقنا في هذا العمل، وأن يتقبل منا بمنه، ويعفو عنا وعن والدينا بكرمه.

ربنا إليك أنبنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم. والحمد لله رب العالمين.

الشيخ ناجي الخاقاني

النجف الأشرف - 1439هـ

ص: 269

الفصل الأول: مقدمات الانهيار الحضاري وعوامل التغيير

إشارة

ص: 271

وردت الإشارة في القرآن الكريم أن بني إسرائيل وصلوا إلي مرحلة الاضطهاد وسوم العذاب علي يد فرعون بصورة تدريجية، فهم دخلوا مصر معززين مكرمين مع النبي يعقوب بتوسط نبي الله يوسف عليها السلام، وكانت لهم مكانة خاصة لأنهم سكنوا أفضل المناطق في وادي النيل ولكنهم فيما بعد تمردوا علي وصايا نبي الله يوسف عليه السلام كما تشير بعض الروايات، فانتقلوا من تمرد إلي آخر حتي وصل بهم الانحدار بسبب أفعالهم أن تسلط عليهم آل فرعون.

لذا كان عليهم أن يرتفعوا مرة أخرى وبصورة تدريجية حتي ينعموا بالفرج الإلهي وظهور النبي موسى عليه السلام لينقذهم من ظلم آل فرعون، ولن يفرج الله سبحانه وتعالى عنهم حتي يأخذوا بأسباب المبادرة بالتغيير نحو الأفضل، ولذلك كلما أبطأوا في التغيير أبطأ الله عليهم بالفرج، وكلما سارعوا سارع الله سبحانه وتعالى لهم لأن الفرغ كما الانحدار يكون علي مراحل.

وقبيل بعثة النبي موسى عليه السلام حدثت بعض إرهابات التباطؤ فكان أن غيب الله عنهم النبي موسى عليه السلام في مدين ثمان حجج وذلك: «إنَّ

اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»⁽¹⁾ وهذا من أسس عملية التغيير الاجتماعي، وعليه يجب علي المؤمنين أن لا يقنعوا بمرحلة معينة بل عليهم الاستمرار والمواصلة.

والفرج الإلهي تحقق لبني إسرائيل بعد انتظار طويل لمنقذهم نبي الله موسى عليه السلام كما نحن الآن ننتظر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، لذا دراسة هذه الآية المباركة بسبب التقارب بين المشروعين الاعتبار السنن الإلهية في البشرية حتما ستعطي لنا الكثير من الإشارات فيما يخص الظهور المهدي، خصوصا إذا تابعنا كل الآيات القرآنية المتصلة بهذا البحث منظوميا وليس موضوعيا فقط.

ص: 274

1- سورة الرعد، الآية 11.

في هذه الآية الكريمة: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»⁽¹⁾

هذه الإشارات القرآنية ركز عليها آل البيت عليهم السلام كثيرا وشددوا علي أن الظالم لولا أنه يجد من يعينه علي ظلمه ما استطاع أن يظلم أحدا، فلولا أعوان الظلمة ما سلب حق آل البيت عليهم السلام في أداء دورهم في نجاة البشرية.

والتشديد أيضا في القرآن الكريم في خطابه ضد الظالمين هو لخطورة ذلك الظلم وتأثيره السيء علي المجتمعات البشرية فتجد قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ»⁽²⁾.

وقوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»⁽³⁾.

وقوله تعالى: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»⁽⁴⁾.

ص: 275

1- سورة البقرة، الآية 49.

2- سورة إبراهيم، الآية 42.

3- سورة الأنعام، الآية 21.

4- سورة الأنعام، الآية 135.

وقوله تعالى: «وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» (1).

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ» (2).

ويحذر أيضا من الركون إلى الظلمة، لأن التعاون معهم والميل إليهم والرضا بهم يؤدي إلى تقوية شأنهم، وبالتالي زيادة مساحة الظلم والجور في المجتمع وتغييب العدل والعدالة لذلك توعد الله عز وجل من أعان ظالما علي ظلمه بالنار: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ» (3).

وأكد علي ذلك رسول الله صلي الله عليه وآله: «من أعان ظالما علي ظلمه جاء يوم القيامة وعلي جبهته مكتوب: آيس من رحمة الله» (4)، وقوله صلي الله عليه وآله: «من مشي مع ظالم فقد أجرم» (5) يقول تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ» (6).

ولو أن الظلمة لم يجدوا من يعينهم ويساعدهم علي ظلمهم ما استطاعوا أن يظلموا أحدا، لكنهم يجدون الكثير من الأعوان والأنصار ممن يساعدهم علي ممارسة الظلم ونشره في كل مكان لذلك هم يعدون من أعوان الظلمة وستصيبهم النار كما تصيب الظلمة أنفسهم.

ص: 276

1- سورة القصص، 37

2- سورة النساء، 168-169

3- سورة هود، 113

4- الريشهري، ميزان الحكمه، ج4، ص1779، ح11470

5- المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص377، ح31

6- سورة السجدة، 22

هذه المحاسبة هي تشخيص للداء والعلاج في هذا المشروع الإلهي المنجي للبشرية، وهذا النظام الموجود في التشخيص هو نفس المسؤولية الفردية والاجتماعية في هذا المشروع، وإشارة إلى عدم إمكانية التهاون مع هذه المفردة لخطورتها العظيمة في إهلاك الحرث والنسل: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعْيٍ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»⁽¹⁾.

وقوله تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»⁽²⁾.

ص: 277

1- سورة البقرة، 205

2- سورة محمد، 22

في سياق هذه الآية المباركة بيان للصراع بين مجتمعين ومسارين مختلفين، بين المجتمع المؤمن الموحد في قبال غير الموحد.

والقرآن الكريم عنون هذه التصادم بالحرب الدينية ولكنها في الحقيقة لا تعود إلي تعصب أفراد كما قد يصورها الطرح الغربي في توصيفه للحروب الدينية وأنها ناشئة من العصبية والشعارات كما يحكم عليها ضمير الإنسانية وعقله!.

الحقيقة أن الغرب منطلق المواجهة عندهم ديني أيضا وإن كان بشعارات مختلفة، وقد عرف عنهم الكيل بمكيالين فمن جانبهم هي في سياق حرية التعبير وإن أسأؤوا إلي مقدسات الآخرين، أما إذا وجهت لهم سهام النقد من قبل الشعوب المضطهدة عبروا عنها بالحرب الدينية، أو الحرب ضد الشرعية وما إلي ذلك من هذه الشعارات.

فهم يرفعون شعارات ليدينوا بها الآخرين وفي حقيقة الأمر لا يلتزمون بها إذا عادت الأمور ضدهم، ويمارسون ضد الآخر في حربهم الإعلامية كل ما يشير إلي واقع الحرب الدينية، وقد أصبح معروفا عنهم وبصورة واضحة حرب الرسوم المسيئة ضد النبي الأعظم صلي الله عليه وآله.

عموما القرآن الكريم قد لا يشير إلي أن هذه المواجهة دينية ولكنه أشار إلي العنصرية فيها: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ» (1).

يعني أن هناك نظام سياسي و اجتماعي قائم علي أساس الظلم بموازين تجعل من البشر طبقات يظلم بعضها بعضا، لذا يصح أن كل نظام سياسي لا يقوم علي أساس منظومة العدل الإلهي نظام فرعوني بحسب المنطق القرآني، فهو وإن كان يتحدث عن فرعون مصر بالخصوص لكنه يقصد عموم مفهوم النظم الفرعونية القائمة علي أساس الظلم والاضطهاد.

والأمر بعينه يجري علي اليهود فالقرآن الكريم لا يتحدث عنهم بما هم يهود وإنما بما يمثلون من النهج الحق في ذلك الزمان الراض للظلم والباحث عن الخلاص والنجاة من بطش فرعون.

فهو حديث عن نهجين احدهما يمثل إرادة السماء وباحث عن إقامة العدل الإلهي، وآخر يمارس الظلم والبطش بميزان عنصري قبيح.

ص: 279

1- سورة البقرة: الآية 49.

في هذا الصراع بيان واضح أنه لا يمكن أن يكون محورا النظام العدل الإلهي إلا المعصوم فالمجتمع لا يترك هكذا بدون تسديد، والحديث الشريف الوارد عن رسول الله صلي الله عليه وآله: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا

للعرض الأكبر»⁽¹⁾ هذه المحاسبة والموازنة هي قطعا بميزان المعصوم، فالنهج الذي يمثله يختلف عن منهج الطاغوت وهو معصوم في تمثيله وتطبيقه، فإذا أصبح المحور هو المعصوم أمكن الجمع بين مختلف زوايا المشروع لأنه هو القادر علي تشخيص التوازنات ورعاية المصلحة.

أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلي ذلك في إحدى خطبه حول ميزان الحق: «...والحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جري عليه، ولا يجري عليه إلا جري له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه، لقدرة علي عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه سبحانه جعل حقه علي العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة

ص: 280

الثواب تفضيلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيّد أهله..»(1)، فإن الكثير من الناس يدعي أنه لو حكم لعدل وعند التطبيق لا تجد أثراً لقوله.

وعليه يجب أن يكون من بيده القضاء والأداة معصوماً ليكون ميزاناً بالحق، ولا يكفي أن يكون موجوداً وهو مبعد عن إدارة الأمور كما جري في طول تاريخ المسلمين مع أهل البيت عليهم السلام.

فالجهد علي سبيل المثال في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ليس أكثر من أسلمة العقيدة، وأن حاول الغرب كعادته أن يوحى للآخرين أن الجهد عند المسلمين هو الإكراه علي العقيدة، مستغلين الممارسات الخاطئة للبعض ممن يدعي الإسلام من التكفيرين.

وهذا يؤكد بلا ادني شك علي أهمية وضرورة محورية المعصوم في نظام العدل الإلهي فهو المسجد حقيقة لقوله تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ^ط قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ»(2)، ولأن الجهد في حقيقته ليس أكثر من أسلمة العقيدة: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا»(3)، فهو إظهار للعدل بين بني البشر والخروج من دائرة الظلم وهو يختلف كلياً عن الإكراه في العقيدة.

فهذه الآية التي تتحدث عن المشروع الإلهي المنجي لم يعنون الظلم كشعار وإنما كنظام اجتماعي جائر يملك منهجاً قائمة علي الاضطهاد

ص: 281

1- ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج 11، ص 89

2- سورة البقرة، الآية 256.

3- سورة النساء، الآية 75.

والتمييز العنصري، وإلا فإن اليهود لو دانوا بدين فرعون لصاروا ينتمون المشروع الظالمين ولن يتعرضوا بعدها لظلم آل فرعون، ولصدق قول من يدعي أن الحرب ليست دينية لأنه - الدين - مشروع فردي، وهذا ليس بصحيح لأنه ليس من المعقول أن يكون هدف الإسلام في باب الجهاد وأبواب أخري البعد الفردي للإنسان وإن كانت المصلحة الفردية تتحقق بالتبع.

ص: 282

في سياق البحث عن المسؤوليات في المشروع الإلهي المنجني من خلال النظر إلي هذه الآية المباركة أن مجموع أطياف المؤمنين يشكلون كلا حسب مساره وقدراته جزءا من المشروع، ولا يمكن الاقتصار علي لون واحد من هذه الأطياف المؤمنة والمختلفة.

فلا- يمكن اعتبار أي طيف من أطياف الأمة خطرا علي المشروع الإلهي أو انه دخيل عليه وإن لم يكن له مدبر، لأن أي دور لا يمكن الاستهانة به ما دام له نسبة معتبرة في الموازين، وهذا لا يعني نفي السلبيات والأخطاء عنه لأن كل فئة هي منطوية علي بعض الإخفاقات والسلبيات بغض النظر عن مقدار السلب والإيجاب فيها، ولكن تبقى أي نسبة في أي طيف هي جزء من المشروع ولها جزء من الإنجاز لا يمكن التفريط به، وهذا ليس فقط علي صعيد المؤمنين بل هو علي عموم المسلمين.

إدارة هذه القواعد يحتاج إلي ناظم يلملم هذه الحلقات ويمنع التفريط بأي مقدار كان من هذه الجهود، وهذا الناظم أشارت له الزهراء سلام الله عليها في خطبتها بعد رحيل رسول الله صلي الله عليه وآله : «وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة» . .

إذن هناك بعدان مهمان في هذه المسألة:

الأول: عدم التفريط بجهد أي فئة من فئات هذا المجتمع.

والثاني: ضرورة وجود الرابط الذي يوصل جميع هذه الحلقات مع بعضها البعض ولديه أهمية مركزية في هذا المشروع الإلهي المنجني والمعصوم الحي الحاضر هو الرابط وهو مركز التدبير وهو المنجني في هذا المشروع الإلهي.

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن أمير المؤمنين عليه السلام - علي منبر الكوفة - قال: إن من ورائكم فتنة مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلا النومة، قيل يا أمير المؤمنين وما النومة؟ قال: الذي يعرف الناس ولا يعرفونه. واعلموا أن الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم علي أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة الله لساخت بأهلها، ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون، ثم تلا: «يَا حَسْرَةً عَلَي الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (1)(2).

فالإمام المعصوم الحجة هو الرابط الأساس في هذا المشروع، وهو الذي يحفظ الله سبحانه وتعالى به الأرض أما بقية حلقات المشروع من طبقات المجتمع فهي منتمية لهذا المشروع، وعدم التفريط بحلقة من الحلقات يعني أن كل ما موجود عند المؤمنين والمسلمين ليس هو النهاية، فهم لا يملكون كل تفاصيل المشروع بل لديهم بعض الأجزاء.

ص: 284

1- سورة يس، الآية 30.

2- النعماني، الغيبة، ص 141، ب1، ح 2.

هذه الآية الكريمة بين خارطة المسؤوليات لمشروع المنجي من آل البيت صلوات الله عليهم كسنة إلهية دائمة.

وهي بمثابة المفاد المحكم الذي يعطف عليه سائر أبواب الأدلة التي يمكن أن يترأى منها التضارب فيما بينها، فيتحتم بناء خارطة كاملة لا يمكن أن تكون لها نهاية مقدرة لأن المجتمع غير المعصوم في حالة اكتشاف مستمر لهذا المشروع.

ويمكن أيضا من خلال هذه الآية المحكمة معرفة أن التوازن المجموعي عند المؤمنين مهم للغاية، وأن الأداء الوظيفي من قبلهم يمكن أن يتم سد الحاجة به وإقامة المشروع، وقد جرب هذا الأمر في أكثر من بيئة وعلي أكثر من صعيد.

إضافة إلي أن التوازن المجموعي يقود إلي عدم التفريط بأي فرد من أفراد المجتمع باعتبار أن كلا له دور وموقع في المشروع المهدوي.

لكن هكذا مشاريع كبيرة تنفتح في مساحتها علي الدائرة الأوسع تحتاج إلي عملية توازن صعبة جدا، مثلا في قوله تعالى: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»(1)، عملية التوازن هي من تحفظ الكثير من المشاريع الدينية والمصالح الاجتماعية المختلفة، ففي سبيل المشروع المنجي وتقريب اجل الظهور يجب عدم التفريط بأي مجموعة ولو كان علي مستوي التوازنات، وهذه العملية صعبة بين صفوف المؤمنين انفسهم فالعجز واضح فينا في رسم هذه السياسة، ولكن نستطيع أن نتمثل البعض منها في موارد عديدة مثل السور المكية وحتى في بعض السور المدنية، ففي السور المكية الله سبحانه وتعالى يأمر النبي صلي الله عليه وآله أن يمهل الكافرين: «فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا»(2).

وهذه المهلة ليس لأن الكافر له حرمة عند الله بل القضاء والتقدير الإلهي أن يستثمر في صالح المشروع الإلهي، لأن المنظومة البشرية ليست علي وتيرة واحدة، والقواعد الفقهية الراسمة لهذا التوازن قطعاً لا تؤخذ من آية أو آيتين في القرآن الكريم لأنه مع آية إمهال للكافرين تجد آية أخرى تصرح بأمر آخر: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وُيَسَّرُ الْمَصِيرُ»(3).

وهذا الأمر أيضا موجود علي مستوي سيرة الأئمة عليهم السلام فأمر المؤمنين علي قاتل الخوارج ثم أوصي بعدم قتالهم من بعده: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدرکه»(4).

ص: 286

1- سورة الحج، الآية 40.

2- سورة الطارق، الآية 17.

3- سورة التحريم، الآية 9.

4- الصدوق، علل الشرايع، ص 0218

فإذا تبدل الموضوع اختلفت زاوية الرؤية في المبحث الواحد، والتوازن من الأمثلة المعقدة والصعبة جدا، لأن غير المسلمين ليسوا بمقياس واحد ومحاور الاستقطاب تختلف بالإضافة إلي اختلاف التوازنات، والمشروع الإلهي ذو مراحل ودرجات وجهات متعددة مع ملاحظة اختلاف الظروف واستمرارية المشروع في البناء والتمهيد.

ص: 287

الفصل الثاني: عملية التغيير الاجتماعي.. الآليات والنتائج

إشارة

ص: 289

الآية الكريمة في ذكرها لسنة الله تعالى في بني إسرائيل بتحقيق المشروع المنجي: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (1)، هناك آية أخرى تتحدث أيضا عن نجاتهم: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» (2)، فهل هذا تكرار في الحديث عن نجاتهم؟ أم انه إشارة إلي حدثين مختلفين؟

هو حديث عن وضعين مختلفين لأن أصل المشروع المنجي لم يتم عندما تم عبور البحر، فالنجاة من فرعون بعبور البحر هي نجاة لأنفسهم من القتل.

أما النجاة الحقيقية والتي هي هدف وأصل المشروع المنجي فهي تتم عندما يرتبط بنو إسرائيل عقائديا وولائيا بالمنجي وينقادون له، هذا الارتباط الولائي هو نجاة من الذوبان في الأنظمة الفرعونية الجائرة.

المؤمن عندما يرتبط بالمنجي في كل توجهاته وتطلعاته وكذلك في

ص: 291

1- سورة البقرة، الآية 49.

2- سورة البقرة، الآية 50.

برنامج العمل يكون قد نجى من السقوط في حلقات النظام الفرعوني، والفرقة الناجية هي من ترتبط منهجيا وسلوكيا بالمنجي وتنتظر الفرج فتصبح في أعظم وأعلي درجات العبادة.

فلسفة انتظار الفرج هي في برمجة المؤمن لولائه وانتمائه وجعل المنجي هو المحور في مواقفه، عندها ستتكرر كل معاول الظلم عند صبر الانتظار لتتعم بحقيقة النجاة.

أما النصر السياسي والعسكري ومتي يعلن فهذا يأتي بمرتبة بعد النجاة: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» (1).

نفس الانتماء والارتباط بالمنجي يحول المؤمن من طاقة مستهلكة مجنونة في مشروع الشر إلى طاقة إيجابية وحلقة من حلقات المشروع المنجي

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما يشير إلى أهمية الانتظار بعد الارتباط العقائدي بالمنجي، فقد روي السندي عن جده، أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول فيمن مات علي هذا الأمر، منتظرا له؟ قال: «هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه»، ثم سكت هنيهة، ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله صلي الله عليه وآله» (2).

وعن علاء بن سيابة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من مات منكم علي هذا الأمر منتظرا له كان من كان في فسطاط القائم عليه السلام» (3).

ص: 292

1- سورة البقرة، الآية 50.

2- المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 125.

3- المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 125.

من الواضح أن الانتظار هو مدرسة تصنع الأبطال المتميزين، والمنتظر يتروض في تلك المدرسة ويتربي فيها تربية كاملة تجعله يتحمل أعلى مراتب المسؤولية، وهذه التربية تمكنه من أن يتحلي بكل صفات المؤمن الصادق الذي لا تأخذه في الله لومة لائم

والارتباط هو الالتزام بالضوابط وفق نهج المنجي الإلهي في كل صغيرة وكبيرة.

وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل أنه قال: تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلي الله عليه وآله، والأئمة بعده . يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم منزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك زمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلي الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلي دين الله سرا وجهراً (1).

هذا هو الارتباط الذي يعتبره القرآن الكريم نجاة وخروج من دائرة الظلم والجور، وانتماء إلي نهج العدل الإلهي من خلال الارتباط بخليفة الله المصطفى من عنده جلت قدرته.

والإمام الصادق عليه السلام بين عظمة هذا الارتباط والانتظار بوصف عجيب يظهر فيه قيمة هذه العبادة العظيمة، فقد روي عمار الساباطي أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: العبادة مع الإمام من المستتر في السرفي

ص: 293

دولة الباطل أفضل أم العباد في ظهور الحق ودوليه مع الإمام الظاهر منكم؟

فقال: «يا عمار، الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك عبادتكم في السر مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل - لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة - ممن يعبد الله في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحق .

اعلموا أن من صلي منكم صلاة فريضة وحدانا مسير بها من عدوه في وقتها فأتتمها كتب الله عز وجل له بها خمسا وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلي منكم صلاة نافلة في وقتها فأتتمها كتب الله عز وجل له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنه كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله تعالي حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان الله بالتقية علي دينه وعلي إمامه. وعلي نفسه، وأمسك من لسانه أضعافا مضاعفة كثيرة، إن الله عز وجل كريم».

قال: فقلت: جعلت فداك قد رغبتني في العمل، وحثتني عليه، ولكنني أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالا من أصحاب الإمام من الظاهر في دولة الحق، ونحن علي دين واحد، وهو دين الله عز وجل؟!، فقال: «إنكم سبقتموهم إلي الدخولي في دين الله وإلي الصلاة والصوم والحج وإلي كل فقه وير، إلي عبادة الله سرا من عدوكم مع الإمام المستتر، مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحق، خائفون علي إمامكم وعلي أنفسكم من الملوك، تنظرون إلي حق

ص: 294

إمامكم وحقكم في أيدي الظلمة قد منعوكم ذلك، واضطروكم إلي جذب الدنيا وطلب المعاش مع الصبر علي دينكم وعبادتكم وطاعة ربكم والخوف من عدوكم، قبلك ضاعف الله أعمالكم، فهنئاً لكم هنئاً». قال: فقلت: جعلت فداك، فما تتمني إذا أن نكون من أصحاب القائم عجل الله تعالي فرجه شريف في ظهور الحق ونحن اليوم في إمامك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟!!

فقال: «سبحان الله أما تحبون أن يظهر الله عزوجل الحق والعدل في البلاد، ويحسن حال عامة الناس، ويجمع الله الكلمة، ويؤلف بين القلوب المختلفة، ولا يعصي الله في أرضه، ويقام حدود الله في خلقه، ويرد الحق إلي أهله، فيظهوره حتي لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق؟!»

أما والله يا عمار، لا- يموت منكم ميت علي الحال التي أنتم عليها إلا- كان أفضل عند الله عزوجل من كثير ممن شهد بدرا وأحدا فأبشروا(1).

وهذا يدل علي أن المسؤولية الحقيقية هي قبل الظهور، وان الارتباط بالمنجي قبل الظهور وانتظاره هي النجاة، وان البناء في السر لدولة القسط والعدل هو الدور الأعظم من البناء في عصر الظهور.

وما بينه القرآن الكريم من خلال تلك الآيتين هو أن النجاة الحقيقية حصلت بارتباطهم بالمنجي وهو النبي موسى عليه السلام وهذا الأمر حدث قبل أن يعبر بنو إسرائيل البحر، وعندما ارتبطوا بالمنجي تحصلوا ثمار هذا الارتباط.

ص: 295

شروط النجاة في المشروع الإلهي

في قوله تعالى: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ وَيُسَوِّغُونَ لَكُمْ بِأَسْمَاءِكُمْ وَلَقَدْ كُنْتُمْ مِنَ الضَّالِّينَ» (1) إشارة إلى أن السنة الإلهية في التغيير الاجتماعي والسياسي وإصلاح المجتمع هي فعل الله سبحانه وتعالى. والبشرية اليوم تعيش كل هذه الابتلاءات وتشير الأرقام إلى هول الجرائم المنظمة ضد الإنسانية من سفك للدماء وهتك للأعراض وغيرها من الجرائم، هذه الأرقام تخرج من منظمات تابعة للأمم المتحدة مع أنه يشرف علي تلك المنظمات نفس أولئك الذئاب والمافيات ولكن مع ذلك تظهر الكثير من إحصائيات الجرائم ضد البشرية.

هذه النجاة للبشرية - نجيناكم - كفعل من أفعال الله وضع لها الباري جلت قدرته قوانين و معادلات في كتابه الكريم منذ أكثر من 1400 عام ولكن البشرية لم تقم بشروط هذه القوانين ولو فعلت لحقق الله الوعد: «وَعَدَ اللَّهُ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِبُوا يَدَيْهِمْ وَأَنْ يَتَذَكَّرُوا أَلَمًا لَدُنَّ وَأَنْ يَنْصَرُوا يَنْصُرُوا وَلَئِنْ لَمْ يَنْصُرُوا يَنْصُرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّ مِنْكُمْ لَفِئَةٌ قَلِيلَةٌ» (2).

وعليه يكون التأخير في حصول الفرج هو بسبب أفعال الناس

ص: 296

1- سورة البقرة، الآية 49.

2- سورة الروم، الآية 6.

أنفسهم، فقد ورد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في رسالته الثانية إلي الشيخ المفيد (رض) ما نصه: «ولو أن أشياعنا - وفقهم الله الطاعته - علي اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا علي حق المعرفة وصدقها منهم بنا . فما يحسبنا عنهم إلا- ما يتصل بنا مما نكرهه ولا- نؤثره منهم . والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل...»(1). فتقصير المؤمنين وإخفاقهم في أداء مسؤولياتهم سبب رئيس في تأخير الفرج.

والقرآن الكريم ذكر قصة هارون في قوم موسى عليها السلام: «قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَّ عَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْجِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»(2).

فأغلب هذه الإخفاقات أسبابها الرئيسية أما أن الأمة كان ينقصها الحس والعقلية الأمنية، أو أنهم لم ينصروا إمامهم، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام من كلام طويل لسائل سأله: «..أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه...»(3).

وعليه فإن النجاة والتي هي فعل الله علي يد اوليائه لن تتم إلا بالتزام الناس بشروطها التي وضعها سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

ص: 297

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج53، ص177

2- سورة الأعراف، الآية 150.

3- النعماني، الغيبة، ص203، باب ما يلحق الشيعة من التمحيص والتفرق والتشتت عند الغيبة حتي لا يبقى علي حقيقة الأمر إلا الأقل الذي وصفه الأئمة عليهم السلام .

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»(1)، يعني لا- بد لهم أن يستعدوا لتكون لهم القابلية وإلا- بطلت حكمة الامتحان الإلهي في تكامل البشر وتطورهم.

وهذا يعني أن أسباب النجاة وظهور المنجي للبشرية يعود علي البشرية نفسها، وهذا منطوق أصيل في القرآن الكريم في الآية السالفة وفي آيات أخرى: «وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَي الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا»(2).

علي ضوء هذه الأوصالة القرآنية لهذا المفهوم يجب دراسة استراتيجية المشروع الإلهي المهدوي من السقيفة حتي اليوم، والمنظومة الإلهية من الإمام صلوات الله عليه ومن المؤمنين تقع علي عاتقهم مسؤولية معالجة هذا الإخفاق، يعني أن يتم التدرج في تربية الأمة لكي تصل إلي مرحلة الاستعداد والقابلية لتنفيذ وعد الله سبحانه، فالمشروع لم يقف أصلا بل انه قد خطط له لكي ينجز، فنجاة البشرية هي غاية وهدف كل ما في الأمر أن يراعي المؤمن المقدمات والمراحل التدريجية والطبيعية.

إذن استراتيجية المشروع الإلهي هي السير خطوة بعد خطوة، ولو كانت هناك أنظمة قوية ذات منعة قادرة علي توفير الحماية الأمنية للإمام عجل الله فرجه الشريف وتمنع عنه فانه بلا شك سيبدأ مسيرته في العلن، لكن إلي الآن لم تتوفر هذه الأرضية المناسبة .

هذا الطفل البشري يجب عليه أن يبلغ ويكون قادرا لأنه هو من سيمارس عملية التغيير لكي تكون هناك قوة ومنعة، فلا يظن أحد أنه لا مشروع في البين!، بل الخطي حثيثة والسعي نحو المسؤولية بحركة دؤوبة،

ص: 298

1- سورة الرعد، الآية 11.

2- سورة الجن، الآية 16.

لكنها بحاجة إلى عملية إصلاح ذاتي من قبل الفرد والجماعة لينعكس بالتالي أثره على معسكر الإيمان برمته.

وأعداء المشروع الإلهي يستهدفون أيضا في حربهم ضد المشروع المهدوي الجوانب غير المرئية عند المؤمنين ومحاولة سلبهم الاستقامة على المستوي الشخصي، فيتحولون من الإخلاص والطاعة للمشروع الإلهي إلى عصاة يندمجون في مشاريع الإلحاد والفساد المالي والإداري وكل العناوين الأخرى الفاسدة حتي يخرج من دائرة المسؤولية الإيمانية.

إضافة إلى زرع الفتن بين المؤمنين وإشغالهم بصراعات جانبية الإنهاك الأمة وإبعادها عن أداء دورها في المشروع الإلهي.

ص: 299

الآيات القرآنية في تذكير بني إسرائيل بأنواع النعم الإلهية عليهم وحثهم علي وجوب شكرها بالضرورة سيتم التعرف علي هذه النعم روحيا وقلبيا وبالتالي تعظيم الباري سبحانه وتعالى والتسليم له.

والله سبحانه وتعالى في خطابه لبني إسرائيل توصيات لترك أثرا روحيا ومعرفيا عليهم لأنه يخاطب قلوبهم وعقولهم من خلال تذكيرهم بتلك العم قال تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» (1)، ونفس هذه الآية ذكرت مرة أخرى في سورة البقرة الآية 122.

وقوله تعالى: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا^ط وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا^ط وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» (2).

وقوله تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى» (3).

ص: 300

1- سورة البقرة، الآية 47.

2- سورة الأعراف، 137.

3- سورة طه، الآية 80.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ»⁽¹⁾، وغيرها الكثير من الآيات التي تتحدث عن النعم الإلهية ومعرفة تلك النعم تستوجب الشكر الذي يستتبع الخضوع والطاعة.

وقد علم الله سبحانه وتعالى موسى قبل ذلك كيف يكون شكر النعم الإلهية في بعدها الاجتماعي والأخلاقي السياسي: «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ»⁽²⁾، وعليه فهذه التعم الإلهية علي بني إسرائيل يجب أن يكون ورائها التزام وطاعة، وهذه الطاعة تعني تحمل المسؤولية والالتزام بدور ما في المشروع الإلهي المنجي.

ص: 301

1- سورة الدخان، الآية 30.

2- سورة القصص، الآية 17.

تذكير الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل بنعمه عليهم مع بيان أهمية شكر المنعم: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»⁽¹⁾ يعني حتي نعمة الله سبحانه وتعالى في نجاة بني إسرائيل إن شكرت فهي قابلة للزيادة من قبل المولي ولكن هذا الشكر يحتاج إلي معرفة.

أعظم أنواع الشكر هو نفس معرفة النعمة في قبال أعظم أنواع الكفر هو كفر النعمة، فالمعرفة تسليم وإقرار والكفر جحود وإنكار.

ولأنه ليس هناك جبر فالإنسان يمكن له أن يستحب العمي علي الهدى، ويمكن له أن يحبذ الكفر والفسوق والعصيان! مع أن الله سبحانه وتعالى ذكر في محكم كتابه الكريم: «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ»⁽²⁾ ولأنه ليس هناك إلزام في الحب والبغض يسلك بعض الناس لعدم رشدهم طريق الغي والكفر وجحد النعم: «قَالَ

ص: 302

1- سورة إبراهيم، الآية 7.

2- سورة الحجرات، الآية 7.

يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ»(1)

قد يعتقد البعض أن المحبة والكره ليست اختيارية بل هي في جلبة الإنسان وهذا من مصادد الشيطان، نعم هذا الأمر له آليات وأسباب يمكن للإنسان أن يستهين بها فلا تتولد عنده محبة الخير والإيمان، علي سبيل المثال كثرة تذكر العم وتكرارها في ذهن الإنسان إلي أن يأس بها ويبدأ التفاعل القلبي والروحي معها فتفتح له الأبواب.

لذا ورد في الأثر استحباب زيارة المراقد المقدسة للأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام بكثرة، وتكرار هذه الزيارات مع التفكير، وتذكر دورهم في الهداية وفضلهم علي البشرية، وتجديد العهد بهم لتوطيد العلاقة معهم والحفاظ علي محبتهم بزيادة التواصل الروحي والمحبة القلبية.

فالذكر وتكراره باستمرار هو مدرسة ومنهج عظيم في الرياضة الروحية، وتربية الروح علي التذكر القلبي بالخصوص توجب الالتفات إلي التعم الإلهية العظيمة.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا»(2) إشارة إلي هذا المعني أن الجهل بالشيء يوجب الجفاء والابتعاد عنه وكرهه فيما بعد.

فالله سبحانه وتعالى أكد كثيرا علي التذكر في محكم كتابه الكريم

ص: 303

1- سورة هود، الآية 28.

2- الشيخ المفيد، الاختصاص، ص 245

لدوره الكبير في المعرفة وبالتالي الشكر والقرب ليستحق فيما بعد نصر الله الذي يعني الاقتراب كثيرا من إتمام المشروع الإلهي المنجي.

فقلب الإنسان الذي هو موطن التذكر لديه طاقة مستمرة من العمل لأنه لا يكل ولا يمل في ممارسة عملية التذكر في الخير والشر علي حد سواء، ولذا مهمة الإنسان هو استثماره في جانب الخير، وهذا هو الهدف الإلهي في تذكير بني إسرائيل بأنواع النعم الإلهية، وحتى عملية التغيير تحتاج كمقدمة أن يقر المؤمن بالحق ويدعن له وهذا الإقرار يتطلب بالدرجة الأولى معرفة الحق لكي يقر به ويستسلم له.

وعد المناجاة مع موسى عليه السلام ملحمة عظيمة وهي درس عملي لبني إسرائيل لكي لا يدب اليأس والتقنوط إلي قلوبهم: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِثْقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» (1)، فاللقاء كان مقررة له أن يكون ثلاثين ليلة، الله سبحانه وتعالى أتمها بعشر آخر فأصبحت أربعين ليلة وهذا يعني أن باب البداء الإلهي يبقى مفتوحا.

هذا المفهوم يرتبط مصيريا بالمشروع المنجي الإلهي، يعني أيها العبد المؤمن حتي لو قدرت المقادير بشيء ما تبقي أنت صاحب المسؤولية ما دمت ملحاحا في الدعاء والتضرع.

المشكلة في بني إسرائيل هنا بالذات أنهم لا يعتقدون بالبداء: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» (2)، أي إن الله سبحانه وتعالى قد فرغ من خلقه فلا تأثير لشيء بعدها!

هذه المفاهيم الخاطئة التي اجتاحت بني إسرائيل كانت سببا مباشرا

ص: 305

1- سورة الأعراف، الآية 142.

2- سورة المائدة، الآية 64.

في بلائهم ومحتنهم، فقد تركوا أعظم الأسلحة التي تمكنهم من منازل فرعون وكل طواغيت الأرض وهو الدعاء، وقد دعاهم الله سبحانه وتعالى إلى التوبة لكنهم أصروا: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» (1).

أثر الدعاء مهم في عودة العبد إلى ربه أولاً، ثم يكون بعدها في جنة من ظلم الطغاة، لكن بني إسرائيل بإصرارهم وتكبرهم أصبحوا منالاً سهلاً- الفرعون وأعدائه، مع أن الدعاء هو قوة للعبد في عبوديته وخضوعه لله سبحانه وتعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (2).

وحذرهم سبحانه وتعالى من الهوان، كما في قوله تعالى: «قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» (3).

ووبخهم علي فوت الفرص: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» (4).

وأرشدهم قبل فوات الأوان: «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ» (5).

هذه هي المشكلة الكبيرة في بني إسرائيل التكبر عن العبادة والخضوع

ص: 306

1- سورة البقرة، الآيتان 58-59.

2- سورة غافر، الآية 60.

3- سورة الفرقان، الآية 77.

4- سورة الأعراف، الآية 55.

5- سورة الأنعام، الآية 43.

الله سبحانه وتعالى بالدعاء، وقد وردت الآيات الكثيرة الدالة على أهميته في حياتهم وفي نجاح المشروع الإلهي المنجي.

لذلك أخذ الدعاء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعدا واسعا باعتبار أن الدعاء مخ العبادة، بل إن العبادة هي الدعاء لقوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (1)، وأهمية الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام أنهم جعلوه من القدر وبرتبة أعلي من غيره من التقديرات، فإن الأمر المقدر وقد أبرم إبراما لا يردده إلا الدعاء!

فقد روي عن النبي صلي الله عليه وآله أنه قال لأصحابه: «ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويذر أرزاقكم؟ قالوا: بلي يا رسول الله. قال صلي الله عليه وآله: تدعون ربكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء» (2) وورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لزيارة: «ألا أدلك على شيء لم يستثن فيه رسول صلي الله عليه وآله؟ قلت: بلي، قال: الدعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراما - وضم أصابعه» (3)

وعن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليهم السلام قال: «عليكم بالدعاء فإن الدعاء والطلب إلي الله عز وجل يرد البلاء، وقد قدر وقضي، فلم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله وسئل، صرف البلاء صرفا» (4).

ص: 307

1- سورة غافر، الآية 60.

2- الكليني، الكافي، ج 2، ص 468.

3- الكليني، الكافي، ج 2، ص 470.

4- المصدر نفسه.

وصف الله سبحانه وتعالى للذين لا يتوجهون إليه من خلال الدعاء بالاستكبار وهذا يعني أن الدعاء هو لسان الفقر، فمتي ما أدرك الإنسان فقره لله سبحانه وتعالى فقد نفى (الأنا) والتي لا تنتفي عند الإنسان إلا بأدراك الفقر لله سبحانه وتعالى، لأن كل إنسان توجد فيه الروح الفرعونية ومتي ما وجد الأجواء المناسبة قال (أنا ربكم الأعلي)، فالتضرع والدعاء هو إعلان الإنسان لفقره أمام الله جلت قدرته.

هذا المفهوم بأكمله هو في صميم المشروع الإلهي المنجي، وهو مكمل للأليات المهيئة لتقريب تحقيق الهدف في هذا المشروع الإلهي.

إذن بتمديد الوعد الإلهي من ثلاثين يوماً إلي تمام الأربعين فهذا يعني أن القدر الإلهي قابل للبداء. بل إن البداء في السنن الإلهية له دور مهم وحيوي في مشاريع الإصلاح، لأنه يعطي للإنسان الحيوية والنشاط المستمر ومنع الخمول أو التوقف، فيبقيه دائماً بين الخوف والرجاء فلا الأمل هنا يجعله يتقاعس ولا الخوف يصيبه باليأس والإحباط.

وهذه الفلسفة العظيمة للبداء تصب في صالح المشروع الإلهي المنجي من خلال حركة المؤمنين المستمرة والدائبة للوصول إلي تحقيق هذا المشروع علي أرض الواقع.

في هذه الآية المباركة تأكيد علي أن نجاة الإنسان بيده، وإن كان الفعل فعل الله سبحانه وتعالى ولكن سمة الله في خلقه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1)، يعني يجب أن تكون الخطوة الأولى من المؤمن في المساهمة بمشروع المنجي الإلهي، فإن الله سبحانه وتعالى جعل هذه النجاة هي الأصل والغلبة السياسية والأمنية فرع لهذه الأولى وتالية لها.

العمدة والأساس الآن في المسؤولية هو أن تتسع رقعة المشروع الإلهي جغرافيا مع استمرار التعايش مع الآخر، ولكن يجب بقاء الإصرار علي هذا النهج رغم الألم والمعاناة، فأهات بني إسرائيل لم تنتهي لكن حيرتهم انتهت بالنجاة الحقيقية من خلال الارتباط بالمشروع الإلهي المنجي وتمسكهم بنهج النبي موسى عليه السلام.

لذلك أراد فرعون قتل موسى عليه السلام لأنه رأى الصبر الذي أظهره وقاد إليه بني إسرائيل قد بدأت آثاره تظهر من خلال اتساع رقعة الموالين المؤمنين فأراد فرعون حينها التخلص منه، وهذا الأمر أيضا جري مع

ص: 309

النبي الأعظم صلي الله عليه وآله فبعد ثلاث عشر سنة من الدعوة إلى الله في مكة وصبر النبي بدأت آثاره بالظهور علي الساحة باتساع دائرة المؤمنين قررت قريش التخلص من النبي صلي الله عليه وآله بالتصفية الجسدية واضطر حينها إلى الهجرة من مكة.

وما يجري اليوم علي أتباع آل البيت عليهم السلام هو النهج الظالم نفسه، حرب معلنة ضدهم لأن صبرهم بدأت تظهر نتائجه برعاية المولي عجل الله فرجه الشريف.

ومن أشد صنوف هذه الحرب المعلنة ضد الإسلام ومشروعه الإلهي المنجي ومنع تمدده هو خلق النماذج المشوهة في الساحة الإسلامية من أجل ضرب المشروع إعلامياً ونفسياً؟.

لذلك فإن المطلوب من المرتبطين بهذا المشروع الإلهي من المؤمنين تقديم الصورة الحقيقية للمشروع الإلهي من خلال التعايش السلمي، وإظهار الوجه الجميل والجذاب لخلق كل الأصوات النشاز من أصحاب الشعارات الجوفاء، لتتنفس رئة البشرية روح هذا المنجي العظيم وتخليصها من آلام وآهات هذا البلاء الذي تعيشه، ولن يصل هذا الصوت إلي مسامع المتعطشين للخلاص من الظلم إلا بالصبر والهدوء والسكينة، وعدم الانجرار إلي ما يريده العدو بالتصادم والحروب.

الفصل الثالث: مقومات المشروع الإلهي في عملية التغيير

إشارة

ص: 311

تعدد الجبهات في المواجهة بين الكفر والإيمان يستدعي تعدد المسؤوليات عند المؤمنين، أهمها أن نجعل نصب أعيننا هم المشروع الإلهي المنجي فيكون خارطة لكل فرد منا أو جماعة، نستبدل هم الأناية والأسرة والعشيرة والحزب لنعيش هما أقدس وهو هم المشروع الإلهي المنجي.

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه بعض أصحابه، فقال له جعلت فداك إني والله أحبك وأحب من يحبك، يا سيدي ما أكثر شيعتكم، فقال له اذكرهم، فقال كثير، فقال تحصيهم؟!، فقال هم أكثر من ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، ولا يمدح بنا معلنا، ولا يخاصم بنا قاليا، ولا يجالس لنا عائبا، ولا يحدث لنا ثالبا، ولا يحب لنا مبغضا، ولا يبغض لنا محبا، فقلت فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنهم يتشيعون؟ فقال: فيهم التمييز وفيهم التمهيص وفيهم التبديل يأتي عليهم سنون تفتنيهم، وسيف يقتلهم، واختلاف يبدهم، إنما شيعتنا من لا يهرير الكلب ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل

الناس بكفه وإن مات جوعاً، قلت جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة؟....»(1)

أيضاً من الأمور المهمة والخطيرة في استراتيجية المشروع المنجي هو حفظ الأماكن المقدسة تمهيداً لإكمال الوعد الإلهي، والقرآن الكريم ذكر لنا قصة قوم موسى لما رفضوا الدخول إلى الأرض المقدسة خوفاً من العمالقة فعاقبهم الله سبحانه وتعالى لتقاعسهم وتحاذلهم: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَيَّ ادْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ»(2).

عدم حفظ الأماكن المقدسة من قبل الأمة يعني أن هذه الأمة ضعيفة وغير قادرة على حفظ مسؤوليتها ودورها في حفظ المشروع الإلهي، لذلك كان العقاب لبني إسرائيل أن ضربهم الله سبحانه وتعالى بالتيه الأربعين عاماً فقدوا خلالها نبي الله موسى وخليفته هارون عليها السلام: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَلَسْ عَلَيَّ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»(3).

عدم قيام الأمة بمسؤولياتها في حفظ المقدسات سيحلب عليها

ص: 314

-
- 1- النعماني، الغيبة، ص 203، باب ما يلحق الشيعة من التمحيص والتفرق والتشتت عند الغيبة حتى لا يبقى علي حقيقة الأمر إلا الأقل الذي وصفه الأئمة عليهم السلام .
 - 2- سورة المائدة، الآيات 21-22.
 - 3- سورة المائدة، الآيات 24-26.

الدمار، وستدفع لسنوات طويلة ثمننا باهظاً، وهذا بالفعل ما حل ببني إسرائيل بعد عصيانهم نبي الله موسى عليه السلام، والأمر ينطبق علي أمم أخرى لم تدافع عن مقدساتها فابتليت بالذل والهوان ومصادرة لقرارها ووجودها طيلة عقود من الزمن، كما حدث في هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام ولم تتحرك الأمة حينها فكان أن أعيدت عليهم الكرة مرة أخرى وسلب من أيديهم بيت المقدس وبقية المقدسات.

ص: 315

المطلوب من الأمة أن تكون عالية الهمة في تفاعلها مع المشروع المنجي، والقرآن الكريم أيضا يذكر لنا قصة أخري لبني إسرائيل وهي قصة طالوت ووصول بني إسرائيل إلي مرحلة الندم علي خذلانهم لنبيهم ومن ثم إبتلائهم بذل التيه وهوانه:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»(1).

هذه الرغبة الجامحة لبني إسرائيل في القتال بعد أن فقدوا كل شيء تقريبا بسبب ضعفهم وخوائهم، ولأن أكثرهم لا يملك الهمة الكافية

ص: 316

للدفاع عن المشروع الإلهي المنجي فلم يغمأ أغلبهم بدوره المطلوب في المسؤولية لأنهم لم ينتصروا علي أنفسهم، ولم يصلحوا ذاتهم ليكونوا أنصارا للمشروع الإلهي.

وقد اختبرهم طالوت قبل الحرب وكعادتهم فشل أكثرهم في هذا الاختبار أيضا وهم الذين طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله! «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا مَنَّ فِتْنَةً قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» (1).

من الذي صبر في تلك المهمة؟ الفئة القليلة التي انتصرت علي نفسها مسبقا فكانت عوننا فيما بعد في المشروع الإلهي المنجي، داود عليه السلام لم يكن نبيا في ذلك الوقت، وهو حتي لا يملك سلاحا ولا جوادا يمتطيه وكان مزهودا فيه لا يعرفه الكثير! لكن همته تزيل الجبال وهنا تكمن فاعلية المؤمن في نصرته للمشروع الإلهي، صمد هو والثلة القليلة من المؤمنين ورمي جالوت بحجر في تلك المعركة فقتله، وكتب الله الفتح علي يديه بعد عشرات السنين من الخوف والذل والهوان الذي عاشه بنو إسرائيل: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (2).

ص: 317

1- سورة البقرة، الآية 249.

2- سورة البقرة، الآية 251.

بهذه الهمة الكبيرة والتوكل المطلق علي الله سبحانه وتعالى استطاع النبي داود عليه السلام أن يقدم دفعا معنويا كبيرا لأمتة، صحيح أن النصر من عند الله: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» (1)، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين إرادة صادقة مدبرة وناصحة لكي يمن علي المؤمنين بنصره «أشهد أنك بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود...» يعني أن يصدق في نصيحتة للمشروع الإلهي لا أن يتحين الأعذار.

ص: 318

1- سورة آل عمران، الآية 126.

هناك نموذج عظيم في التاريخ لرجل بقي وحيدا بعد حرب نفسية مخادعة سحبت قاعدته من تحت يده، فكان بسبب بصيرته أن أصبح نموذجا يحتذى وعبرة ماثلة للأجيال.

صحيح أنه بقي يحارب وحيدا لكنه كان يملك نفسا مطمئنة واثقة بصيرة وكأن قاعدته لم تخذله، بقي يقاتل بنشاط وحيوية وما تغلبوا عليه إلا بخديعة أخرى في ساحة المعركة.

مسلم بن عقيل هذه النفس المسؤولة والتي لم يدب فيها الهوان ولم يصل إليها الخضوع والاستسلام، وتمسك بمسؤوليته في أداء الدور في المشروع الإلهي المنجي.

مع انه قد ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام بشره بالشهادة وبسرعة قدومه عليهم، ولكنه مع ذلك لم يستسلم ولم يتنازل عن دوره مع علمه بالقضاء المبرم، وهذا يعني أن هناك معني وتفسيرا للشهادة عند مسلم بن عقيل يختلف عما هو مألوف عند غيره، وهو الذي ورث تلك المفاهيم السامية من عمه أمير المؤمنين عليه السلام مع علمه بشهادته لم يتنازل عن دوره ولم يفرط بطاقته.

حفاظ مسلم بن عقيل علي نفسه من الاضطراب، أو أن يصيب

الضعف أعماق روحه هو صورة من صور العزيمة الباطنية الصلبة والتي يجب توفرها عند أصحاب المشاريع الكبيرة، أو الذين يرغبون في أن يكون لهم دور في التمهيد للمشروع الإلهي المنجي

هذه المسؤولية قوامها الأول الثبات النفسي في المحن والشدائد، أراد القرآن الكريم أن يركزها ويجذرهما في نفوس المؤمنين: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* إِنْ يَمَسُّكُمْ فَزَعٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزَعٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ دُوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» (1).

مما لا ريب فيه أن الوهن والحزن أمراض نفسية تؤدي إلى الفشل في أداء المسؤولية، ولذلك يسعى الباري سبحانه وتعالى إلى صناعة رجال المشروع الإلهي المنجي نفسيا وروحيا ليكونوا مؤمنين.

بل أكثر من هذا تشير الآية الأخرى أن من ينجح في هذا المضمار سيكون شاهدا وشهيدا عند الله «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» (2).

ص: 320

1- سورة آل عمران، الآيتان 139-140.

2- سورة آل عمران، الآية 140.

المؤمن عليه أن يعي مسؤوليته وأن يؤمن بأنه لم يبلغ الغاية بعد وإن كان مؤمناً تقياً، وهذا الوعي ليس منهجاً أخلاقياً فردياً فقط بل هو رؤية واسعة لا يتم التفريط فيها بأي جهد على مستوى الدائرة الإنسانية الواسعة، أو الدائرة الإسلامية الوسيطة، ولا يأخذه الغرور والعجب بنفسه لأن هذه كلها أمراض تعيق الإنسان عن التكامل في أداء المسؤولية وتطوير الأداء.

بعض الناس مع استمرار الحركة عنده في أداء المسؤولية لكن عجلة التطور متوقفة لديه، فهو لا يتنامي في حركته مع أن المطلوب في المشروع الإلهي هو دوام التطور في المسير، وليس المسير فقط.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من استوي يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يومه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلي النقصان أقرب، ومن كان إلي النقصان أقرب فالموت خير له من الحياة»⁽¹⁾.

غرور الإنسان وعجبه بنفسه واعتقاده بأنه قد أدى وظيفته يوقف بلا شك معدل التنامي في تحمله للمسؤولية ووعيه لها، وبالتالي لن يكون مساهمة فعالاً في هذا المشروع الإلهي المنجي.

ص: 321

بعض أصحاب الأئمة في وعيهم ونفوذ بصيرتهم أصبحوا في مصاف العظماء عبر التاريخ في أداء مسؤولياتهم، فكانوا علي درجة عالية من الرقي في الإسهام بأدوار خطيرة كلا حسب قدراته التي وجدت فيه.

صحيح أنهم كانوا خير عون ولكن الأعظم أنهم قدموا ما يميز بعضهم عن بعض، وكل هذه الأمور تدل علي أن الأدوار حسب المميزات الخاصة والإمكانات الشخصية هي التي تلعب دورا حاسما في مجال الإبداع في القيام بالمسؤولية وتحمل الدور في المشروع الإلهي المنجي.

فيجب علي المؤمن في طريق تكامله وتهذيبه لنفسه من وضع المثال الصحيح أمامه في كل مفصل من مفاصل الحياة ويبقى المثال الأكمل والأتم هو المعصوم عليه السلام.

باب التكامل مفتوح وفيه من السعة والتعدد ما يغني المؤمن في حركته ووعيه وبصيرته، وهذا ليس بالضرورة لأجل بناء الفرد فقط بل الأجل المساهمة في بناء المشروع الإلهي.

أما الحقيقة فتبقي درجات كلما وصل الإنسان إلي مرتبة منها بقي في مطاويها درجات لم يصل إليها بعد، ولذا فما يمليه العقل أن لا يغتر الإنسان بما وصل إليه، والمنهج المعرفي في رسم خريطة المسؤولية في المشروع المنجي يدعم فكرة عدم إنكار المراتب أو الحقائق التي لم يصل إليها الإنسان بعد، لأن المفاهيم مراتب ودرجات: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ط فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ»(1).

ص: 322

فإذا أراد الإنسان أن يفهم الحقيقة، ويعي خريطة المسؤولية فليس عليه الاكتفاء بفهمه السابق، بل عليه أن يستمر في نموه المعرفي وينطلق منه في تحصيل أعلي درجات الوعي والبصيرة في المشروع الإلهي

المنجي

ص: 323

المنجي الإلهي كما هو في بني إسرائيل هو أيضا في هذه الأمة، وشرائط ظهور المنجي والمسؤولية وتحمل القيام بها ترسم خارطة طريق للظهور، لذا في هذه الآية وغيرها تأكيد علي المسؤولية الفردية والجماعية وأن الحساب يشمل أي فرد في المجتمع مهما كان دوره ووضعه الاجتماعي والقرآن الكريم يشير إلي هذا الأمر بوضوح: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»⁽¹⁾ حيث جعل النجاة من آل فرعون وليس من فرعون، لأن فرعون وحده لا يصنع شيئا فالوضع هو حرب مع نظام وليس مع فرد

وهنا يتضح أنه باتساع دائرة القاعدة الناصرة للمنجي، والمهينة الاستقباله والدفاع عن مشروعه، تبدأ عملية الانهزام في القاعدة الفرعونية متي ما تحملت الأمة المسؤولية، فالتعبير ب (يسومونكم سوء العذاب..) كأن ظلم آل فرعون لبني إسرائيل أصبح علامة لازمة لهم، وهذا كله بسبب عدم قيامهم بالمسؤولية والتي هي نة الله في البشرية للنجاة من الظلم والاضطهاد.

ص: 324

ما جري في بني إسرائيل نفسه يجري الآن في هذه الأمة بسبب عدم النهوض بالمسؤولية لتمتد مساحة المظلومية من السقيفة إلي الغيبة، والنصوص توضح لنا سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه عند تقاعس الأمة عن قيامها بمسؤولياتها سيأتي من يسومها سوء العذاب، ويقدر ما تتسع دائرة القائمين بالمسؤولية والجادين في السعي لإنجاح المشروع الإلهي المنجني يقترب موعد الظهور، وهذا مما لا بد منه لأن سنة الله في خلقه هي: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1).

إذن القراءة الصحيحة للمشروع من خلال هذه الآية والآيات الأخرى أن الظلم والاضطهاد هو وضع وهيئة لا يريدتها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، ولكن في نفس الوقت علي المؤمنين أن يقوموا بواجباتهم ويتحملوا أعباء ما تخاذلت عنه الأمة، وهذا الرعيال الرائد يجب أن تتوفر فيه الكفاءة بدرجة معينة لينهضوا بالمسؤولية ويكتب الخلاص للأمة علي أيديهم.

ص: 325

1- سورة الرعد، الآية 11.

الفصل الرابع: المشروع المنجي وضوابط العمل بين الثقة والعلن

إشارة

ص: 327

قد يشكل البعض علي الحراك السياسي في زمن الغيبة ببعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بلزوم عدم التحرك أو القيام بنشاط سياسي أو عسكري.

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما خرج ولا يخرج ما أهل البيت إلي قيام قائمنا أحد ليدفع ظلما أو ينعش حقا إلا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروها وشيئتنا»⁽¹⁾، وهناك بعض الروايات الأخرى الدالة علي المعني نفسه، وهو النهي عن النشاط العلني علي الأقل في بعده السياسي والعسكري.

منها ما ورد في رواية سدير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إلزم بيتك، وكن حلما من أحلاسك، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفيناني قد خرج فارحل إلينا ولو علي رجلك»⁽²⁾.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل»⁽³⁾.

ص: 329

1- السيد محمد باقر الداماد، شرح الصحيفة السجادية، ص 69.

2- العاملي، وسائل الشيعة، ج 36، ب 3 من أبواب جهاد العدو، ح 3.

3- الكليني، الكافي، ج 8، ص 295

وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الزم الأرض ولا- تحرك يدا ولا- رجلا- حتي تري علامات أذكركها لك وما أراك تدرك...» الحديث(1).

وأبضا يمكن الوقوف علي بعض الروايات الأخرى كوجوب التقية وما شابه، فكيف تنسجم هذه الأحاديث مع الأصل القرآني في المشروع الإلهي المنجي، وكيف يتم التوفيق بينهما؟.

المراد الجددي والأصلي من هذه الروايات هي عدة معاني وزوايا، وحقيقة مراد هذه الروايات هي تأييد ما مر بنا: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (2)، وهذه الأحاديث الواردة لا- تعارض ما ورد في قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (3) لأن الآية المباركة ليست مقيدة بزمان ولا بمكان، وبالنظر لسنة الله في خلقه في عملية التغيير الحضاري تشمل الأمة آية النجاة لأن هذا الفعل الإلهي يأتي ضمن سنن.

ولأنه كما تكونوا يولي عليكم، وكذلك للحديث الوارد عنهم صلوات الله وسلامه عليهم: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» (4)، وكذلك تصريح الأئمة بأنهم لم ينهضوا بالأمر لعدم وجود الناصر! هذا يعني أن الوضع هو وضع تقية بسبب تقصير البيئة المحيطة بهم سلام الله عليهم في

ص: 330

1- الطوسي، الغيبة، ص 441-442

2- سورة الرعد، الآية 11.

3- سورة الأنفال، الآية 60.

4- الكليني، الكافي، ج 5، ص 56، ح 3.

القيام بمسؤولياتهم لا أن هذا هو الوضع الذي يريده الأئمة سلام الله عليهم.

وأمر المؤمنين عليه السلام ذكر في أحد خطبه: «أما والذي قلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله علي العلماء ألا يقاروا علي كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقي جبلها علي غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي من عفتة عنز!» وهذا يدل علي أن الأمر هو السعي نحو تحقيق المشروع الإلهي المنجي، ولو تتبعنا الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في الطرف المقابل لهذا المفهوم الذي توحيه بعض الأحاديث الواردة عنهم لوجدنا الكثير مما يحث علي العمل والسعي نحو إصلاح الذات والمجتمع وصناعته من أجل تربيته للخلاص والنجاة.

ص: 331

هذا الخلاف منشأه اختلاف الفهم لمضمون كلا المجموعتين من الروايات، ولحل هذا التدافع ينبغي الإشارة إلي عدة أمور:

الأمر الأول : الإعلان يضعف المشروع

إن البرنامج السياسي والعسكري المعلن هو أضعف البرامج - والبرنامج السياسي يختلف عن المشروع السياسي - فمتي ما رفعت السرية عن مشروعك فقد أفشلته وحطمته، لأن طبيعة المشاريع الأمنية والعسكرية وحتى السياسية لا يظهر منها إلا بمقدار ما يوجب الإشارة وفي بعض الأحيان تحتاج إلي خفاء تام.

وهنا مكن الإشارة في الحديث الوارد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلي قيام قائمنا أحد ليدفع ظلما أو ينعش حقا إلا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهننا وشيعتنا»⁽¹⁾، لأنك عندما تعلن برنامج معارض لحاكم جبار عسوف يتحين الفرص، فهذا الإعلان من أكثر الأسباب شيوعا لفشل الثورات عبر التاريخ.

بهذا المعني فهم الأحاديث الواردة في هذا السياق وليس بمعني

ص: 332

1- السيد محمد باقر الداماد، شرح الصحيفة السجادية، ص 69.

منع العمل الاجتماعي والسياسي، بل إن وثائق التاريخ أظهرت لنا كيف أن الأئمة عليهم السلام كانوا يمارسون تدبيراً خفياً لنشر الإسلام الصحيح بطرق هادئة جداً، وكانوا يرشدون بقية أبنائهم إلى طرق ذكية في هذه الممارسة خصوصاً في أفريقيا والمغرب العربي في ذلك الوقت حتى ظهرت آثارهم جلية واضحة بعد سنين طويلة، وحتى في شرق آسيا مارسوا هذا الدور ودخل الإسلام إلى كثير من تلك الدول بهذه الطريقة الهادئة.

والخلاصة من مجموع الطائفتين من الروايات هو التنبيه لضرورة عدم الاستعجال من قبل المصلحين، بل الأمر يحتاج إلى تنظيم دقيق وبرمجة للطاقات، وإن كان السير بطيئاً ولكنه هو الأفضل والأصح في هكذا مشاريع، لأن كشف المشروع قبل استحكام الأمر يعني توجه أنظار الظالمين إليه وبالتالي إنهاءه بضربة موجعة تعيده إلى الخلف لسنوات.

الأمر الثاني: المحور هو الله وليس الأنا

الأنانية والذاتية وجعل النفس هي المحور سبب الفشل للكثير من العاملين في تلك المشاريع وإن كانوا متدينين، في حين أن محور المعصوم الذي يدور حوله هو الله سبحانه وتعالى: «مَ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصَّ طَافِينَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (1). وهذا ليس فقط جانب أخلاقي للعاملين في المشروع الإلهي المنجي، بل هو تخطيط استراتيجي وهو من الأسباب المباشرة لقوة المؤمن وبالتالي قوة الجماعة الفاعلة والمؤمنة.

كثير من المصلحين العاملين في سبيل الله وخدمة مجتمعاتهم يتناسون

ص: 333

فيما بعد محورية المشروع، وينسون أنه ينسب إلي أهل البيت عليهم السلام وأن المنجي ينتظر سعيهم، ولكن حب النفس والأنا لدي هذا العامل تصبح فيما بعد هي المحور ويتحول إلي طاغوت متكبر.

انقلاب وتبدل المشاريع الدينية إلي مشاريع شخصية مشكلة كبيرة وهو خلاف التخطيط الاستراتيجي الناجح والسليم، وهذا ما يشير ويرمز إليه الأئمة سلام الله عليهم في تلك الأحاديث الآنفة الذكر، وليس هو تجميد للمشروع الإلهي أو نهى عنه، وإنما هو نهى عن الإخفاق والفشل في المشروع بنسيان محورية الله سبحانه وتعالى فيه وجعل الأنا هي المحور.

الأمر الثالث: معني التقنية في فلسفة التشريع

الجمع بين مجموع الآيات والروايات في الجانبين يتضح من خلال تبيان برنامج التقيية ومعرفة تعدد المعاني فيها، فالتقية مرة تأتي بمعني المداراة وهذا وضع حكم أولي: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» (1)، وقوله تعالى: «قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ» (2)، وقد ورد عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنه قال: «مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش» (3)، وعنه صلي الله عليه وآله: «مداراة الناس صدقة» (4)، وأيضا ورد عنه صلي الله عليه وآله أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق» (5).

ص: 334

1- سورة فصلت، الآية 34.

2- سورة البقرة، الآية 263.

3- المجلسي، روضة المتقين، ص 112.

4- الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 380.

5- ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص 42.

وعن الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره، في قوله تعالى: «وقولوا تماس با»⁽¹⁾ قال الصادق عليه السلام: «قولوا للناس كلهم حسنا مؤمنهم ومخالفهم أما المؤمنون فييسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلي الإيمان»⁽²⁾.

أيضا من معاني التقية هو الخفاء والسرية وهو أيضا حكم أولي.

كذلك من معاني التقية المشهورة هو الإتيان بالعمل ناقصا أو مقلوبا سواء كان هذا العمل عبادي أو سياسي، مثل الوضوء بشكل غير صحيح وإن كان هذا العمل ناقصا لكنه يجزي من باب الاضطرار، فالعمل السياسي في ظل أنظمة الجور عمل ناقص بالاضطرار لكنه مجزي.

والمشكلة في فهم التقية بالمعنى المشهور والمعروف، وكلامنا ليس في التقية بمعني الحكم الأولي فهذا المعني راد له الاستمرار دائما، إنما الكلام هو في الحكم الثانوي وهي التقية الناقصة بأن تأتي بالعمل ناقصا أو ممسوخا للاضطرار.

الشارع في بعض الأحكام لا يتعرض إلي وجود الموضوع أو نفيه فإن وجد الموضوع وجد الحكم، وإن لم يوجد فلا وجود للحكم.

وبعضها يوجد الحكم لكنه يسعى لنفي موضوعه ولا يريد له أن يوجد، مثل الحدود وفلسفة تشريعها للزاني والزانية والتهديد بالجلد والرجم من أجل منع الزنا مسبقا.

وبعضها هو يسعى لإيجاد موضوعها وإبقائه أيضا، مثل استحباب

ص: 335

1- سورة البقرة، الآية 83.

2- المجلسي، بحار الأنوار، ج68، ص309.

الصدقة وكثير من المندوبات الشارع هو الذي يحث الناس علي إيجاد موضوعها وإن أوجده استحب فيه دفع الصدقة مثلا، إذن الأحكام الفقهية مختلفة باختلاف موضوعها وهذا مقرر في علم الفقه.

وفي علم الأصول التقية أن تأتي بالحكم ناقصا أو ممسوخا فهو حكم ثانوي، يعني لا لأجل إبقاء موضوعها بل الصحيح هو محاولة إزالة الموضوع والغائه، لكن الخطأ الكبير الذي وقع فيه البعض وشاع بين المؤمنين لقرون عديدة هو الاجتزاء بالعمل الناقص غير التام الاضطراري، مع أن الشارع ليس مع إيجاد موضوعها فضلا عن أن يكون لأجل بقاءه لأنه من باب الاضطرار، بل الحقيقة أن أدلة التقية في هذا الباب لأجل نفي موضوعها وإن وجد فاسعي أيها المؤمن لأن يرتفع ذلك الموضوع.

والكلام لم يكن علي صعيد الوظيفة الفردية، أو علي صعيد الوظيفة الاجتماعية الكفائية لأن التقية عبارة عن الإتيان بالملاك ناقصا سواء علي صعيد العبادة والوظيفة الفردية، أو علي صعيد الوظائف السياسية، والإسلام بلا شك له وظائف كلها في الأصل علي يد المعصوم، لكن حيلولة البشر عن قيام المعصوم بهذه الوظائف هي حالة استثنائية أو هي حالة ثانوية - مرضية - وليست أولية.

إذن أصبح واضحا ضرورة السعي نحو تبديل هذا الوضع الفاسد لا إبقائه.

في زيارة الغدير الصحيحة السند والمروية عن الإمام الهادي عليه السلام يصف جده أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الزيارة أنه لم يمارس التقية للاضطرار: «وأشهد أنك ما اتقيت ضارعا، ولا أمسكت عن حقلك جازعا،

ولا أحجمت عن مجاهدة غاصبيك ناكلا، ولا أظهرت الرضا بخلاف ما يرضي الله مدهنا، ولا هنت إما أصابك في سبيل الله، ولا ضعفت ولا- استكنت عن طلب حقك مراقبا، معاذ الله أن تكون كذلك بل إذ ظلمت احتسبت ربك، ووضت إليه أمرك، وذكرتهم ما اذكروا ووعظتهم فما اتعظوا، وخوفتهم الله فما تخوفوا»(1).

فالإمام الهادي عليه السلام يهده أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام عن ممارسة التقية كبقية المكلفين مضطرا، لأن الاضطرار هو عدم قدرة المكلف بسبب العجز، ولكن هذه ليست حالة أولية فيجب ان تبدل، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يمارسها لعجز فيه بل هو لعجز في الأمة: «معاذ الله أن تكون كذلك بل إذ ظلمت احتسبت ربك، وفوضت إليه أمرك، وذكرتهم فما اذكروا ووعظتهم فما اتعظوا، وخوفتهم الله ما تخوفوا» هذا المقطع يبين أن ضوابط تشريع التقية ليست لتكريس وترسيخ الضعف والوهن، ولا هي دعم القوة العدو أو تجذيرها.

فالتقية ليست استكانة أو مدهانة لأن هذا الأمر لا يرضي عنه الأئمة عليهم السلام لأنفسهم أو لشيعتهم، ومن الخطأ هنا أن نقول أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جليس البيت بعد أحداث السقيفة لربع قرن بل كان مستمرا في نشاطه وحيويته.

إذن ليس من المعقول أن تشرع التقية لتقلنا من ضعف إلي ضعف! والحكم الثانوي لم يشرع من أجل أن يبقى، بل الحكم الأولي هو الذي شرع للبقاء.

ص: 337

لابد من إشارة معينة كمثل قبل بيان هذا الوجه وهي ان هناك روايات تنهي المؤمنين عن الجدال في علم الكلام، وروايات أخرى تحثهم علي الخوض فيه وانه نصرة للحق. فأى الطريقتين هو الأحق أن يتبع؟

ما ورد في النهي عن الخوض في الكلام رواية أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لا يخاصم إلا رجل ليس له ورع أو رجل شاك»⁽¹⁾، وأيضا قوله عليه السلام: «يهلك أصحاب الكلام، وينجو المسلمون، إن المسلمين هم النجباء»⁽²⁾.

ويبدو أن النهي كان موجها لطائفة خاصة حرصا عليهم، وخشية انحرافهم، وهذا لا يعني حرمة علم الكلام.

فقد روي عن الصادق عليه السلام «أنه نهى رجلا عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك، نهيت فلانا عن الكلام وأمرت هذا به؟ فقال: هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه»⁽³⁾.

وأیضا عن یونس بن یعقوب قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «جعل فداك؛ إني سمعتك تنهي عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال أبو عبد الله عام: إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلي ما يريدون»⁽⁴⁾

ص: 338

1- الصدوق، التوحيد، ص 458، ح 23

2- المصدر نفسه، ح 22

3- المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص 71.

4- الكليني، الكافي، ج 1، ص 171.

وفي رواية أخرى.. ثم دعا حمزان بن أعين ومحمد بن الطيار، وهشام بن سالم، وقيس الماصر، فتكلموا بحضرته، وتكلم هشام بعدهم. فأثني عليه ومدحه وقال له: مثلك من يكلم الناس»(1).

وهذه الروايات لا- تعني ان غير القادر يبقي علي وضعه، بل عليه أن يبني نفسه وينمي قدراته لكي يقوم بما يمليه عليه الواجب من نصره الحق والدفاع عن نهجه القويم.

ومن مجموع الطائفتين من الروايات في علم الكلام يستفاد منه الدعوة إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وليس إغلاق باب الخوض في علم الكلام.

وفي القرآن الكريم أيضا ورد هذا الأمر ففي قوله تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»(2)، بينما تجد في آية أخرى قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ لَأُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»(3)، فمن جهة لزوم البيان ومن جهة أخرى حرمة إذاعة الأسرار، وهنا أيضا لا يوجد أي تضارب وهناك عدة وجوه للجمع بينهما وكلها ليست علي نحو البديل

الأمر نفسه في مفهوم التقية إذ إن طائفة الروايات الواردة في التقية

ص: 339

1- المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص70.

2- سورة النساء، الآية 83.

3- سورة البقرة، الآية 159.

هي بسبب تقصير المؤمنين وعدم قيامهم بالمسؤولية المطلوبة تجاه المشروع الإلهي المنجي، وبقاء أدلة هذه الروايات هو بسبب التقصير
لا أن وضع تلك الروايات هو الأمر الطبيعي لهذه المسألة.

والجمع بين الروايات هو بقاء الطائفة الثانية علي وضعها الطبيعي في أهمية القيام بالمسؤولية ونصرة المنهج الحق، وفي الوقت نفسه محاولة
تغيير موضوع الطائفة الأولى من الروايات.

ولو قرأنا التاريخ لرأينا في مسيرة أهل البيت عليهم السلام طوال هذه القرون بلا استثناء قيامهم بمسؤولياتهم في تحقيق المشروع المنجي،
والدليل هو الانتشار الحاصل لكثير من تلك المفاهيم السياسية من عصر السقيفة إلي يومنا هذا، من خلال انتشار شعاع الإسلام المحمدي
الأصيل علي مساحة واسعة بعد أن كان علي مستوي أشخاص بعد رحيل النبي المصطفى صلي الله عليه وآله.

ص: 340

التخاذل تحت عنوان التقية لا يعطي مبرراً لأحد لأن التقية لها ضوابط معينة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث: «... فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم نجاة، وأما البراءة فلا- تبرؤا (تبروا) مني، فإنني ولدت علي الفطرة، وسبقت إلي الإيمان والهجرة»(1).

فالتقية لن تصل بالمؤمن إلي درجة المسخ في الهوية كما حدث في كثير من البلدان ممن أخفي حقيقة الإيمان عن أولاده وأحفاده وهو لا زال حياً، فهذا ليس له تبرير إلا الحرص الشديد علي الدنيا، والتقية لا تسوغ كل هذه المساحة في التكر فهي للتغطية علي العنوان الخارجي وليس إزالة للحقيقة من الأعماق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(2).

المسؤولية التي تلقي علي الإنسان سواء في تشخيص الداء، أو

ص: 341

1- نهج البلاغه، خطبة 57/ العاملي، وسائل الشيعة، ج 11، ص 478/ المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 421.

2- سورة النساء، الآية 97.

العلاج ضمن المشروع الإلهي المنجى لا يوجد فرق في البين في إدانة الخضوع ومسح الهوية ولو أن كل المجتمع ارتكب هذا الخطأ، فإنه لن يكون هناك أي مبرر أو مسوغ للإنسان لارتكاب نفس الخطأ، فإرادة الإنسان بيده ولم يجعلها سبحانه وتعالى بيد غيره، ولا يحق للإنسان أن يستصغر دوره بل هو خطأ أكبر بالإضافة إلي خطيئة الضعف والخضوع والاستكانة.

سنة الله تعالى في بني إسرائيل: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (1).

في هذه الآية وآيات أخرى والتي تشير إلي الموضوع نفسه حول الظهور وبيان وظيفة المؤمنين في هذا المشروع حري بنا جميعا دراسة هذا المحور المحكم والتأمل فيه جيدا.

والأحاديث الواردة في باب التقية عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام لا يفهم منها أنها للخضوع والاستكانة أو التسويغ لهما، ويظهر الأمر واضحا جليا في زيارة الإمام الهادي لجدته أمير المؤمنين عليهم السلام في الغدير: «وأشهد أن ما اتقيت ضارعا، ولا أمسكت عن حقتك جازعا، ولا أحجمت عن مجاهدته غاصيبك ناكلا...»، ممارسة التقية علي مستوى الفرد أو الجماعة اجتماعيا وسياسيا لا لتكريس الضعف والخضوع والتنصل عن المسؤوليات التي أرادها الله منا، وهو مما لم يأمر به الأئمة سلام الله عليهم.

ص: 342

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المؤمن علوي... والمؤمن مجاهد لأنه يجاهد أعداء الله تعالى في دولة الباطل بالتقية وفي دولة الحق بالسيف»⁽¹⁾

ص: 343

1- العاملي، وسائل الشيعة، ج16، ص209.

الفصل الخامس: عملية التغيير الاجتماعي بين الجبر والتفويض

اشارة

ص: 345

تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم ليشكروه ومن ثم الخضوع والطاعة للمنعم، مع التحذير من مغبة عدم الأتعاض بهذه الذكرى لضرورة أن الطاعة المستتعبة لشكر المنعم هي إنجاح المشروع الإلهي المنجي وتحقيقه علي أرض الواقع.

قال تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» (1).

وهذا المحور محطة مهمة للمؤمن وله تداعيات كبيرة في الجانب العملي لوضع الأمة وعليه من المهم جدا رؤية هذه المعارف القرآنية بعين البصيرة لقياس حجم الخسائر المستتعبة لوجود النعم وعدم شكر المنعم.

هذا البلاء العظيم الذي مر علي بني إسرائيل علي كل المستويات السياسية والاجتماعية من قبل آل فرعون وهم مع كفرهم وكونهم علي باطل بقي زمام الأمور بأيديهم، وبني إسرائيل علي دين إبراهيم عليه السلام قبل بعثة موسى عليه السلام تبعاً ليعقوب النبي عليه السلام: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ

ص: 347

يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (1) مع ذلك استمر البلاء عليهم وقد يكون مفاد ظاهر الآية أنه إمتحان لصبر بن إسرائيل.

ولكن مفاد الآية الواضح والصريح أن الله سبحانه وتعالى ينسب التغيير الاجتماعي والسياسي إليه جلت قدرته وانه تبع لأرادته: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (2) مع أن النجاة لبني إسرائيل هو في إتباعهم لموسي عليه السلام ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسند هذه النجاة الغيره، وهذا ليس من الجبر في شيء ولكنه بيان لصيغة تكوينية في القضاء والقدر في سبيل التغيير الاجتماعي والسياسي

فالجبر والاختيار ليس في بعده الفردي فقط بل هو يشمل الفعل الاجتماعي والسياسي للأمة، وليس هناك تفويض لأن الله سبحانه وتعالى لا شريك له في التغيير لأن السنن واضحة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (3). هذا التغيير الذي هو من فعل الله وإرادته له شرائط والتفويض فيه ليس عرضا لأن فعل الله مشروط بفعل العبد المكلف بالمسؤولية في الطرف الآخر، فالإنسان بمقدار ما لديه من إرادة واختيار يهيء الأرضية المناسبة لتشمله فيما بعد نعمة التغيير الإلهي.

ص: 348

1- سورة البقرة، الآية 133.

2- سورة البقرة، الآية 49.

3- سورة الرعد، الآية 11.

هذه السنة الإلهية في التغيير هي في ضرورة ارتقاء الإنسان في تكامله المعرفي والأخلاقي ولا يبقى حبيس الكسل والفشل، وهي من أعظم السنن الإلهية التي تحفز الإنسان علي التكامل واستخراج قدراته الذاتية في الاستعداد وترك التواكل.

وعليه يجب ان تكون النظرة القرآنية هي السائدة عند المؤمنين في قراءة علامات الظهور لأتمام المشروع الإلهي المنجي، والمؤمن له دور بهذه الحركية والفاعلية في أداء المسؤولية والوظيفة الشرعية لأن علامات الظهور هي بيان لهذا المعني للمسؤولية وموقع المؤمن فيها ودوره المهم والفاعل في التغيير وكيفية الاستعداد لهذا المشروع الإلهي.

إذن القراءة أما تكون بنظرة جبرية وهي مرفوضة من أساس في تراث أهل البيت عليهم السلام، أو أنها تفويض للبشر وهذه أيضاً مرفوضة، ويبقى الصحيح في مسار أهل البيت عليهم السلام هي المسؤولية التي لا شائبة فيها للجبر أو التفويض.

الصحيح أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي في نجاته بني إسرائيل، وهو جلت قدرته يسند الفعل إليه وحده لا شريك له، إلا أن هذا الفعل الإلهي مشروط بأمر وهو: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»⁽¹⁾ هذا البيان في شرط التغيير ورد أيضا عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب.

روي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: «كما تكونوا يولي عليكم»⁽²⁾، يعني كل إنسان يكون نفسه ويغير ما به تلقائيا يؤثر علي الوضع العام للمجتمع، وهنا يتضح أثر: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»⁽³⁾.

أحد أبواب التغيير الإصلاحي في المجتمع أن يبدأ الإنسان من نفسه فيصلحها لاتحاد المسؤولية العامة مع المسؤولية الفردية الخاصة لتأثيرها الواضح فيها، وهذه معادلة مهمة في علم الاجتماع يبرزها القرآن الكريم والمأثور عن أهل البيت عليهم السلام.

ص: 350

1- سورة الرعد، الآية 11.

2- المتقي الهندي، كنز العمال، ج6، ص36، ح 14968.

3- مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج3، ص 1459.

وفي حديث آخر ورد أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «التأمرن بالمعروف ولتتهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»(1).

إذن أحد الأمور المهمة في التغيير الاجتماعي هو ساحة الشخص المكلف لأنه لا يمكن التفكيك بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية، لذلك ترى حالة الربط القرآني والنبوي بين الفرد والمجتمع، وهذه النصوص المقدسة هي لبيان الآلية في حفاظ المؤمن علي مسؤوليته الفردية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»(2) فإصلاح الأسرة - الخلية الأم والأساس للمجتمع - هو إصلاح المجتمع بصالح الأفراد.

الآية التي نتحدث عن المشروع الإلهي في نجاته بني إسرائيل فيها إشارات إلي نفس المشروع المهدوي بتفاصيله المختلفة، فيكون نفس الفعل الإلهي الخالص في نجاته هذه الأمة علي يد صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف هو أيضا مشروع بقيام المؤمنين بمسؤولياتهم لأن هذا الأصل القرآني لا يمكن أن يتخلف أبدا: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»(3) فلا يمكن لقاعدة من القواعد الفقهية تصطدم بأصل عقائدي يستخرج منها حكم معين، بل يجب أن يكون هناك ضوابط المنظومة فيها موازين حاكمة وإلا ستكون أشبه بالمسيحية المنحرفة.

ص: 351

1- محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج5، ص1945، ح12728

2- سورة التحريم، الآية 6.

3- سورة الرعد، الآية 11.

هذا التوازن يخلق بالطبقات العليا في القواعد الفقهية التي وإن كانت مقررة ولكن ضوابط أصول الاعتقاد يحفظ لها توازن التطبيق.

وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لما أتاه بعض شيعته من قم فحبسهم أياما عنه، ولما أذن لهم بعد اللتيا والتي أخبرهم عن سبب حبسهم عنه قائلا لهم: «...تتقون حيث لا ينبغي التقية ولا تتقون حيث ينبغي التقية...»⁽¹⁾.

فالتقية في المشروع الإلهي تارة علي صعيد فردي وأخري علي صعيد اجتماعي، فإذا لم تطبق في موردها الصحيح فمعني ذلك أنه لا يتوفر النشاط الديني لأن هناك توازن في الطبقات الفوقية الأم يجب الالتفات إليها ومراعاتها.

ص: 352

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 158، ح 18.

الآيات القرآنية التي تحدثت عن السنن الإلهية في التغيير الحضاري والاجتماعي والسياسي هي خطاب لعموم البشر: «سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»⁽¹⁾، «سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»⁽²⁾.

فالعتاب أو التذكير بالنعم ليس فقط لبني إسرائيل وإن كان فيهم، ولا يدعي احد انه غير مشمول بهذا التذكير أو التوبيخ بل إن الجميع مشمول بمورد هذا الخطاب الإلهي لأن الحديث عن سنن إلهية لا تتخلف أبدا.

فالتغيير من السوء إلى الحسن بظهور الفرج هو بيد الله سبحانه وتعالى ولكنه ليس بمعني الجبر، وهي أيضا تبين أنه ليس هناك نقص في فاعلية الله عز وجل لتكون فاعلية المخلوق في عرض فعل الله وإرادته.

ففي الجبر هنا هو نفي للتفويض أيضا لأنه بالدقة كل جبري مبتلي بالتفويض والعكس صحيح فمن أراد النجاة عليه أن ينجو من كليهما. والجبر أو التفويض علي مراتب فيه الجلي الواضح وفيه المراتب

ص: 353

1- سورة الأحزاب، الآية 62.

2- سورة الفتح، الآية 23.

الخفية التي تستعصي حتي علي المؤمنين إلا-علي الكمل والمقربين، فالمؤمن قوي في بعض المراتب مستضعف في غيرها بلحاظ هذا المسألة.

اذن هذه الآية فيها سنة عظيمة من سنن الله سبحانه وتعالى: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ مَبَلَأٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (1) وهي ملحمة عظيمة لكل الشعوب والأمم في التغيير السياسي والاجتماعي وشمولها بالفرج الإلهي، وان هذا الفرج هو فعل الله ولكن ليس فيه جبر لأن هذا التغيير متوقف علي مبادرة بني البشر في تغيير ما بأنفسهم.

فإذا كانت هذه السنة - عملية التغيير - أصيلة عقائديا في القرآن الكريم، فأني تفسير فقهي أو أخلاقي يصطدم بهذا الأساس فهو لا محالة فيه شائبة من الجبر أو التفويض وإن لم تكن جلية.

كذلك في ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف إذا حملنا دورنا في المسؤولية، أو علامات الظهور بعض الجبر أو التفويض فهذا تفسير خاطئ للمسؤولية الخاصة بنا بادعاء أن التغيير ليس بأيدينا ولا سبيل إلي ذلك، في حين أن القرآن الكريم قد أكد أن حقيقة التغيير صحيح هو من فعل الله وحده ولكن شرطه البدء بتغيير ما بأنفسنا، وعليه فالواجب أن لا تنكسر إرادة المؤمنين لأنه من يعتقد أن النصر والفرج بيد الله سبحانه فهذا يعني أن اليأس لن يجد طريقا إلي قلبه، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن أعظم العبادة هو انتظار الفرج (2).

ص: 354

1- سورة البقرة، الآية 49.

2- قال النبي صلي الله عليه وآله: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»، وقال صلي الله عليه وآله: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج..» (المجلسي، بحار الأنوار، ج 52، ص 165، ح 65؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج 4، ص 425)

وهذا الأمر يسلب المبررات من أيدي المنهزمين والمرعوبين من عدوهم وإن كان عدوهم دولة عظمي!! لأن إرادة الله جلت قدرته أعظم وأكبر.

قد يبرر البعض لنفسه بأنه واقعي ويتعامل مع المعطيات المطروحة، أي أنه لا يتغير ولا يغير ولا يسعى لتغيير هذا الواقع، وهذا بسبب فقدان الأمل واليأس الذي دب فيه، وعدم اليقين بقدره الله سبحانه وتعالى!، ومن يعتقد ان الله غير قادر فهو يقول بما قالت به اليهود: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (1).

في حين تري في تراث أهل البيت عليهم السلام أمر آخر مختلف عن هذه المفاهيم المنحرفة والمهزومة وهو الإيمان بالبداء، فعن صادق آل محمد عليه السلام أنه قال: «ما عظم الله عز وجل بمثل البداء» (2) فإحدى حقائق معني البداء هي نفي الجبر والتفويض معا، والبداء أيضا درجات و مراتب والإيمان به إيمان بقدره الله سبحانه وتعالى.

لذا فالانتظار للمصلح الإلهي المنجي والمعد ليوم الفرج أمل عظيم رغم تكالب قوي الشر، فالمؤمن القوي لا ييأس ولا يصيب الآخرين باليأس.

ص: 355

1- سورة المائدة، الآية 64.

2- الصدوق، التوحيد، ص 333.

الموازنة بين اللاجبر والالتفويض في عملية التغيير الاجتماعي

التغيير الاجتماعي في الأمم فعل الله وهو سنة دائمة: «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»⁽¹⁾ وهذه السنة الدائمة لا يجب قراءتها بنحو خاطئ في جانبي الجبر أو التفويض، بمعنى عدم الاعتقاد أن التغيير كفعل فوض فيه الإنسان بنحو مستقل لأن هذا الفهم خاطئ ومجانِب للصواب، بل الصحيح أنه مرتبط بأمريين، وهذا من الأصول الأصيلة في المنهج القرآني.

وقد يتخيل البعض أنها عناية خاصة لبني إسرائيل وهذا ليس بصحيح بل إنها تشمل حتي البوذي والهندوسي ففي كل مكان فيه تغيير نحو الأصلح فهو فعل الله ولكن ليس بنحو الجبر.

لذا لا يمكن قبول تفسير واقعة الطف مثلا بنحو جبري أو حتي تفويضي عند المتحمسين الذين يرغبون بالإصلاح فيحيون هذا الجانب ظنا منهم أن هذا باعث للشعور بالمسؤولية لأن هذا وهم كبير فالمسؤولية تبعث من خلال الاختيار وهو موجود في الأمر بين أمرين، بل إن الشعور والإحساس بالمسؤولية يخمد في جانبي الجبر والتفويض.

ص: 356

1- سورة الأحزاب، الآية 62، وسورة الفتح، الآية 23.

ثم إن الإنسان قد ينفي التفويض في درجاته العالية لكن في درجاته الخفية يعتقد به دون الشعور بذلك، وهذا في الجبر أيضا موجود فهو ينفي الجبر في درجات وينسي أو يغفل عن درجات أخرى وهذا يحدث حتى عند كبار المحققين الذين يقعون في فخاخ الجبر أو التفويض.

إذن تصور عملية الموازنة في اللاجبر واللاتفويض في التغيير الاجتماعي والحضاري والسياسي كفعل من الأفعال الإلهية فقهيا أو عقائديا في درجاته العميقة أمر ليس بالسهل.

مثلا قد يفسر البعض واقعة الطف بتفسير جبري خفي دون أن يشعر بذلك، أو قد يكون تفسيره للواقعة بتفويض خفي أيضا، لذا تري الشيخ الدربندي رحمه الله في كتابه أسرار الشهادة يعتمد علي الجانب الغيبي كثيرا حتي اعتبره البعض أنه يفسر لجبرية واقعة الطف .

لكن إذا نظرنا إلي النصوص القرآنية فيما يتعلق بواقعة بدر أو أحد أو الخندق وغيرها من الوقائع فهي لا تركز فقط علي الحس المادي في المعركة، بل تستحضر الصور الغيبية الإلهية وتتحدث عن نزول الملائكة وعن نوايا المسلمين وكيف تأثرت تحت الضغط، وعن دور الشيطان في تشييط البعض، وهذه كلها جوانب غيبية لا يمكن معها أن يتهم القرآن الكريم برواية أساطير بل هو لإخبار الناس أن هناك جوانب غيبية مشروطة وليست هي في باب الجبر أو التفويض.

فبعض الدرجات من نفي الجبر أو التفويض لا يدركها الكثير من الناس وعليه فلا يمكن تفسير الوقائع الخطيرة في بعدها المادي فقط، لأن هناك أسباب غير مرئية بل هناك أسباب مادية أخرى غير معلومة لدي

البعض، وهذا ليس في واقعة الطف فقط بل في صفين والنهروان والجمل وغيرها من الوقائع والأحداث، ففي كل حدث لا جبر ولا تفويض بل هو أمر بين أمرين

حتى استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن جبرياً بدليل حديث يوم الدار يوم نزل قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (1) حيث جمع رسول الله صلي الله عليه واله وسلم عشيرته ثم أُنذِرهم فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل، والبشير بما لم يجئ به أحدكم، جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوا تهتدوا، ومن يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي ويقضي ديني . فسكت القوم، فأعاد ذلك ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عليه السلام أنا فقال: أنت . فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب عليه السلام: أطع ابنك فقد أمر عليك. (2)

فكل علاقة بين الباري والمخلوقات تحكمها هذه القاعدة، حتى الاصطفاء وهو وإن لم يكن كالصفات والمقامات الاكتسابية ولكن مع هذا هو أمر بين أمرين.

وعليه فظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف لا يمكن تفسيره بمنهج الجبر أو التفويض لأنه باطل بكلا الطرفين ولا يمكن تعقله علي ضوء منهج السنن الإلهية في البشرية لأنه لا يستقيم إلا بأمر بين أمرين

ص: 358

1- سورة الشعراء، الآية 214.

2- السيد ابن طاووس، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص 20.

فالمشكلة ليس في الجبر أو التفويض الواضحين الجليين، بل في التفكير في بيان المنظومة الفقهية والعقائدية للمسؤولية تجاه مشروع صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف وأن لا تتضمن الجبر أو التفويض في أي مرتبة من مراتبه، وهذه مهمة صعبة تحتاج إلي تضافر الجهود بالإضافة إلي خفي أطفاه عجل الله فرجه الشريف في التأييد والتوفيق لهذه المهمة الكبيرة.

وهي ليست سهلة المنال لأن الإنسان في سلوكياته اليومية ينظم نفسه علي أساس قناعات جبرية أو تفويضية في سلوكه الأخلاقي والعملي من حيث لا يشعر، علي سبيل المثال في استسلامه والتبرير بعدم قدرته علي تغيير الواقع وانه مجبور علي السير في هذا الطريق أو ذاك، في حين تري في تراث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام أن الإنسان له دخل حتي في تحديد طريقة ووقت موته!

ص: 359

وردت الكثير من الروايات في كتب الفريقين عن رسول الله صلي الله عليه وآله وعن أهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام بضرورة الاعتبار ببني إسرائيل والتأكيد علي أن هذه الأمة ستسلك مسلك من سبقها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل(1).

سنة التغيير من خلال النص القرآني أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين أن هناك دورا لبني إسرائيل فيه وأنه سبحانه وتعالى استجاب لموسي عليه السلام ولو بعد اللتيا والتي، فدور المجتمع هنا محفوظ وهو ما ينفي بشكل قاطع الجبر أو التفويض في هذه النجاة التي شملت بني إسرائيل.

وهذا البيان القرآني من الواضح أنه سيجري في المشروع المهدي وأن هناك سنن إلهية للظهور، وعليه من الاشتباه في الاعتقاد أو في طريقة التعاطي مع المشروع المهدي المنجني بطابع الجبر أو التفويض وإن كان هذا الأمر يصدر حتي من بعض المتخصصين.

ص: 360

1- قال النبي صلي الله عليه وآله: «يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل و(حذو) القذة بالقذة»، وعن سلمان الفارسي قال، سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «لتركن أمتي سنة بني إسرائيل حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع». المجلسي، بحار الأنوار، ج36، ص284.

فالجبر أو التفويض له درجات و مراتب، والأصل الاعتقادي تلقائياً له انعكاسات وضلال للقوالب الفقهية التي من الممكن أن ترسم حالة جبرية خفية في التغيير الاجتماعي، كمن يفسر التقية بنمط ينسجم مع الجبر وليس مع الاختيار والمسؤولية.

من الضوابط القرآنية المهمة في هذا الباب قوله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (1)، وكذلك ما ورد عن النبي صلي الله عليه وآله قوله: (ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار أو فدعوه.. (2) يعني ما وافق أصول الكتاب يبين لنا القراءة الصحيحة للوظيفة الفقهية السياسية الاجتماعية والحضارية

فالمشروع المهدوي هو مشروع عقائدي وحضاري واجتماعي، وهو منفتح علي كل الأصعدة، ومشروع بهذا الحجم إن كنا صادقين في دعوانا فيجب أن يكون الإعداد واضحاً، مع أننا لا نري إلا الضعف والهوان والاستكانة، فأين هو الإعداد؟

هذا لأننا ننفي الجبر من جهة فنقع في التفويض من الجهة الأخرى، أو العكس، فعندما نردد في زيارة الإمام عجل الله فرجه الشريف «ونصرتي لكم معدة» وفي نفس الوقت نقرأ علامات الظهور بطريقة أشبه بمنهج الجبرية فهذا أقرب إلي الانتظار السلبي، ونتظر تحقق العلامات دون أن يكون لنا دوراً في تحقيقها أو نساهم في تقريب الظهور وتحقيق المشروع الإلهي المنجي.

ص: 361

1- سورة الحشر، الآية 7.

2- الكليني، أصول الكافي، ج 1، ص 55، كتاب فضل العلم - باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

والقراءة الصحيحة أن علامات الظهور هي قواعد بيانات متوفرة لاتخاذ الإجراءات العملية الكفيلة بتحقيق هذا المشروع، من خلال بذل الجهد والقيام بالمسؤوليات حتي الوصول إلي درجة استحقاق الفعل الإلهي الخالص في التغيير السياسي والاجتماعي والحضاري.

هذه القراءة ليس معناها أننا مجبرين، ولذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام تأكيد بأن السفيناني من المحتوم ولكن البدء فيه ممكن، وهذا يعني أنه ليس هناك جبر.

هكذا تكون قواعد البيانات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، استعد بالقدر الذي يحقق لك النصر علي عدوك، أليس الشعار والعقيدة هو «ونصرتي لكم معدة!» إذن يجب قراءة المشروع الإلهي بنمط بعيد عن الجبر أو التفويض.

فالتقية لا تعني أن نكون متفرجين لا نحرك ساكنا سرا أو علنا حتي يأتي من يسومنا سوء العذاب، كونوا حلسا من أحلاس بيوتكم ليس هذا البيت المبني من الطين أو الآجر، بل هو بيت الإيمان والفكر والعقيدة:

«فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»⁽¹⁾ يعني الابتعاد عن السذاجة الفكرية وعدم الاستسلام للتيارات والمناهج المنحرفة والتمسك فقط بمنهج أهل البيت عليهم السلام.

ص: 362

اضابطة الترابط بين المسائل الفقهية والأصول العقائدية هي القاعدة العقائدية لا جبر ولا تفويض وإنما امر بين أمرين، لأنه يجب ان تنضبط الأمور في هذه القاعدة الفقهية بهذه القواعد الاعتقادية الأساس: «تَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» (1)، وقوله تعالى: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (2)، وقوله تعالى: «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» (3)، وقوله تعالى: «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (4).

والإمام الحسين عليه السلام عند نهضته المباركة في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلي الله عليه وآله أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولي بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتي يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» (5).

ص: 363

- 1- سورة الإنسان، الآية 3.
- 2- سورة البلد، الآية 10.
- 3- سورة النمل، الآية 40.
- 4- سورة لقمان، الآية 12.
- 5- المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 329، ح 2.

هذا الإصلاح الذي ينشده سيد الشهداء عليه السلام هو تغيير اجتماعي ونفس هذا التغيير ينضبط بقاعدة لا جبر ولا تفويض، لأن التعايش مع الفساد هو طبيعة غير أولية ولهذا تجد حديث الإمام الصادق عليه السلام يقول: «التقية ديني ودين آبائي»⁽¹⁾ فتكون التقية أيضا وضعا غير أولي ومع ذلك يعبر عنها الإمام عليه السلام بأنها دينه ودين آباءه وما ذلك إلا أن أصلها هو القرآن الكريم.

فالأحكام الأولية هي الأصل من أهداف الشارع في تشريعاته، وإنما شرع الأحكام الثانوية نتيجة الضرورات المؤقتة وليست الدائمة ولذا من الخطأ الالتزام أو جعل الحكم الثانوي كأنه حكم أولي، لأن الحكم الثانوي هو حالة طارئة يتم التعاطي معها لأجل دفع أسبابها الموجبة ومن ثم إزالتها عن الساحة وغير هذا التعامل هو فهم خاطئ للتقية.

إذن مبحث التقية كنظام فقهي لا يمكن قراءته بعمق واتزان إلا تحت مظلة الأصول الاعتقادية ومنها قاعدة لا جبر ولا تفويض إنما أمر بين أمرين.

فهناك فرق مهم بين الحكم الأولي والثانوي في روابط الفقه، ففي الحكم الأولي لا يكلف الإنسان بإزالة الموضوع هو تلقائيا له أمد عندما تنتقل إلي حكم أولي آخر فيتبدل الحكم بتبدل الموضوع.

أما في الحكم الثانوي فالأمر مختلف لأنك مطالب بتبديل الموضوع، فالشارع سوغ الحكم الثانوي لفترة محددة حتي يقوم المكلف نفسه بإزالة وتبديل الموضوع لا أنه رخص بإبقائه.

هذا المبحث المهم وقع فيه الكثير من الخلط لأن التقية لها معان عديدة أحدها الحكم الثانوي في التقية وهو العمل بغير الصورة الصحيحة.

ص: 364

1- الكليني، الكافي، ج2، ص174، حديث 12 باب التقية.

إحدي آليات التقية أن «العارف بزمانه لا تهجم عليه اللواسب»⁽¹⁾، فالسداجة خطر كبير علي الإنسان وخصوصاً في زمان الغيبة ضرورة أن يكون هناك ح أمني عند المؤمن، فهذه المسؤوليات بينها أهل البيت عليهم السلام حتي لا تقرأ علامات الظهور بطريقة سلبية لأنها في هذه الحالة تكون أقرب إلي الجبر وليس إلي أمر بين أمرين.

ومنه نلاحظ أن الشارع لا يرغب بالإبقاء علي الحكم الثانوي لأنه شرعه فقط لإعطاء المجتمع فسحة من الوقت لإزالة موضوعه دون تضيق.

فلو تولي مؤمن المسؤولية في نظام جائر علي سبيل المثال فهذا لا يعني السعي لإبقاء هذا النظام الجائر بل إن المسألة هي لأجل دفع الضرر عن المؤمنين، فالوضع الطبيعي هو استبدال هذا النظام الجائر بنظام عادي وهو ما أعطي المؤمن إذن الدخول في الأنظمة الجائرة.

مشروع التغيير عند أهل البيت عليهم السلام بملاحظة الواقع بعد استشهاد رسول الله صلي الله عليه و آله إلي يومنا هذا والانتكاسة التي ابتليت بها هذه الأمة هو حالة طارئة - ثانوية - وهذه الأزمة يجب أن تعالج بالتدرج، لذا عندما يرد الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي»⁽²⁾ فهذا يعني ممارسة العمل بالعنوان الثانوي حتي يتم التغيير التدريجي، لأن أحد معانيها أن يكون المؤمن صاحب عقلية أمنية هادئة والعمل بحكمة وصبر طويل، وهذا يختلف تماماً عن تفسيرها بمعني الجمود وعدم الحركة.

ص: 365

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص 269.

2- الكليني، الكافي، ج2، ص174، حديث 12 باب التقية.

1. القرآن الكريم.
2. نهج البلاغة - الشريف الرضي
3. الاحتجاج - . احمد بن علي الطبرسي
4. الاختصاص - الشيخ المفيد.
5. أصول الكافي - الشيخ الكليني.
6. أمالي الصدوق - محمد بن بابويه القمي - الصدوق -
7. بحار الأنوار - الشيخ محمد باقر المجلسي
8. تأويل الآيات - السيد شرف الدين الاسترآبادي
9. تحف العقول عن آل الرسول - الحسن بن علي بن شعبة الحراني
10. تصحيح اعتقادات الإمامية - الشيخ المفيد.
11. تفسير ابن أبي حاتم - عبد الرحمن بن محمد الرازي.
12. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ورام المالكي
13. التوحيد - الشيخ الصدوق.
14. النخصال - محمد بن بابويه القمي (الصدوق).
10. دلائل الإمامة - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

16. روضة المتقين - الشيخ المجلسي.
17. روضة الواعظين - الفتال النيسابوري.
18. سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه.
19. سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي.
20. السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي.
21. شرح الصحيفة السجادية - السيد الداماد. 22. شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد المعتزلي
23. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري
26. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري.
20. علل الشرائع - الشيخ الصدوق.
29. الغيبة - محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني.
27. الغيبة - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
28. فروع الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
29. الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
30. كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن بابويه القمي - الصدوق -.
31. كنز العمال - المتقي الهندي.
32. المجالس - الشيخ المفيد.
33. المستدرک علي الصحیحین - الحاكم النيسابوري.
34. المعجم الوسيط - الطبراني.
30. مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي.
36. المناقب - ابن شهر آشوب.

37. ميزان الحكمة - الشيخ محمد الريشهري.

38. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة - الشيخ محمد باقر المحمودي.

39. هداية الأمة إلي أحكام الأئمة - الحر العاملي.

40. وسائل الشيعة - الحر العاملي.

ص: 368

فهرس المشروع السياسي للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

الإهداء...7

دعاء الندبة...9

تمهيد...19

مشروع المهذوية...19

هذا الكتاب...22

الفصل الأول: سند الدعاء وحقيقته...23

سند دعاء الندبة...25

الوجه الأول...26

الوجه الثاني...26

الوجه الثالث...30

الوجه الرابع...32

تنبيهات...34

معني الندبة...38

الأركان الرئيسة في الدعاء...39

الركن الأول...39

الركن الثاني...40

ص: 369

الركن الثالث...40

خلاصة التراث...42

الفصل الثاني: المدرسة الأخلاقية الوحيانية...45

النظم الأخلاقية وتعدد المدارس...47

المدرسة الأخلاقية الوحيانية...48

أدب التعامل مع الله...50

الفوارق بين المدارس الأخلاقية...52

الأول: الأخلاق النفسانية لها جذر عقائدي...52

الثاني: الأخلاق طبقات و مراتب...53

الثالث: الابهام في المفاهيم الأخلاقية عند التطبيق...54

الفصل الثالث: خطوط الدعاء العامة وأثرها المعرفي...57

الاصطفاء وموقعية الأنبياء...59

إكمال الحجّة وسد الذرائع...61

الإعجاز في الخاتمة...64

الندبة من سنن المعصومين...65

الفصل الرابع: الدعاء ومنهج التعامل مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف...69

دوام الاستشعار بالمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف...71

المسؤولية مطلقة...73 سيد الشهداء حافظ للمشروع المهدي...75

من ينصر من؟...76

الأمل وأثره في الصبر والثبات...77 وجود الإمام الدائم في الساحة...79

الفصل الخامس: الدعاء وضرورة الارتباط بالمهدي (عج)...81

ميزان التواصل مع الإمام المهدي عليه السلام...83 نوع الارتباط بالإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه شريف...86

رؤية الإمام عليه السلام دليل علي وجوده...88 حجية التشرف برؤية الإمام (عجل الله فرجه)...89

الحجبة الأكمل والأتم...91

الفصل السادس: أثر البكاء في تقريب المسافات...93

البكاء إحساس بالمسؤولية...95 أثر البكاء في الشحن الروحي...98

دعاء الندبة مدرسة تربية...100

الممارسة اليومية للحب والمودة...102

التقرب الروحي والفكري...103

دوام الذكر يوجد المحبة...106

الدمعة آية المحبة...108

الفصل السابع: محورية المودة في لزوم الطاعة...109

لغة الشوق والحنين...111 أثر الحب والتعلق بأهل البيت...113

القصد بالقلوب أبلغ...115

الحب والحنين خروج من الظلم...117

من طرق بابا أوشك أن يفتح...119

الفصل الثامن: الدعاء والقراءة الصحيحة للمشروع المهدي...123

كيف نقرأ علامات الظهور؟...125

ص: 371

126... منهج الإفراط...

127... منهج التفريط...

128... أين تكمن الخطورة؟...

129... القراءة الصحيحة...

132... الأهم هو العشق...

133... من أراد استعد!...

134... أنت سيد الموقف...

135... العلامة الكبرى للظهور الشريف...

137... ضريبة العجز والتقصير...

139... الفصل التاسع: مسؤوليات ومهام المؤمن قبل الظهور...

141... دور المؤمنين في التمهيد للظهور المقدس... 145

147... كلمة «يملاًها قسطاً وعدلاً» تحملنا المسؤولية...

149... تحمل المسؤولية والتدرج في التمهيد...

152... التمهيد الروحي أجل وأعظم...

155... مسؤوليتنا في إقامة الحكومة قبل الظهور...

157... الفصل العاشر: النظام الأمني في المشروع المهدوي...

159... نظام أمني صارم وسرية تامة...

162... السرية سبب من أسباب القوة... 165

167... الغيبة إحتفاظ بعنصر المبادرة...

172... المسؤولية بين الكتمان... والنشر...

177... الفصل الحادي عشر: المفاهيم وضرورة حفظها...

- خطورة النكث بعد الأيمان...179
- إقامة للعدل أو التزام العرف؟...183
- ضرورة عدم الخلط بين الموازين...190
- الاعتزال الإيجابي سنة من سنن الأنبياء...193
- الفصل الثاني عشر: الوعي والبصيرة في مشروع التمهيد...195
- التعرف علي بنود المشروع...197
- الوعي بالمشروع المهدوي...200
- ضرورة المعرفة والترويج للمشروع المهدوي...201
- الوعي والبصيرة في مواجهة الحرب الإعلامية...204
- حرب المعلومات المضللة...209
- الدولة المهيمنة بالعلم والبصيرة...211
- الفصل الثالث عشر: العدالة مطلب عالمي...215
- قراءة جديدة لمنظومة العدل...217
- أين تكمن سعادة البشر...219
- القادر علي بسط العدل...222
- الأصلح لقيادة العالم...225
- معني «يملاًها قسطاً وعدلاً»...228
- الفصل الرابع عشر: بناء الأعراف الصالحة...231
- لا إقرار للأنظمة السياسية والأعراف المنحرفة...233
- السعي نحو الأعراف الصالحة...235
- بين القاعدة العقلية والعرفية...239

دور الأعراف المهذوية في تمييز الكمال الحقيقي...241

ص: 373

نشر الأعراف المهديوية الصالحة...243

الفصل الخامس عشر: قيادة النظام العالمي...243

الشعارات المهديوية مشروع ومسؤولية...247

نقل الغيب وتعريفه لأهل الشهادة...248

المهمة الصعبة...252

العامل الأول...253

العامل الثاني...254

ميزان المواطنة في الدولة المهديوية...256

قيادة النظام العالمي...258

ص: 374

فهرس مشروع النجاة والمسؤوليات

الإهداء...265

تمهيد...267

الفصل الأول: مقدمات الانهيار الحضاري وعوامل التغيير...271

مراحل الانحدار والتغيير في المجتمعات...273

أعوان الظلمة سبب الطغيان...275

واقع التصادم بين نهجين مختلفين...278

المعصوم محور نظام العدل الإلهي...280

حضور المعصوم نظم لأطياف البشر...283

حفظ التوازن في المشاريع الإلهية...285

الفصل الثاني: عملية التغيير الاجتماعي .. الآليات والنتائج...289

حقيقة النجاة في المشروع الإلهي...291

شروط النجاة في المشروع الإلهي...296

تذكير بالنعم في سبيل المشروع...300

التذكر ودوره في المعرفة والتغيير...302

البداء وأثره في المشروع الإلهي المنجي...305

صبر المؤمن في سبيل أهدافه نجاة له...309

ص: 375

الفصل الثالث: مقومات المشروع الإلهي في عملية التغيير... 311

المشروع الإلهي وحفظ المسؤولية... 313 الفاعلية الصادقة مع المشروع المنجي... 316

الاطمئنان والثقة في أداء المسؤولية... 319

ضرورة التنامي المستمر في تحمل المسؤولية... 321

ضرورة اتساع القاعدة الناصرة... 324

الفصل الرابع: المشروع المنجي وضوابط العمل بين التقية والعلن... 327

ضوابط العمل في نصرة المشروع الإلهي... 329

دفع التضارب في فهم الروايات... 332

الأمر الأول: الإعلان يضعف المشروع... 332

الأمر الثاني: المحور هو الله وليس الأنا... 333

الأمر الثالث: معني التقية في فلسفة التشريع... 334

الأمر الرابع: اختلاف التوجيه باختلاف القابلية... 338

ضوابط التقية... 341

الفصل الخامس: عملية التغيير الاجتماعي بين الجبر والتفويض... 345

سنة الله في التغيير... 347

الإصلاح والتغيير يبدأ من الفرد... 350

سنة الله في التغيير بين الجبر والتفويض... 353

الموازنة بين اللاجبر واللاتفويض في عملية التغيير الاجتماعي... 356 الجبر أو التفويض والمشروع المهدوي في التغيير... 360

التغيير الاجتماعي ينضبط بقاعدة لا جبر ولا تفويض... 363

المصادر... 366

ص: 376

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩